

إخترنا لك

مذكرات ونستون تشرشل

الجزء الخامس



اختونا لك

مذكرات
ونستون تشرشل
الجزء الخامس

مؤتمر الدار البيضاء

بما أن اقرار عملية «المشعل» قد وضع حداً لكل أمل فى القيام بعملية عسكرية رئيسية لعبور قناة المانش فى فرنسا المحتلة عام ١٩٤٣ ، وهو ما أيدته الدوائر العليا ، واقتنع به الرأى العام العسكرى الأمريكى كافة .

ولما كنت غير ميال لتأييد هـذا الرأى ، لأنى كنت لا أزال آمل فى أن تسقط دويلات الشمال الأفريقى (الفرنسى) بما فيها تونس ، بعد قتال لا يتعدى بضعة أشهر ، وفى مثل هذه الحالة قد يصبح غزو فرنسا المحتلة شيئا محتملا فى شهر يوليو أو شهر أغسطس عام ١٩٤٣ .

لهذا فقد كنت أود أن أرى اعداد القـوة العسـكرية الأمريكية فى بريطانيا يسـير جنبا الى جنب مع عملية « المشعل » وذلك طبق امكانياتنا الملاحية ، وكانت مستلزمات الحـرب تقتضينا ان نخوضها بكل قوتنا ، حتى نرغم العـدو على اتخاذ موقف الاهبة والاسـتعداد لتلقى الضربات التى تنهال عليه منا ، وسوف تقرر الاحداث وحدها ما اذا كان من حظنا أن نعبر القناة ، أو أننا سنتابع السير وراء طبيعـة قواتنا فى البحر المتوسط ، او نقوم بالعمليتين فى وقت واحد .

وكان من الضرورى لمصلحة العمليـات الحـربية فى جملتها ـ ولا سيما لمساعدة روسيا وعونها ـ ان تدخل جيوش بريطانيا وأمريكا من الغرب أو من الشرق فى السنة القادمة .

وكان هناك خطر من ألا نتمكن من القيام بأى عمل من العملين فى السنة نفسها ، فحتى لو سارت حملتنا ـ لاحتلال الجزائر وتونس ـ سيرا مرضيا وسريعا فاننا سنجد انفسنا مضطرين للموافقة على احتلال سردينيا أو صقلية ، أو كليهما وأن نؤجل عبور المانش حتى عام ١٩٤٤ ، وقد يعنى هذا اضاعة عام كامل على الحلفاء الغربيين ، مع وجود نتائج قد تكون قاضية لا بالنسبة على وجـودنا ، بل الى النصر الحاسم ، ولم نكن على استعداد لأن نخسر خمسمائة ألف أو ستمائة الف طن من الحمولة الملاحية فى كل شهر الى ما لا نهاية ، وكان أمل ألمانيا الوحيد أن ترانا فى حال من التوقف والجمود .

وكان رؤساء أركان الحرب البريطانيون يدرسـون جميع هـذه الخطط حتى قبل أن نعرف نتائج معركة العلمين ، أو ما سوف يحدث لحملة « المشعل » وقبل أن تظهر نتائج المعركة الرهيبة الدائرة من أجل احتلال مداخل القوقاز ، وكان واضعو الخطط الحربية مشـغولين معهم أيضا ، وكانت تقاريرهم فى رأيى سلبية وكنا على جانبى المحيط الأطلنطى تدنو من مرحلة جمود مشتركة .

وكانت القيادة البريطانية تؤيد الاتجاه الى البحر الأبيض المتوسط والقيام بهجوم على سردينيا وصقلية مستهدفا ايطاليا ، أما خبراء الولايات المتحدة فقد فقدوا كل أمل فى عبور القناة فى عام ١٩٤٣ ، الا انهم فى الوقت نفسه كانوا غير راغبين فى اقحام انفسهم « فى منطقة البحر الأبيض » فى مشروعات قد تحول بينهم وبين تحقيق مشروعهم العظيم فى عام ١٩٤٤ .

هذا وقد كتبت فى شهر نوفمبر أقول : (يبدو لى أن مخاوف الأمريكيين جميعها ستتضاعف بالنسبة لمخاوف البريطانيين ، وهى مخاوف يسهم فيها كل فرع من فروع قواتنا المسلحة اسهاما فعالا) .

وسيقال دون شك ، أن سير الأحداث قد برهن على أن نظرتى الى الآمال المترتبة على الاحتمالات فى الشمال الافريقى كانت مغرقة فى التفاؤل ، وأن القيادة الامريكية كانت على حق فى الاعتقاد بأن قرار « المشعل » الذى اتخذناه فى شهر يوليو ، قد أغلق الطريق على احتمال نجاح عبور القناة فى عام ١٩٤٣ ، وبالفعل كان هذا ما حدث تماما .

ولم يكن من المتوقع فى هذا الوقت أن يبذل هتلر مجهودا كبيرا فى تعزيز الجناح التونسى ، حيث أرسل ما يزيد على مائة الف من خيرة جنوده بطريق الجو والبحر ، وذلك على الرغم من الخسائر الفادحة التى منى بها ، وكان هذا العمل من جانبه خطأ استراتيجيا جسيما ، وكانت خطوته هذه سببا فى تأخير انتصارنا فى افريقيا عدة أشهر ، ولو أنه حافظ على القوات التى تم أسرها فى شهر مايو لكان بامكانه أن يعزز بها جبهته المتدهورة فى روسيا ، أو يحشد جزءا منها فى نورماندى تؤخرنا عن الزحف حتى لو قررنا النزول فى عام ١٩٤٣ .

وليس هناك الآن من يشك فى ان القرار الذى اتخذناه بالانتظار حتى عام ١٩٤٤ كان قرارا حازما .

وانى لأشعر بارتياح لأننى لم أخدع ستالين أو أضلله ، فقد بذلت كل ما وسعنى من جهد ، ومن جهة أخرى ، فلو أننا غزونا البر الاوروبى من البحر الأبيض المتوسط فى المرحلة المقبلة ، وأصبحت الجيوش الانجليزية الأمريكية فى حالة اتصال كامل مع العدو ، فاننى كنت راضيا بما سيفرضه القضاء والقدر .

وقد قدر لنا ان نصاب بنكسة وتوقف فى الشمال الافريقى ، وعلى الرغم من أننا كنا نتمتع بعنصر المبادأة والمباغتة ، الا أن اعداد قوتنا كان بطيئا بسبب قيود الملاحة الشديدة التى فرضت علينا ، وكانت عمليات التفريغ تتعرض لغارات جوية عنيفة فى مينائى الجزائر وعنابه ، كما كنا نفتقر الى وسائل النقل البرى أيضا ، وكان الخط الحديدى الوحيد على الساحل الذى يمتد الى مسافة خمسمائة ميل فى وضع سىء للغاية ، اذ يمتد فوق مئات الجسور الكبيرة والصغيرة التى يمكن تدميرها ونسفها هذا وقد بدات مقاومة عنيفة من الطراز الأول عندما وصلت أعداد كبيرة من جنود المانيا الى تونس بطريق الجو ، وكان عدد الجنود الفرنسيين الذين انضموا الآن الى جانبنا لا يقل عن مائة

الف ، وكان معظمهم من جنود المستعمرات ، وهم محاربون ممتـازون ولكنهم يفتقرون الى العتاد الجيد والتنظيم والادارة .

هذا وقد دفع الجنرال ايزنهاور الى الأمام بكل ما تحت امرته من وحدات أمريكية ، ودفعنا نحن بكل ما لدينا من قوة ، وقد تمكن لواء بريطاني من المشاة فى الثامن والعشرين من شهر نوفمبر « بمعونة بعض رجال الفرقة الأمريكية المدرعة الأولى » من الوصول الى الجديده ، التى تقع على بعد اثنى عشر ميلا من تونس ، وكان هذا ذروة معركة الشتاء .

وحل الآن فصل الأمطار ، وأخذت السماء تمطر مدرارا ، حتى أصبحت مطاراتنا المؤقتة غير صالحة لهبوط الطائرات اطلاقا ، وكان سلاح الجو الألمانى على الرغم من ضآلة عدده يعمل من مطارات صالحة لجميع الأجواء .

وفى اليوم الأول من شـهر ديسمبر قام الألمان بهجوم مضاد ، أحبطوا به الهجوم الذى كنا نعد له العدة ، مما اضطرنا فى خلال بضعة أيام الى التراجع نحو المجاز ، ولم يكن فى الامكان ايصـال المؤن الى القوات الامامية عن طريق البحر الا على نطاق ضيق ، وكان من الصعب مدها بحاجاتها ، ولم يكن فى امكاننا أن نشن هجوما من جديد حتى الثانى والعشرين من شهر ديسمبر حيث بدأنا الهجوم الذى لقى نجاحا أوليا ، الا أنه عند الفجر ، توالى نزول الأمطار واستمرت ثلاثة أيام حتى تعطلت مطاراتنا وغدت غير صـالحة للعمل ، كما أن السيارات لم يكن فى وسعها أن تتحرك الا على طرق سيئة .

ولهذا قرر الجنرال ايزنهاور فى مؤتمر عقده عشية عيد الميلاد ، التخلى عن خطته لاحتلال تونس ، وأن يحاول حماية مطاراته الأمامية فى المنطقة التى احتلها ، حتى يحين موعد شن الهجوم من جديد ، هذا وقد استمر الألمان فى تعزيز قواتهم فى تونس ، على الرغم من الخسائر الكبيرة التى عانوا منها بحرا ، ولم تحل نهاية شهر ديسمبر حتى كانت قواتهم قد بلغت خمسين ألفا .

وكان الجيش الثامن فى أثناء ذلك قد قطع مسافة هائلة ، وكان رومل قد تمكن من سـحب قواته المحطمة من العلمين ، وظل الضغط مستمرا على قوات مؤخرته الا أن المحاولة التى بذلتها قواتنا للوصول قبله الى الجنوب من بنغازى قد منيت بالفشل ، وبذلك تيسر لرومل أن يستريح بعض الوقت فى العقيلة ، فى حين اضطر مونتجمرى بعـد تقدمه الطويل الى مواجهة نفس المصاعب فى النقل والتموين التى عانى منها أسلافه . وفى الثالث عشر من ديسمبر ، تمكنت الفرقة النيوزيلندية الثـانية من زحزحة رومل عن مواقعه ، حتى أصبح طريقه مهـددا بالانقطاع بسبب الحركة الالتفافية الواسـعة التى قامت بها الفرقة المذكورة ، بعد أن منى بخسائر فادحة أنزلها به سلاحنا الجوى حيث واصل هجماته على طرق المواصلات الساحلية ، ولم يكن فى استطاعة مونتجمرى أن يتابع المطاردة فى أول الأمر الا بالقوات الخفيفة ، وكان

الجيش الثامن قد قطع مسافة الف ومائتى ميل منذ معركة العلمين، واحتلت قواته « سرته » مع مطاردها يوم عيد الميـــلاد ، ثم تقدمت الى مركز روميل الرئيسى فى البويرات فى نهاية العام .

هذا وقد أعدت لجنة رؤساء أجهزة القيادة فى هذه الأثناء مذكرتين ارسلتهما الى وزارة الحرب ، أوضحت فيهما أراءهما المدروسة المتعلقة بالاستراتيجية المقبلة ، وأكدت فى النتائج الى توصلت اليهـا وجـود خلافات كثيرة فى وجهـات النظر بين اعضـائها وبين زملائهم الأمريكيين ، وكانت هذه الخلافات منصبة على الأفضلية . أكثر منها فى موضوع المبدأ ، وكان رأى رؤساء أركان الحرب البريطانيين أن افضل سياسة هى متابعة عملية «المشعل» بحماس ونشاط، والاستعداد التام لعبور القناة فى عام ١٩٤٣، ان أمكن ، فى حين كان من رأى رؤساء أركان الحرب الأمريكيين بذل غاية الجهد فى محاولة عبور القناة والصمود فى شمالى افريقيا ، وهكذا غدت القضية معقدة ، ولم يكن فى الامكان حلها الا باجتماع أعقده مع الرئيس ، ولذا قررنا بعد نقاش طويل أن نجتمع فى الدار البيضاء لبحث الموضوع والبت فيه ، وذهبت الى هناك فى الثانى عشر من ينـاير عام ١٩٤٣ ، وكانت رحلتى مشـوبة ببعض القلق ، وكان المسـئولون عن طائرتنا «الفدائى» قد أعدوا مدفأة غازية لتوليد الحرارة ، وكانت قوتها شديدة ، وقد أفقت من نومى فى الساعة الثانية صباحا وكنا فوق الأطلنطى على بعد خمسمائة ميل من أقرب نقطة برية ، وأحسست بالحرارة تحرق أصـابع قدمى وخيل الى أنها ستبلغ حد الاحتراق بعد قليل وتشعل النار فى الفراش، ولهذا فقد أيقظت بيتر بورتال ، الذى كان نائمـــا فى مقعده ووجهت نظره الى الجهة المنبعثة منها الحــرارة ، وهبطنا معا الى المكان الذى تحفظ فيه القنابل فى الطائرات ، حيث كانت الطـائرة من قاذفات القنابل ، فوجدت رجلين يعملان فى جد ونشـــاط للابقاء على جهـاز الحرارة الغازى مشتعلا ، وقد خيل الى أن هذه العملية خطرة من جميع نواحيها ، لما يمكن أن يسببه الجو البترولى بسبب اشتداد الحـرارة من احتمـــال الانفجار ، وقد وافقنى بورتال على رأيى ، ولذلك فقد فضـلت ان نتجمد من البرد على أن نحترق ، وأمرت فى الحال باطفاء أجهزة التـــدفئة ، وعدنا الى الراحة ونحن نرتجف من شـــدة البرد الثلجى حيث كنا على ارتفاع ثمـانية آلاف قدم فى الجو وهو الأرتفاع الذى تحتم علينا ان نطير عليه لنكون فوق السحاب ، وأود أن اعترف بأن هذه الفترة كانت من الفترات السيئة التى مرت بى .

وعندما وصلنا الى الدار البيضاء ، وجدنا استعدادات طيبة فى انتظارنا حيث وجدنا هناك فندقا كبيرا به عدد كبير من الغرف تكفى لنزول جميع الضـــباط البريطـانيين والأمريكيين ، وقاعات كبيرة للمؤتمرات ، وكان يوجد بجوار هذا الفندق عدد من البيوت المريحة خصصت لاقامة الرئيس واقامتى واقامة الجنرال جيرو ، والجنرال ديجول اذا قرر الحضور ، وأحيطت المنطقة كلها بالأسلاك الشـائكة وتولى الجنـود الأمريكيون حراستها ، وكنت قد وصلت الى الدار البيضاء قبل وصول الرئيس بيومين مع أركان حربى ، وكنت أسير

فى بعض الأحيان مع باوند وغيره من رؤساء أركان الحرب على الصخور وعلى الشاطىء حيث كانت الأمواج الرائعة تتكسر على الصخور مرغية مزبدة ، مما يجعل النزول الى البر معجزة من المعجزات ، ولم يمر علينا يوم هادىء مطلقا ، حيث كان ارتفاع الأمواج يبلغ خمسة عشر قدما وكان تكسرها فوق الصخور يتخذ شكلا مخيفا ، مما سبب انقلاب عدة قطع من سفن الانزال وعدة زوارق بما عليها من الرجال، وفى هذه الاثناء جاء ولدى راندولف من الجبهة التونسية ، حيث كان هناك الكثير مما يتحتم علينا أن نفكر فيه ، كما كان رؤساء أركان الحرب يجتمعون ويتشاورون ساعات كل يوم .

وقد وصل الرئيس بعد ظهر اليوم الرابع عشر من الشهر ، كان لقاء حار بيننا ، وكان أشد ما أبهجنى أن أرى زميلى العظيم هنا على هذه الأرض المحتلة أو المحررة ، التى تمكنا معا من الاحتفاظ بها ، على الرغم من نصيحة مستشاريه العسكريين ووصل الجنرال ايزنهاور فى اليوم التالى بعد طيران محفوف بالخطر ، وكان تواقا لمعرفة ماستقرره القيادة المشتركة ، وأن يظل على اتصال بهم ، وكانت صلاحيتهم دائما فوق صلاحيته ، وبعد يوم أو يومين ، وصل الكساندر ، وقدم الى والى الرئيس تقريرا عن سير تقدم الجيش الثامن ، قد أثر القائد البريطانى أشد التأثير على الرئيس ، اذ استهوته شخصيته والأنباء التى حملها ، والتى ذكر فيها ان الجيش الثامن سيستولى على طرابلس فى المستقبل القريب جدا ، وأوضح لنا أن مونتجمرى الذى كان يتولى قيادة فيلقين قويين ، انتزع جميع المعدات من أحدهما وسلمها الى الفيلق الثانى ، لاعتقاده بأنه على جانب كبير من القوة لارغام روميل على التراجع غربا عبر طرابلس الى خط ماريث القائم على الحدود ، والذى يؤلف حاجزا مانعا بالفعل ، وقد أثلجت هذه الأنباء أفئدة الجميع وفاضت مشاعرهم بالسرور .

وبعد عشرة ايام من الدرس المتواصل للقضايا الاساسية توصل رؤساء أركان الحرب للقيادة المشتركة الى الاتفاق ، وكنت أنا والرئيس على اتصال يومى بهم وعلى علم بما يتم الاتفاق عليه لاقراره ، وقد اتفق على أن نحشد كل ما نستطيع من قوات لاحتلال تونس سواء بوساطة جيش الصحراء وكل ما يمكن للبريطانيين أن يزجوا به من الجنود فى المعركة ، أو بوساطة جيش ايزنهاور أو بهما معا ، وأن يكون الكسندر نائبا لايزنهاور وقائدا فعليا لجميع العمليات الحربية ، ووصلنا الى اتفاق أيضا على الخطورة التالية وهى الهجوم على صقلية أو سردينيا ، وكان من رأيى أن تكون صقلية الهدف التالى وأيدنى فى ذلك رؤساء أركان الحرب بالقيادة المشتركة ، أما واضعو الخطط المشتركة من الناحية الأخرى ومعهم اللورد مونتباتن فكان من رأيهم أن نهاجم سردينيا أولا ، لأن فى امكاننا أن نقوم بهذا العمل قبل ثلاثة أشهر من الوقت المحدد للعملية التالية ، وقد تمكن مونتباتن من اقناع هوبكنز والآخرين برأيه ، ولكنى تشبثت بوجهة نظرى وأصررت على الهجوم على صقلية وأيدنى فى ذلك جميع رؤساء أركان الحرب ، وهكذا أذعن واضعو الخطط لرأيى الا انهم قالوا انه لا يمكن البدء فى هذه العملية قبل الثلاثين من شهر اغسطس ، وهنا تدخلت شخصيا فى هذه المرحلة ،

ودرست معهم جميع الأرقام ، ثم أصدرت مع الرئيس أوامرنا بأن يكون يوم الغزو خلال فترة البدر فى شهر يوليو أو أن أمكن خلال هذه الفترة من شهر يونيو ، وبالفعل بدأت عملية الهبوط من الجو ليلة التاسع من يوليو ،كما بدأ النزول من البحر فى صباح العاشر من الشهر نفسه .

وفى اثناء ذلك أثير موضوع ديجول، فقد أزال مصرع دارلان على الرغم من وحشيته عقبة من طريق الحلفاء ، اذ حررهم من مشكلة التعاون معه ، وقد انتقلت سلطاته بيسر الى المنظمة التى تم تكوينها بالاتفاق مع الامريكيين خلال شهرى نوفمبر - ديسمبر ،وملأجيروالفراغ الذى خلفه دارلان ، وأصبح الطريق ممهدا أمام القوات الفرنسية فى شمالى افريقيا وغربيها ، للانضمام الى حركة فرنسا الحرة التى يتزعمها ديجول ، لكى يجتمع شمل الفرنسيين فى العالم بعيدا عن السيطرة الألمانية ، وكنت شديد الرغبة فى ذاك الآن لدعوة ديجول الى الحضور ، وقد وافقنى الرئيس على رأيى هذا ، وطلبت من المستر روزفلت أن يبرق اليه داعيا اياه للحضور ، ولكن الجنرال رفض تلبية الدعوة عدة مرات ، وهنا طلبت من ايدن ان يضغط عليه بشدة حتى ولو اضطر الى تهديده بأنه فى حالة اصراره على عدم الحضور ، فاننا سنجد أنفسنا مضطرين الى وجوب استبداله بآخر على رأس حركة التحرير الفرنسية فى لندن ، وقد وصل أخيرا فى الثانى والعشرين من يناير ، وفى الحال هيىء له المنزل المجاور لبيت الجنرال جيرو ، ولما كان غير راغب فى زيارة جيرو فقد انقضت عدة ساعات قبل أن نتمكن من اقناعه بالاجتماع به ، وبعد ذلك اجتمعت بديجول فى جو عاصف فأوضحت له بأنه اذا استمر على وضع العراقيل فى طريقنا فاننا لن نتردد على قطع كل علاقتنا به ، وقد ظل صامدا فى موقفه ، وخرج من حجرتى الى الحديقة شامخا بأنفه ،الا أن رجالنا تمكنوا أخيرا من اقناعه بالتحدث الى جيرو ، وقد استغرق الاجتماع ساعتين أو ثلاثا ، واتفقا فيما بينهما على كل شىء ، وتوجه بعد ظهر ذلك اليوم لمقابلة الرئيس ، وقد سررت جدا لأن الرجلين تفاهما تماما بصورة لم نكن نتوقعها ، وقد استهوت الرئيس تلك « النظرة الروحية فى عين الرجل » الا انه لم يكن فى وسعنا أن نصل بهما الى اتفاق .

وسيجد القارىء فى صفحات هذا الكتاب، بعض البيانات القاسية عن ديجول مستمدة من أحداث الساعة ووقائعها ، ولاريب أننى لقيت من الرجل مشكلات مستمرة ، اذ أثار لى الكثير من المتاعب والخلافات، ولكن علاقتنا ظلت باقية تحت سيطرة عنصر قوى ، فلم يكن فى وسعى أن أعتبره ممثلا لفرنسا الأسيرة والخائفة ولا حتى لفرنسا التى كان من حقها أن تقرر لنفسها حرية المستقبل الذى تريده ، وكنت أعرف أنه لا ينطوى على أى شعور بالصداقة لانجلترا ، الا اننى كنت أرى فيه دائما تلك الروح وذلك المفهوم الذى ستحملهما فرنسا أبد الآبدين عبر صفحات التاريخ ، وكنت أحب فيه هذا المظهر المتعجرف وأعجب به وان كنت اتضايق منه فهو هنا لاجىء ومنفى من بلاده لصدور حكم الاعدام ضده ، وكان فى وضع يعتمد فيه كل الاعتماد

على نوايا الحكومة البريطانية الطيبة ، وعلى نوايا الحكومة الامريكية أيضا فى الوقت الحاضر ، وقد احتل الألمان بلاده ، وليس له موطىء قدم حقيقى فى أى مكان ، ومع ذلك فهو يتحدى كل انسان ، وكان يبدو لى حتى فى أسوأ حالاته وتصرفاته معبرا عن شخصية فرنسا ، تلك البلاد العظيمة بكل كبريائها وعظمتها وطموحها، وكان يقال استهزاء به وسخرية منه انه يعتبر نفسه ممثلا حيا لجان دارك ، التى قيل ان أحد أجداده قد عمل معها ، ولكنى لم آكن أرى فى مثل هذا القول موضعا للغرابة ، كما كان يقال انه يحاول التشبه بكليمنصو ، ولكن هذا كان أكثر منه حكمة وأوسع خبرة فى الشئون السياسية ، ولكن الرجلين كانا من الفرنسيين الذين لا يخنعون ولا يستكينون .

وهناك نقطة أخرى تستحق الذكر ، فقد بعثت الى وزارة الحرب تقريرا بما يلى :

« لقد اقترحنا اعداد بيان عن اعمال المؤتمر ، لاذاعته عن طريق الصحافة فى الوقت المناسب ، ويسرنى أن اعرف رأى وزارة الحرب فى أن يتضمن هذا البيان اعلانا من جانب الولايات المتحدة والامبراطورية البريطانية يؤكد عزمها على المضى فى الحرب قدما ودون هوادة الى أن تستسلم المانيا واليابان استسلاما مطلقا بلا قيد أو شرط ، واذا حذفنا ايطاليا فقد يشجعها هذا الاغفال على الخروج من الحرب ، وقد حبذ الرئيس الفكرة ، ولا ريب انها تستثير أصدقاءنا فى كل مكان »

ويهمنى أن يلاحظ القارىء ، أن استخدام الرئيس لعبارة « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » عند اجتماعه التالى برجال الصحافة ، قد أثار قضايا سيتكرر ظهورها فى هذه القصة ، وستكون موضع الجدل والنقاش لمدة طويلة ، فهناك مدرسة فكرية فى كل من انجلترا وأمريكا ، قالت ان هذه العبارة قد أطالت أمد الحرب ، وكانت عاملا مساعدا للديكتاتوريين ، فى الدفع بشعوبهم وجيوشهم الى حالة اليأس والقنوط ، لكننى لم اوافق هذه المدرسة الفكرية على رأيها ، لاسباب سأعرضها فى سياق هذه القصة ، ولما كانت الذاكرة تخون المرء أحيانا فمن الخير كل الخير أن أسرد الحقائق كما وردت فى سجلاتى ووثائقى .

هذا وقد دونت وزارة الحرب فى سجلاتها ، أن هذا الموضوع اثير فى الجلسة التى عقدتها ظهر اليوم العشرين من يناير ، وقد اتجه النقاش لا الى عبارة الاستسلام بلا قيد ولا شرط من ناحية المبدأ ، بل الى استثناء ايطاليا منه وقد بعث الينا المستر أتلى والمستر أيدن فى الحادى والعشرين من الشهر بالرسالة التالية :

« استقر رأى الوزارة على أن سيئات استثناء ايطاليا أكثر من حسناته ، نظرا لما قد يثيره هذا الاستثناء من مخاوف حتمية فى تركيا والبلقان وغيرهما ، يضاف الى ذلك عدم الاقتناع بأن أثر الاستثناء سيكون نافعا ومجديا لايطاليا ، فمعرفة الشعب الايطالى بكل ما سيلقاه من قسوة وشدة سيكون أكثر تاثيرا على معنوياته من مثل هذا الاستثناء »

ولهذا فان وزارة الحرب لم تعرب عن عـدم موافقتها على عبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » المقترح تضمينها فى بياننا المشترك الذى كنا فى سبيل اعداده ويتضح من هذا جليا أن رغبة وزارة الحرب كانت فى عدم استثناء ايطاليا من هذا الشرط ، ولا أذكر كما لا تشير وثائقى الى أنه قد دار الحديث بينى وبين الرئيس حول هذا الموضوع بعد أن وصلتنى رسالة وزارة الحرب ، ومن المحتمل أن يكون ضغط العمل ، ولاسيما بحث العلاقات بين جيرو وديجول ، واجتماعاتنا بهما قد صرفنا عن هذا الموضوع ، وقد كان مستشارونا ورؤساء أركان الحرب فى هذه الاثناء يشرفون على اعداد البيان المشترك الذى جاء وثيقة رسمية أعدت بعناية فائقة ، حيث نالت موافقتنا أنا والرئيس بعد أن قمنا بدراستها ، ومن المحتمل ، أنه بسبب عـدم رغبتى فى تطبيق « الاستسلام بلا قيد أو شرط » على ايطاليا ، أننى لم أثر هذا الموضوع من جديد مع الرئيس ، وجاء البيان خاليا من أى ذكر لعبارة « الاستسلام بلاقيد أو شرط » ولما عرضته على وزارة الحرب ، وافقت عليه فى صيغته النهائية .

ولذلك فقد دهشت جدا ، عندما سمعت الرئيس يتحدث بعد ذلك فى مؤتمره الصحفى فى الرابع والعشرين من يناير ، ويقول أننا سنفرض « الاستسلام بلا قيد أو شرط » على جميع أعدائنا ، حيث كان من المفروض أن البلاغ الذى اتفقنا عليه قد نســخ ما قبله من أحاديث ، وقد دهش أيضا الجنرال ايسماى لانه كان يعرف ما يدور بخلدى ، والذى شهد جميع المحادثات التى دارت بين رؤساء أركان الحرب عندما تم اعداد البلاغ ، ولذلك فانه عندما ألقيت خطابى بعد الرئيس « فى المؤتمر الصحفى » كان لزاما على أن أؤيده تمام التأييد ، وأن أوافق على كل كلمة قالها ، لان كل خلاف بيننا حتى ولو كان غير مقصود ، سيؤثر فى مثل هذه الظروف تأثيرا سـيئا وضـارا بمجهودنا الحربى ، وهكذا فقد تحملت نصيبى من المسئولية بالاشتراك مع وزارة الحرب البريطانية .

وقد اتضح أن ماذكره الرئيس لهوبكنز فى هذا الصـدد كان باتا ، فقد قال « لقد عانينا الكثير من المشقة فى الجمع بين هـذين الجنرالين الفرنسيين ، حتى بدا لى أن الجمع بينهـما لم يكن أقل صعوبة من الجمع بين جرانت ولى « فى الحرب الاهلية الامريكية » وفجأة وجدت أمامى المؤتمر الصحفى ، ولم يكن فى وسعى أنا وونستون أن نستعد له ، وسرعان ما طافت بخاطرى هذه الفكرة ، وهى أن جرانت قد طلب اليه فيما مضى « الاستسلام بلا قيـد ولا شرط » وفجأة ودون ما ارادة وجدت نفسى أنطق بهذه العبارة .

وقد تكون ذكريات الحرب جلية وواضحة ، ولكن يجب ألا يركن المرء اليها دون تثبت أو تحقيق ، ولاسيما اذا كانت تتعلق بتسلسل الاحداث ولا ريب فى أنه قد صدرت عنى عدة بيانات خاطئة عن حادثة « الاســتسلام بلا قيد ولا شرط » ذلك لاننى كنت أقـول ما يجول بخاطرى واعتقده فى تلك اللحظة دون الرجوع الى السجلات والوثائق ،

ولم اكن أنا الوحيد الذى خانته ذاكرته ، ذلك لان المستر أرنست بيفن افضى ببيان مزعج فى الحادى والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٩ فى مجلس العموم ، تحدث فيه عن المتاعب التى واجهته فى اعادة بناء المانيا بعد الحرب بسبب سياسة « الاستسلام بلا قيد ولا شرط » لانه « كما قال » لم يستشر هو ولا وزارة الحرب فيها عند اعلانها ، وقد رددت عليه ببيان فى الحال لا يقل عن بيانه بعدا عن الدقة ولكن فى حسن النية ، فأعلنت أننى سمعت هذا الكلام لاول مرة على لسان الرئيس فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى الدار البيضاء ، وعندما عدت الى البيت فى ذلك اليوم ، ورجعت الى وثائقى ، رأيت الحقائق التى سردتها هنا ، وتذكرت فى الحال قصة ذلك الاستاذ الذى اجتمع اليه طلابه المخلصون عندما داهمته المنية ، يطلبون منه نصحيته الاخيرة لهم فقال : « تحققوا من الاقوال التى تقتبسونها » .

وعلى الرغم من أعجاب الناس بعبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » فى حينها الا انها اعتبرت بعد ذلك لدى الكثير من الاوساط ، كواحدة من الاخطاء العظيمة التى وقعت فيها السياسة الانجليزية ــ الامريكية ، وأحرى بنا أن نتناولها بالبحث الآن ، فقد قيل أنها كانت سببا فى اطالة أمد الحرب ، وأنا لا أعتقد فى صحة هذا القول ، وكان السبب الرئيسى « فى معارضتى المستمرة فى اصدار بيان آخر يتضمن شروطنا للسلام وهو ما كان يلح علينا فى اصداره » هو ما كنت أعتقده بأن اى بيان يتضمن الشروط الحقيقية والتى تصر عليها دول الحلفاء الثلاث الكبرى والتى يفرضها الرأى العام علينا ،ستكون قاسية جدا . ولا يمكن أن نمحو من الأذهان عبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » خصوصا لدى الألمان ، وانى لأذكر عدة محاولات جرت لوضع مسودة شروط السلام التى يمكن أن يرضى عنها المحتلون لألمانيا ، وقد بدت هذه الشروط لى مزعجة وقاسية عندما دونت على الورق ، وفاقت فى الحقيقة وفى قسوتها كل ما عمل حتى الآن ، حتى ان مجرد نشرها كان كفيلا بأن يستثير المقاومة الالمانية .

وقد أوضحت فى عدة بيانات عامة افضيت بها ، ما انتويت أنا والرئيس عمله فعلا .

وقلت فى مجلس العموم فى الثانى والعشرين من فبراير عام ١٩٤٤ ما يلى :

« ان اصطلاح عبارة « الاستسلام بلا قيد أو شرط » لا تعنى مطلقا ان الشعب الالمانى سيتعرض للاستعباد أو الدمار ، وان ما تعنيه فعلا هو أن الحلفاء لن يكونوا ملزمين بأى شىء تجاه الالمان فى لحظة الاستسلام ، أو مقيدين بأى حلف أو التزام ، « والاستسلام بلا قيد ولا شرط » يعنى أن المنتصرين سيكونون مطلقى الايدى . ولكنه لا يعنى اطلاقا أن من حقهم أن يسلكوا سلوكا وحشيا ، أو أن يمحوا اسم المانيا من خريطة أوروبا ،وأننا سنحكم ضميرنا ازاء موقفنامن الحضارة والمدنية ، ولن نلتزم بشىء تجاه الالمان نتيجة لاى عملية من عمليات المساومة ، وهذا هو معنى « الاستسلام بلا قيد أو شرط » وبهذا التفسير زال كل سوء فهم لدى الالمان عن هذا التعبير » .

وكان لزاما علينا أن نختتم مباحثاتنا ، فعقدنا آخر جلسة رسمية أخيرة مع رؤساء أركان الحرب فى الثالث والعشرين من يناير ، عندما قدموا الينا تقريرهم الاخير عن مشروع « ادارة دفة الحرب فى عـــــام ١٩٤٣ » ويمكن تلخيص هذا التقرير على النحو التالى :

« يجب أن تظل المهمة الاولى الملقاة على عاتق الامم المتحدة أولا القضاء على الغواصات ، وثانيا مد القوات السوفيتية بأكبر كمية من المؤن التى يكون فى وسعنا نقلها الى روسيا ، وأن نستهدف من العمليات الحربية فى الجبهة الأوربية هزم ألمانيا فى عام ١٩٤٣ ، بأقصى ما يمكن للامم المتحدة أن تحشده من قوات ضدها .

وستكون الخطوط الرئيسية للهجوم على النحو التالى :

« فى البحر الابيض المتوسط »

ا ــ أن نستهدف من احتلال صقلية ما يلى :

١ ــ تأمين سلامة خطوط المواصلات فى البحر الابيض المتوسط .

٢ ــ تخفيف الضغط الالمانى عن الجبهة الروسية .

٣ ــ تشديد الضغط على ايطاليا .

ب ــ بذل الجهود الممكنة الفعالة لدى تركيا حتى تكون حقيقة لنا .

« استمرار العمليات فى المحيط الهادى والشرق الاقصى بقصد الضغط على اليابان ، الى أن نبدأ الهجوم الكاسح عليها فور هزيمة ألمانيا ، على أن تظل هذه العمليـــات فى حدود النطـاق الذى يشير به رؤساء أركان القيادة المشتركة ، انه لن يؤثر على قدرة الامم المتحدة عندما تحين الفرصة المناسبة لايقاع الهزيمة بألمانيا فى عام ١٩٤٣ .

وأخيرا عقدنا مؤتمرا صحفيا صباح الرابع والعشرين من يناير حيث حضره ديجول وجيرو وجلسا فى صف واحد معى ومع الرئيس روزفلت بعد أن أرغمناهما على أن يتصافحا أمام الجمهور وامام حشد ضخم من رجال الصحافة والمصورين ، وقد تصافحا بالفعل ، وليس فى وسع الانسان أن ينظر الى هذا الحادث حتى فى مثل هذه الايام المليئة بالمآسى دون أن يضحك ، هذا وقد ظل وجودى أنا والرئيس روزفلت فى الدار البيضاء سرا من الاسرار التى حوفظ عليها بكل دقة وعناية ، حتى أن رجال الصحافة عندما رأونا أمامهم لم يصدقوا عيونهم ، كما لم يصدقوا آذانهم عندما سمعوا أننا كنا هنا منذ أسبوعين .

وبعد هذا الزواج الاكراهى بين ديجول وجيرو ــ وهو الاسم الذى أطلقته الصحافة الامريكية على هذا الحادث ــ والذى عانينا الكثير من المتاعب فى ســـبيل تحقيقه ، ألقى الرئيس خطابه أمام رجال الصحافة وقد أيدته فى كل كلمة قالها .

ولما استعد الرئيس لمغادرة المدينة ، قلت له ليس فى وسعك أن ترحل ، بعد أن قطعت كل هذه المسافة الطويلة لتصل الى شمالى افريقيا ، دون أن ترى مدينة مراكش ، وطلبت منه أن نقضى فيها

يومين ، لنرى معا مغيب الشمس على ثلوج جبـــال الاطلس ، كما ألححت على هارى هوبكنز ايضا بقبول هذا الاقتراح وكان هناك منزل رائع للغاية ، لم أكن أعرف عنه شيئا ، حيث كان نائب القنصـــل الامريكى المستر كنيث بيندار ، قد استأجره من سيدة أمريكية تدعى تيلور ، وكان واسعا يصلح لايوائى انا والرئيس ، فضلا عما كان يحتويه من غرف خارجية لايواء أفراد حاشيتنا ، وهكذا تقرر أن نمضى جميعا الى مراكش ، وركبت انا والرئيس سيارة واحدة قطعنا بها مسافة مائة وخمسين ميلا من الطريق الصحراوى بين الدار البيضاء ومراكش ، وكانت خضرة الربيع قد بدات فى الظهور ، قبل أن نصل الى هذه الواحة المشـــهورة ، وكنت دائما أصـــف مراكش بأنها « باريس الصحراء » حيث تؤمها القوافل من جميع انحاء افريقيا الوسطى منذ قرون طويلة ، لتدفع الجزيات الباهظة لقبائل الجبال قبل وصولها اليها ، حيث يستمتعون بمباهج الحياة فى المدينة ، ومن بينها قراءة الطالع ، وسحر الافاعى ، والمطاعم والمشارب ، وكان لكل هذه المباهج فى مراكش شهرة مدوية منذ أقدم العصور .

وأمضيت مع الرئيس فى السيارة زهاء خمس ساعات قطعناها فى أحاديث مهمة تخللها بعض النكات ، فى حين انتشر الوف الجنود من الامريكيين على طول الطريق لحمايتنا من أى خطر ، كما ظلت الطائرات تحوم فوقنا بلا انقطاع حتى وصلنا فى المساء الى المنزل ، حيث أقام لنا المستر بيندار وليمة عشاء كبيرة ، وصعدت مع الرئيس الى برج المنزل ، بعد أن حملوه فى مقعده ، وجلسنا نســـتمتع برؤية مغيب الشمس وراء ثلوج جبال الاطلس ، ومعنا خمسة عشر أو ستة عشر شخصا وهم الذين حضروا معنا مأدبة العشاء ، وكان يعمنا السرور والبهجة وأنشــدنا جميعا أعذب الاناشيد ، وغنيت بمفردى ، فى حين اشترك الرئيس مع فرقة « الكورس » ولما أراد الرئيس أن يغنى أغنية على انفراد منعه أحد رجال حاشيته .

ولما كان على الرئيس أن يغادر مراكش فجر اليوم الخـــامس والعشرين فى رحلته الجوية الطويلة عن طريق لاغوس وداكار فالبرازيل ، ومنها الى واشنطن ، فقد افترقنا بعد ان ودعنا بعضا بعضا ليلة السفر ، ولكنه جاء فى الصـــباح ، وهو فى طريقه الى الطائرة ، ليكرر الوداع ، وكنت لا أزال فى الفراش ، ولما كنت لا أسمح بأن يمضى وحيدا الى المطار ، فقد قفزت من الفراش ووضعت على وشاحى ، ومضيت بهذه الصورة غير الرسمية الى المطار ، ولما وصلت الى الطائرة ، رأيته يجلس فى مقعده مرتاحا ، فاعجبت بما يبدو عليه من شجاعة على الرغم مما يعانيه من عاهة جسدية ، وفى الوقت نفسه كنت أشعر بالقلق من المخاطر التى سيخوض غمرتها فى طريق عودته ، ولو اننا كنا متعودين على هذه الرحلات الجوية فى أثناء الحرب ، الا أننى ظللت اعتبرها من المغامرات الخطرة دائما ، ولكن من حسن الحظ أن كل شىء سار على ما يرام ، ثم عدت الى المنزل بعد أن ودعته حيث قضيت يومين آخرين كنت فيهما على اتصال مستمر مع وزارة الحرب للتشاور حول حركاتى المقبلة .

تركيا . ستالينجراد . تونس

وقد طرأ على الوضع الاستراتيجي للحرب في البحر المتوسط ، تحول أساسي بسبب احتلال قوات الحلفاء للشمال الافريقي واستيلائها على قاعدة ثابتة على شاطئه الجنوبي ، أمكنها أن تجعل منها قاعدة امامية للحركة ضد العدو في أوروبا ، ولما كنت أنا والرئيس نبحث منذ أمد طويل عن فتح طريق جديد لامداد روسيا ، وتوجيه ضربة الى جناح ألمانيا الجنوبي ، ولما كانت تركيا هي مفتاح جميع هذه الخطط ، فقد استهدفنا منذ عدة أشهر ، أن نقنع تركيا بدخول الحرب الى جانبنا ، وكان هذا هو أملنا الجديد الآن لما لها من أهمية ومظهر بارز كل البروز لنجاح خططنا .

ولما كان ستالين متفقا معي ومع الرئيس على هذا الموضوع ، فقد صممت على أن أعالجه بنفسي ، في اجتماع أعقده مع الرئيس اينونو على الارض التركية ولما كانت هناك أيضا مشاغل عدة تنتظرني في القاهرة ، كما أملت في أن أزور الجيش الثامن في طريق عودتي الى الوطن ، على أن تكون زيارتي له في طرابلس التي كاد يحتلها في ذلك الوقت ، ثم أقوم بزيارة الجزائر أيضا ، حيث كان هناك مشكلات كثيرة في وسعي أن أحلها في مكانها ، ولهذا فقد أبرقت من الدار البيضاء الى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية اقترح عليهما أن أطير من مراكش الى القاهرة لاقضي بها يومين أو ثلاثة ثم اتصل اتصالا مباشرا بالاتراك .

وقد ردت وزارة الحربية بأنها تعتقد أن الاتصال المباشر بتركيا ما زال سابقا لاوانه ، وطلبت مني العودة مباشرة الى لندن ، لاقدم تقريرا الى البرلمان عن اجتماعي بالرئيس روزفلت ، ولكن بعد تبادل عدة برقيات وافقت الوزارة على خطتي ، وبعد أن تناولنا العشاء في منزل السيد بيندار في مراكش ، امتطينا الطائرة « الفدائي » مساء السادس والعشرين ، وقد نمت نوما عميقا ولما استيقظت عند الفجر وجدت نفسي أجلس في مقعد مساعد الطيار بجانب قائد الطائرة فاندر كلوت ، أرقب معه للمرة الثانية شروق الفجر على مياه النيل ، ولم نكن في هذه المرة مضطرين الى الهبوط بعيدا في اتجاه الجنوب ، لان انتصارنا في العلمين كان قد جرف أعداءنا مسافة ألف وخمسمائة ميل الى الغرب ، ونزلنا في المطار الذي يبعد عشرة أميال عن الاهرام ، حيث كان في انتظارنا السفير اللورد كليرن ورجال القيادة العامة في القاهرة ، واتجهنا فورا الى السفارة ، حيث وجدت السير الكساندر كاوجان الوكيل الدائم لوزارة الخارجية الذي أوفدته وزارة الحربية الى القاهرة تلبية لطلبي ، وكان في وسعنا أن نقارن الآن بين أوضاعنا

الحالية ، وبين ما كنا عليه فى شهر أغسطس عام ١٩٤٢ ، وأن نشعر باحساس من الرضا والراحة .

وعندما وصلتنى الرسائل التى تشير الى أن الرئيس التركى عصمت اينونو قد أعرب عن سروره لفكرة الاجتماع المقترح ، واتخذت الترتيبات لاعداده فى « أطنه » على الشاطىء على مقربة من الحدود التركية ـ السورية ، على أن يتم فى الثلاثين من يناير ، توجهت فى طائرة « الفدائى » لمقابلة الزعماء الاتراك وقد قطعنا المسافة فى أربع ساعات ، ونحن نطير فوق البحر الابيض المتوسط بالقرب من سواحل فلسطين وسورية ، ومعنا طائرة اخرى استقلها كادوجان والجنرالات بيروك والكساندر وويلسون وغيرهم من القادة والضباط ، وقد لقينا بعض المشقة فى اثناء الهبوط فى ذلك المطار التركى الصغير ، وما كدنا ننتهى من مراسم الحفاوة والاستقبال ، حتى ظهرت مجموعة من الدبابات المطلية بالميناء تزحف قادمة من الجبال ، تحمل الرئيس التركى وجميع أعضاء حكومته والماريشال شاقماق ، وقد استقبلونا بمنتهى الحفاوة والحماس ، واعدت لنا جملة عربات فى القطار لنزولنا واستراحتنا لعدم وجود مكان آخر قريب نستريح فيه ، وقد قضينا ليلتين فيه ، حيث كانت تدور محادثات يومية طويلة مع الاتراك ، وأحاديث ودية فى اثناء وجبات الطعام مع الرئيس اينونو .

وقد دارت معظم المحادثات حول موضوعين ، أولهما ، بناء عالم ما بعد الحرب واقامة منظمة دولية ، وثانيهما ، مستقبل العلاقات بين تركيا وروسيا ، وأرى أن أسرد هنا بعض الملاحظات التى تلوتها على مسامع القادة الاتراك وفقا لسجلاتى الخاصة ، فقد ذكرت لهم أنى اجتمعت بستالين ومولوتوف ، وأن الرجلين يرغبان فى اقامة ارتباط سلمى وودى مع المملكة المتحدة والولايات المتحدة ، حيث فى وسع الدولتين الغربيتين أن تقدما الكثير من العون فى الحقل الاقتصادى لروسيا ، ومساعداتهما لها فى تعويض ما لحق بها من خسائر بالغة ، ولو أننى ليس فى وسعى أن أتكهن بما سيقع بعد عشرين عاما ، الا أننا عقدنا معاهدة مدتها عشرون عاما مع روسيا ، لاعتقادى بأن روسيا ستركز جهودها فى السنوات العشر القادمة على اعادة البناء والانشاء ، ولو أنه من المحتمل أن تقع فيها تبديلات أساسية بسبب أن الشيوعية نفسها قد تعرضت للتعديل ، وانى لاومن بأن علينا أن نعيش فى علاقات طيبة مع روسيا .

واذا واصلت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة العمل متعاونتين واحتفظتا بقوة جوية متفوقة ، ففى وسعهما أن تضمنا بقاء فترة طويلة من الاستقرار ، ولا ريب فان روسيا ستستفيد من هذا الوضع ، لان لديها مناطق شاسعة متخلفة تفتقر الى التطوير ولاسيما فى سيبيريا .

وقد لاحظ رئيس الوزارة التركية بأننى أعربت عن رأيى فى أن روسيا قد تصبح من الدول الاستعمارية ، ولما كانت مثل هذه الملاحظة جديرة بأن تحمل تركيا على التحفظ والحيطة والحذر ، فقد أجبت بأن منظمة عالمية ستقوم وستكون مسئولة عن الحفاظ على السلم

والسهلامة ، وستكون أقوى من عصبة الامم السابقة ، وأضفت بأننى لا أخشى شيئا من الشيوعية ، فقال رئيس الوزارة التركية ، انه يتطلع الى شيء أكثر واقعية ، فأوروبا ملآى بالســلاف والشــيوعيين ، ومن المتوقع أن تتحول جميع الدول المهزومة الى البلشفية والسلافية اذا هزمت المانيا ، وقد رددت عليه بأن الامور لا تسير دائما الى الاسوأ ، كما يتوقع الجميع ، وحتى اذا سارت الامور على هذا النحو ، فمن الخير لتركيا أن تكون أقوى مما هى عليه الآن ، وأن تكون أوثق ارتباطا بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، واذا قدر لروسيا أن تهاجم تركيا دون أى ســبب أو مبرر ، فان المنظمة العــالمية التى تحدثت عنها ستستخدم بأسرها للدفاع عن تركيا ، وستكون الضمانات بعد الحرب الراهنة اقوى وأشد من تلك التى كانت قائمة قبل الحرب ، لا بالنسبة الى تركيا فحسب ، ولكن بالنسبة الى أوروبا بأسرها ،وفضلا عن ذلك فلن أكون صــديقا لروســيا اذا حاولت تقليد المانيا ، واذا ما حذت حذوها فان علينا أن نحشد ضدها أكبر عدد ممكن من الدول ولن أتردد عن قول هذا لستالين نفسه .

وفى الوقت الذى كانت هذه المحادثات الســياسية ذات الطابع العام قائمة على قدم وساق ، فانه كانت هناك مباحثات عسكرية أخرى يقوم بها رئيس أركان حرب الامبراطورية وغيره من القادة العســكريين البارزين ، وكانت النقطتان الاساسيتان فى هذه المباحثات هما ، أولا ــ تزويد القــوات التركية بما تحتاج اليه من عتاد قبل أن تتخذ تركيا أية خطوة سياسية بعدها ، ثانيا ــ اعداد الخطط لتعزيزها بالوحدات البريطانية فى حالة دخولها الحرب ، وقد تم صــياغة نتائج هــذه المباحثات فى اتفاق عسكرى أمكننا الوصول اليه ».

وكان القصد من محادثاتى مع تركيا ، تمهــيد الطريق أمامها للاشتراك فى الحرب فى خريف عام ١٩٤٣ ، ولكن هذا لم يحدث ، حتى بعد انهيار ايطاليا وبعد زحف الروس على الالمان من البحر الاسود ، بسبب بعض الاحداث السيئة التى وقعت فى بحر ايجة فى زمن لاحق من ذلك العام ، وهى ما سأتحدث عنها فى مكان آخر من هذا الكتاب .

وبعد ذلك طرت عائدا الى القاهرة بعد وقفة قصيرة فى قبرص ، ثم تابعت ســيرى الى طرابلس ، وكان الجيش الثامن قد احتلهــا فى الوقت المحدود وهو الثالث والعشرون من يناير ، وعندما دخلت قواتنا المدينة وجدت ميناءها محطمة تماما ، كما سد مدخلها بالسفن الغارقة، فى حين بثت فى المنافذ المؤدية اليهــا مئات الالغام ، وهو ما كنا نتوقعه فى مثل هذه الحالة ، ولذلك فانه لم تدخل أولى سفن التموين الى الميناء الا فى الثــانى من شهر فبراير ، بعد تطهيرها من الالغام ، وبعد مضى أسبوع ، كانت البواخر تنزل ما حمولته ألفا طن فى اليوم تقريبا ، وعلى الرغم من أنه ما زال أمام الجيش الثامن مسافات طويلة يتحتم عليه اجتيازها ، الا أن تموينه فى أثناء الزحف الذى امتد ألفا وخمسمائة ميل بعد العلمين ، والذى توجه فتح ميناء طرابلس بسرعة أمام سفن التموين وهو عمل ادارى رائع ، يرجع الفضل فيه الى الجنرال ليند

ســـــتيل الموجـــود في القاهرة والجنرال روبرتسون الذى كان يرافق الجيش الثامن ، ولم تحل نهاية الشهر ، حتى انضمت الى الجيش الثامن قوة فرنسية قوامها « ٢٥٠٠ » جنـــدى من القوات المختلفة التابعة لفرنسا الحرة ، بقيادة الجنرال ليكليرك ، بعد أن قطعت مسافة ألف وخمسمائة ميل عبر الصحراء ، قادمة من افريقيا الاستوائية الفرنسية ، ووضع ليكليرك نفسه دون تحفظ تحت تصرف مونتجومرى ، وقدر له ولقواته أن يلعبا دورا هاما فى المراحل المتبقية من الحملة التونسية .

وعندما اجتاز الجيش الثامن الحدود الى تونس فى الرابع من فبراير ، بعد أن تم الاســتيلاء على امبراطورية ايطاليا الافريقية فقد أصبح منذ هذه اللحظة طبقا للقرارات التى اتخذت فى مؤتمــر الدار البيضـــاء تحت قيادة الجنرال ايزنهاور مع تولى الجنرال اليكساندر بوصفه نائبا له فى القيادة التنفيذية للعمليات البرية ولعل القارىء يذكر التوجيه الذى كنت قد بعثت به الى اليكساندر عشية مغادرتى القاهرة قبل نحو من ستة أشهر ، وقد بعث الى الآن بالرد التالى :

سيدى :

« لقد نفذت الاوامر التى أصدرتها الى فى العاشر من أغسطس عام ١٩٤٢ ، وقد تم القضـــاء على جميع أعداء جـــلالته ، وما كانوا يضـــعونه من عوائق فى مصر وبرقة وليبيا وطرابلس ، وهأنا الآن فى انتظار أوامر جديدة منك »

وبعد أن قضـــينا يومين ، أقلعت من طرابلس لزيارة ايزنهاور وصحبه فى الجزائر ، وكان التوتر هنا شـديدا ، فاغتيال دارلان ، كان لا يزال يفرض الكثير من الاحتياطات لحماية جميع الشخصيات البارزة ، ونظرا لما أبدته وزارة الحرب من قلق على سلامتى واظهارها رغبتها فى أن أعود الى الوطن فى أسرع وقت ممكن ــ وطبعا كان فى هــذا الكثير من المجاملة ــ فقد طرنا ليلة الاحــد السابع من فبراير عام ١٩٤٣ عائدين رأسا وبسلام الى الوطن ، وكانت هذه هى المرة الاخيرة التى طرت فيها فى طائرة « الفدائى » لانها سقطت فيما بعد ، وقتل كل من كان فيها ، ولو أنهم كانوا غير معروفين لى .

وكان أول واجب على بعد عودتى الى الوطن ، هو أن أفضى ببيـــان مسهب أمام مجلس العموم ، عن مؤتمر الدار البيضاء ، وعن رحلتى فى البحر الابيض المتوسط ، وعن الوضع بصورة عامة ، وقداستغرق القاء الخطاب الذى أعددته فى الحادى عشر من فبراير أكثر من ساعتين ، ويبدو أنه كان يلوح على الاعياء من رحلتى ، حيث قد أصبت ببرد فى أثنائهـــا ولم تمض بضعة أيام حتى كنت طريـــح الفراش ، أعانى من زكام شديد مصحوب بالتهاب فى الحنجرة ، وفى مساء السادس عشر من الشهر وقد كنت وحيدا مع زوجتى ، ارتفعت حرارتى ارتفـاعا مفاجئا ، وقرر اللورد موران الذى كان يتولى علاجى فى ذلك الوقت أننى مصاب بالتهاب فى الجزء الاسفل من الرئة وقد وصف لى الدواء

المسمى (أ م . اند . بى) وفى اليـوم التالى عملت لى أشعة اثبتت صحة تشخيصه واستدعى الدكتور جيوفرى مارشال طبيب مستشفى « جاى » للاشتراك فى المشاورة الطبية ، وكنت على الرغم من سـوء حالتى ، أتتبع الاحداث وكانت تصلنى الاخبار وأنا فى الفراش ساعة بعد ساعة ، فأقوم بتصريفها كالمعتاد ، وعندما شعرت بنقص ملحوظ فى عدد الاوراق التى تصل الى لابداء رأيى فيها ، احتججت على ذلك، فأكد لى الاطباء وقد انضمت اليهم زوجتى ، وجوب انصرافى عن العمل كلية ، ولكننى ما كنت لاوافقهم على ذلك ، لولا أنهم ابلغونى أنى أعانى من ذات الرائة ، فقلت لهم « ولكن فى وسعكم علاجها ، ألستم واثقـين من علاجكم الجديد ؟ » فقال الدكتـــور مارشال ، انه يطلق على ذات الرئة اسم « صديقة الرجل العجوز » وعندما سألته عن السبب ، قال « لانها تمضى بالرجال الطاعنين فى السن من هـذه الحياة بهـدوء » وقد رددت عليه ردا مناسبا ، ولكننا اتفقنا على أن تصــل الى الأوراق المهمة والمباشرة فقــط ، وأن أنصرف الى مطالعة احدى الروايات ، وقد اخترت روايات « مون فلاندرز » التى كنت قد سمعت الكثير عنها ، دون أن يتوافر لدى الوقت لقراءتها والحكم عليها ، وهـكذا قضيت أسبوعا ثانيا أعانى فيه من وطأة الحمى والالم ، وهكذا لم يتيسر لى كتابة مذكراتى فى المدة من ١٩ الى ٢٥ من فبراير ، وقد ابرق الى الرئيس روزفلت والجنرال سمطس وغيرهما من الاصدقاء الذين علموا نبأ مرضى ، طالبين أن أطيــع أوامر الأطباء وفعــلا قد نفــذت أوامر الاطباء ، وعندما انتهيت من قراءة الرواية التى كنت أقرؤها ، أعطيتها للدكتور مارشال ليقرأها ، وفى الوقت نفسه كان قد تم شفائى .

هذا وقد بعث الى ستالين فى هذه الفترة ، شريطا سينمائيا عن انتصار ستالينجراد ، وقد صور تصويرا رائعا كل مادار من قتـال يائس . وأرى أن الوقت قد حان للحديث بايجـــاز واختصار عن ذلك الكفاح الحاسم الرائع الذى خاضته الجيوش الروسية .

وكان قد اشتد زحف الالمان فى اتجاه القوقاز فى أثناء صيف عام ١٩٤٢ وخريفه ومضت الامور فى البداية وفق الخطة المرسومة ، وان كانت لم تتم بالسرعة الكبيرة التى كان يأملها الالمان ، وقدتمكنت مجموعة الجيوش الالمانية الجنوبية من اخراج الروس من منحنى حوض نهر الدون الاسفل ، هذا وقد انقسمت مجموعة الجيوش الالمانية بعـد ذلك مجموعتين ، الاولى ويقودها ليست ، والثانية يقودها بوك ، وفى الثالث والعشرين من يوليو عهد هتلر الى كل من المجموعتين بالمهمة الموكولة اليها ، حيث كان على المجموعة الاولى أن تحتل السـاحل الشرقى للبحر الاسود بكامله وذلك بالاضـافة الى حقول البترول القريبة ، وأن تتقدم المجموعة الثـانية بعد اقامة جنـاح دفاعى على حوض الدون متجهة الى ستالينجراد ، وأن تحطم قوات العدوالمتجمعة فيها وتحتلها ، كما قرر هتلر أن تقوم القوات العاملة فى جبهة موسكو بالضغط عليها ، فى حين تحتل قوات جبهة لينتجراد المدينة فى مستهل شهر سبتمبر .

كما زحف جيش الصاعقة بقيادة الجنرال فون كلايست والمؤلف

من ١٥ فرقة مدرعة على القوقاز ، وذلك بعد أن عبر نهر الدون وقطع مسافة كبيرة دون أن يلقى أية مقاومة تذكر ، وقد وصل الجيش الزاحف الى حقول البترول فى ميكوب ، ولكنه فشل فى الوصول الى حقول غرزونى ، أما حقول باكو ذات الاهمية الكبيرة فكانت لا تزال تبعد ثلثمائة ميل ، كما أن القادة الالمان لم يستطيعوا احتلال ساحل البحر الاسود بأكمله تنفيذا لاوامر هتلر ، حيث صمد الروس فى كل مكان بعد تعزيزها بقوات جديدة وصلت بسرعة عن طريق السكة الحديدية على ساحل بحر قزوين الغربى فى حين لحق الضعف والاعياء بكلايست بسبب تحويل القوات الى جبهة ستالينجراد ، بعد أن ظل يكافح ويجالد وسط جبال القوقاز حتى شهر نوفمبر عندما داهمه الشتاء ، وكان قد استنفد قواه كلها .

أما المجموعة الثانية ، فقد عانت من مرارة الفشل ؛ وكان سحر اسم ستالينجراد يستهوى هتلر ، لأنها كانت احدى مراكز الصناعة الهامة فضلا عن انها كانت نقطة دفاع قويةفى الجناح الدفاعى ضد اندفاع قوات هتلر الرئيسية فى اتجاه القوقاز ،وأصبحت ستالنجراد عبارة عن مغناطيس يجذب اليه كل ما لدى الجيش الالمانى والقوة الجوية من عزم ومجهود ، هذا وقد أخذت المقاومة تشتد يومابعد يوم ، حتى ان الالمان لم يتمكنوا من الوصول الى ضواحيها الا فى الخامس عشر من سبتمبر بعد معارك ضارية فى المنطقة الواقعة بين نهرى الدون والفولجا ، كما استمرت هجماتهم طيلة الشهر التالى التى تحقق بسببها بعض التقدم مقابل خسائر فادحة ، ومع هذا فلم تستطع أية قوة من التغلب على الروس الذين كانوا يقاتلون بحماس واخلاص وسط خرائب مدينتهم ، ولذلك فان الجنرالات الالمان بدءوا يشعرون بالقلق ويحسون بالفزع والانزعاج ، لانه بعد أن مضت ثلاثة أشهر من القتال كانت لا تزال الاهداف الرئيسيةللحملة وهى « القوقاز وستالينجراد ولييننجراد» فى أيدى الروس ، بينما كانت خسارتهم فادحة وكان تعويضها متعذرا ، وكان هتلر بدلا من أن يرسل وحدات جديدة لتعوض الخسائر التى منيت بها الفرق العاملة هناك لا يشكل فرقا جديدة تفتقر الى التدريب ، وكانت سلامة التقدير العسكرى تتطلب فى ذلك الوقت وقف الزحف ولكن الرجل المغامر لا يصغى الى صوت العقل ، ولذلك فقد اضطر هولدر رئيس أركان حربه الى أن يعارضه معارضة شديدة وذلك فى نهاية شهر سبتمبر ، فكان جزاؤه الطرد من منصبه ، واستمر هتلر يدفع بجيوشه الى الامام .

وفى منتصف شهر أكتوبر ساء وضع الجيوش الالمانية سوءا ظاهرا ، حيث كانت المجموعة الثانية منتشرة على جبهة تمتد سبعمائة ميل ، وكان الجيش السادس الذى يقوده الجنرال باولوس قد أنهكت قواه وغدا منهوكا ومتعبا وكانت لاتحمى جناحاه الا قوات ضعيفة من جيوش حليفة مشكوك فى صلاحيتها ، وكان فصل الشتاء قد اقترب ، وأصبح هجوم الروس المضاد متوقعا فى كل لحظة واذا لم يكن فى الامكان الاحتفاظ بجهة الدون ، فان سلامة الجيوش العاملة فى القوقاز ستغدو مهددة الى أقصى حدود التهديد ، ومع هذا فان هتلر كان يرفض البحث

فى أى اقتراح يقضى بالانسحاب ، وفى التاسع عشر من نوفمبر شرع الروس فى هجومهم التطويقى الذى أعدوا له ببسالة منذ عهد طويل ، مستهدفين شمالى ستالينجراد وجنوبيها ، لتحطيم الجناحين الالمانيين الضعيفين ، والتقى طرفا « الكماشة » الروسية بعد أربعة أيام وبذلك وقع الجيش المانى السادس فى الفخ بين الدون والفولجا ، ولما حاول الجنرال باولوس خرق الحصار المضروب حوله ، أصدر اليه هتلر أمرا بالصمود مكانه ، وبمضى الايام أخذ الضغط يشتد على الجيش المحاصر، وأخذت شقة الارض التى يحتلها تضيق شيئا فشيئا وفى الثانى عشر من ديسمبر حيث كان الطقس باردا جدا قام الالمان بمحاولة يائسة لتحطيم الحصار الروسى وانقاذ رفاقهم المحصورين ولكن المحاولة منيت بالفشل، وعلى الرغم من أن باولوس وجيشه قد صمدا بعد ذلك التاريخ مدة سبعة أسابيع ، الا أن مصيرهما قد تقرر بعد تلك المحاولة الفاشلة

وقد بدأت محاولات جبارة لتموين جيش باولوس من الجو ، ومع هذا فلم يصل اليه الا قليل من المؤن بعد خسائر جوية فادحة ، وقد اشتد البرد الى حد مخيف ، ونفدت المواد الغذائية والذخائر ، وزاد انتشار وباء التيفود بين الجنود الذى كان سببا كبيرا فى متاعب الجيش وشقائه ، ومع هذا فقد رفض الجنرال باولوس فى الثامن من يناير انذارا نهائيا روسيا بالاستسلام ولذلك فان الروس قد شرعوا فى اليوم التالى بالهجوم العنيف من الغرب وقاتل الألمان ببسالة ومع ذلك فلم يستطيعوا احتلال خمسة أميال الا فى بحر عدة أيام ٠

واخيرا بدأت القوات الالمانية تتحطم ، ولم يحل السابع عشر من يناير حتى كان الروس قد غدوا على بعد عشرة أميال من ستالينجراد نفسها ، ثم قذف باولوس فى المعركة بكل رجل قادر على حمل السلاح ، ولكن محاولته ذهبت أدراج الرياح ، واندفع الروس فى الثانى والعشرين من جديد ، مما اضطر الالمان الى التراجع الى ضواحى المدينة التى حاولوا احتلالها ، وهكذا أصبحت بقايا جيش عظيم محصورة فى مستطيل طوله ثمانية أميال وعرضه أربعة ، وصمد الباقون تحت وطأة نيران المدفعية الحامية والغارات الجوية المستمرة فى قتال يدور فى الشوارع وقد ازدادت حالتهم سوءا ، حتى انه عندما واصل الروس ضغطهم عليهم ، بدأت هذه الوحدات المنهوكة تستسلم بالجملة ، وأسر باولوس ورجال أركان حربه وأبرق المارشال فوردلوف فى الثانى من فبراير يقول ان المقاومة قد توقفت وان عدد الاسرى بلغ تسعين ألف رجل ، وكانوا هم كل ما تبقى من جيش كان تعداده احدى وعشرين فرقة ألمانية وفرقة واحدة رومانية ، وهكذا انتهت محاولة هتلر لاحتلال روسيا عنوة ، وتحطيم الشيوعية ليحل محلها نوع من الحكم لا يقل عنها غرابة فى الطغيان الجماعى ، وسجل ربيع عام ١٩٤٣ ، نقطة التحول فى الحرب على الجبهة الشرقية، وكان المد الروسى المتزايد حتى قبل معركة ستالينجراد نفسها ، قد دفع بالألمان الى الوراء على طول الجبهة ، وتم سحب الجيش الالمانى بمهارة ونجاح من القوقاز ، ولكن الروس واصلوا الضغط على العدو ، واخرجوه من حوض الدون الى ماوراء حوض الدونتز ، وهو خط البداية فى الهجوم الذى شرع فيه هتلر فى الصيف

الماضي ، كما خسر الالمان الاراضي التى كانوا احتلوها فى الشمال ، وأصبحوا على بعد يزيد على المائتين وخمسين ميلا من موسكو ، كما تحطم الحصار المضروب على لينينجراد ، ومنى الالمان وأتباعهم بخسائر ضخمة فى الرجال والمعدات ، كما أنهم فقدوا تفوقهم على الروس برا ، وكان عليهم أن يحسبوا الان حسابا للقوة الجوية البريطانية المتزايدة والعاملة من بريطانيا وافريقيا فى وقت واحد .

الا أن النصر لم يدخل البهجة والسرور على نفس ستالين ، ولو أنه حضر مؤتمر الدار البيضاء ، لامكن للحلفاء الثلاثة أن يضعوا خطة مشتركة معا ، وبما أنه لم يحضر فقد اتفقنا على ابلاغ قراراتنا اليه بوساطة البرقيات ، وعندما عدت الى الوطن ، بعثت اليه بموافقة الرئيس على الايضاحات الاضافية عن خططنا ، وأكدت له فيها أننا سنحرر تونس فى شهر ابريل ثم نستولى على صقلية ، كما اننا سنزحف بجيوشنا لعبور المانش فى شهر اغسطس أو سبتمبر ، وقد رد على بقوله أنى لا أرى بى حاجة الى القول بأن تأخير احتلال تونس الى شهر ابريل بدلا من فبراير قد خيب الامال الى حد كبير ، كما أنه طالب بفتح الجبهة الثانية (غزو فرنسا) فى موعد أقرب من شهر اغسطس ، حتى لا نعطى للعدو اية راحة ، ولانه يرى أن توجيه الضربة اليه من الغرب فى الربيع أو فى مستهل الصيف هى من الاهمية بمكان عظيم .

كما أبرق الى فى الخامس عشر من مارس يقول « مع ادراكى تمام الادراك مالصقلية من أهمية الا أنه لايمكن الاستعاضة بها عن الجبهة الثانية فى فرنسا ، وارى من واجبى تحذيركم تحذيرا شديدا ماسيترتب عليه من أخطار على قضيتنا المشتركة اذا تأخر فتح الجبهة الثانية فى فرنسا ، وهو يثير القلق الشديد فى نفسى وأجدنى عاجزا عن السكوت عليه . » .

وكان من الواضح ، أن أقصى عون فعال يمكن لنا أن نقدمه الى الروس هو الاسراع فى تطهير شمالى افريقيا من قوات المحور ، وتوسيع نطاق الحرب الجوية على المانيا ، الا أنه على الرغم من أن زحفنا من الشرق قد فاق فى سرعته ماكنا نتوقعه ، فقد ظل وضع الحلفاء باعثا على القلق ، وكان قد أعيد تسليح مالطة ومدها بالمؤن ولذلك فقد قفزت من جديد الى مسرح النشاط والعمليات ، وكانت قواتنا البحرية والجوية التى تعمل من قواعدها الجديدة فى الجزائر وبرقة ، تجوب مناطق واسعة وتحمى طرق الحلفاء البحرية ، وتنزل بتموينات العدو ونجداته أفدح الخسائر ، وبالاضافة الى فرض الحصار على تونس ، حيث كان السلاح الجوى الألمانى لايزال قويا ، فقد أخذت طائراتنا تصل الى موانى ايطاليا ، وبدأت باليرمو ونابولى وسبيزيا تحس بوطأة الغارات الجوية مع زيادتها يوما بعد يوم وذلك بالاضافة الى الغارات التى كانت تشنها قاذفاتنا العاملة من وطننا على المدن الواقعة فى شمالى ايطاليا ، كما أن الاسطول الايطالى لم يحاول أن يتدخل ، لما كانت تعانيه ايطاليا من أزمة فى الوقود ، بالاضافة الى وجود الاسطول البريطانى وقد انقضت عدة أيام ، خلت فيها جزيرة صقلية من الوقود اللازم للبواخر التى تتولى حراسة نقل المؤن والعتاد الى تونس .

لكن كل هذه المظاهر ، لم تكن كافية لاخفاء الحقيقة الواقعة ، وهى اننا قد استنفدنا كل مالدينا من جهد فى أثناء المحاولة الفاشلة التى قمنا بها فى شهر ديسمبر لاحتلال تونس ، وعلى الرغم من أن هتلر كان عاجزا عن حماية الممر القصير الذى يصل تونس بجزيرة صقلية ، الا انه امر باعداد جيش جديد لمواجهة « الهجومين المتوقعين فى كل لحظة من الشرق والغرب » وفى ذلك الوقت عهد الى رومل بقيادة جميع قوات المحور ، فحشد فرقتين المانيتين مدرعتين شرقى فايد ليقذف بالفيلق الامريكى المواجه الى الوراء ، وليحول بينه وبين الهجوم على جناحه ومؤخرته ، عندما يشترك فى معركة حامية مع الجيش الثامن ، الذى كان يواصل ضغطه من الشرق ، وبدأ الهجوم الالمانى فى الرابع من فبراير ، وكانت قيادتنا قد أخطأت التقدير ، اذ حسبت أن الهجوم الرئيسى سيأتى من ناحية « فندق » لا من ناحية فايد ، ولهذا فقد تفرقت الفرقة الامريكية المدرعة الاولى التى يتولى قيادتها الجنرال اندرسون ، فلم يحل السابع عشر من فبراير حتى كانت « القصرين وقربانه وسبيطله فى أيدى الألمان ، واندفع رومل بعد ذلك فى اتجـاه الشمال ، فى قتال عنيف ، ولم يحل ظهر الثانى والعشرين من فبراير حتى كان رومل قد بدأ يتراجع تراجعا منظما ، وعاد خطنا الدفاعى الى ماكان عليه فى السابق ، ولكن رومل لم ينته بعد ، اذ لم تمض أربعة أيام حتى عاد يشن سلسلة من الهجمات القوية على جبهة الجيش الخامس البريطانى ، الا انه صد دون أن يحقق أى مكاسب ذات قيمة ، اما الى الشمال فقد كسب عدة أميال من الارض ، واضطرت قواتنا عند الساحل الى التراجع مسافة عشرين ميلا الى الوراء ، ثم صمدت فى مواقعها الجديدة .

وتولى الجنرال اليكساندر فى الاسبوع الاخير من شهر فبراير قيادة الجبهة كلها ، وتولى مريشال الجوتيدر فى الوقت نفسه طبقـا لقرارات الدار البيضاء قيادة القوات الجوية الحليفة ، وكانت معركة تونس قد بلغت الان قمتها ، وشن رومل فى السادس من مارس أربع هجمات رئيسية على الجيش الثامن الزاحف ، مستخدما كل مالديه من دبابات « ثلاث فرق مدرعة » ، ولكن هذه الهجمات صدت كلهـا بخسائر فادحة ، ولاريب فى أن هذه الهزائم كانت أعظم مامنى به رومل من نكسات فى الحرب الافريقية كلها ، كما كانت فى الوقت نفسه آخـر ماقام به من عمل عسكرى هناك ، فقد نقل عليلا الى المانيا ليخلفه أرنيم فى قيادته .

وواصل الجيش الثامن زحفه الى الامام ، ليطبق على مواقع العدو الرئيسية فى خط ماريت وهو خط محصن ومنظم كان الفرنسيون قد اقاموه على طول عشرين ميلا قبل الحرب لمنع الايطاليين من الهجوم على تونس ، وهاهم اولاء الايطاليون يمائون هذا الخط ويحصنونه ضد البريطانيين ، وكنا فى حاجة الى أسبوعين لاعداد العدة للهجوم على مثل هذه الخطوط الدفاعية المحصنة ، ووجهنا ضربتنا فى الاسبوع الثـالث من شهر مارس ، وأحطنا بجناح العدو وفى السابع من أبريل وبعـد قتال عنيف ، اتصلت دورية من الفرقة الهندية الرابعـة بدورية من الفيلق الامريكى الثانى وتبادلا التحية ، وهكذا فقد اتصـل الجيشان

اللذان بدآ المعركة وبعد كل منهما عن الآخر ميلا على أقل تقدير ، كما هاجمت طائراتنا من قاذفات اللهب والطائرات الامريكية « دور هوك » قافلة جوية للعدو يربو عددها على المائة طائرة ، على مقربة من رأس بون ، فتفرقت شذر مذر ودمر اكثر من خمسة عشر طائرة منها ، وفى الثانى والعشرين من ابريل اشتعلت النيران فى ثلاثين طائرة أخرى بينها عدد كبير من ناقلات الزيت ، وكانت هذه الضربة قاضية بالنسبة لعناد هتلر وأصراره على الاحتفاظ بموقع لا يستطيع البقاء فيه ولم تجرؤ اية طائرات لعدو بعد هذا التاريخ على الطيران فى اثناء النهار ، وكانت قد حملت اكثر من اربعين الف رجل واكثر من اربعة عشر الف طن من المؤن الى افريقيا .

وفى السادس من مايو ، شن اليكساندر هجومه العظيم ، وبذلت طائرات الحلفاء مجهودا هائلا ، فقامت بأكثر من الفين وخمسمائة غارة فى اليوم الواحد ، وكان سلاح المحور الجوى قد ضعف تدريجيا ، ولم يكن فى وسعه ان يقوم فى هذه الأزمة بأكثر من ستين غارة فى اليوم ، ولذلك فقد اقتربت الأزمة من نهايتها ، بعد ان احكمنا الحصار بحرا وجوا ، والذى كان سببا فى ايقاف حركات العدو منذ مدة طويلة ، كما أن مجهوده الجوى آخذ فى التوقف ، وقد تمكن الفيلق البريطانى التاسع من خرق جبهة العدو ، كما عبرت الفرقتان المدرعتان وسط قوات المشاة المعادية الطريق الموصل الى ماسيكوت والواقعة فى منتصف الطريق الى تونس ، وواصلت فى اليوم الثانى ضغطها حتى تمكنت الفرقة المدرعة السابعة من دخول مدينة تونس فى السابع من مايو ، ثم انطلقت شمالا للاتصال بالقوات الامريكية الزاحفة شرقا ، وبعد ان انهارت المقاومة الالمانية امام الجبهة الامريكية الرئيسية كما وصلت الفرقة الامريكية التاسعة الى بنزرت، وهكذا تم تطويق ثلاث فرق المانية بوساطة قوات الحلفاء فاضطرت الى الاستسلام فى التاسع من مايو .

وقد زحفت الفرقة المدرعة السادسة تتبعها الفرقة البريطانية الرابعة والفرقة المدرعة الاولى الى يمينها شرقا بعد ان عبرت مدينة تونس ، ولكن هذه القوات توقفت أمام مقاومة تم تنظيمها بسرعة على بعد بضعة أميال الى الشرق من المدينة ، الا أن دباباتنا تمكنت من الزحف على الطريق الساحلى حتى وصلت الى الحمامات على الساحل الشرقي فى مساء العاشر من مايو ، كما تقدمت فى الوقت نفسه الفرقة الرابعة فالتفت حول شبه جزيرة راس بون دون أن تلقى اية مقاومة، وهكذا سقطت قوات العدو فى الفخ .

وبعث الينا الجنرال اليكساندر فى الحادى عشر من مايو ، يقول: « أتوقع ان تنتهى كل مقاومة منظمة للعدو فى خلال الثمانى والأربعين ساعة القادمة ، وان تتم تصفية جميع قوات المحور بصورة نهائية فى بحر يومين أو ثلاثة ، واعتقد ان عدد الأسرى حتى الآن قد تجاوز المائة الف ، وان كان هذا الرقم لم يتأيد بصورة رسمية بعد .

وكان الأميرال كاننجهام قد أعد العدة لمواجهة انهيار العدو النهائى فأصدر أوامره الى جميع قواتنا البحرية بحماية مضايق

تونس والحيلولة دون اية محاولة قد يقوم بها العدو للجلاء عن تونس كما فعلنا فى دنكرك ، كما أصدر اليها أوامره أيضا فى الثامن من مايو « بأن يغرقوا ويحرقوا ويدمروا وألا يتركوا شيئا للعدو يمر » وقد حاولت بعض الزوارق الفرار ولكنها وقعت جميعها فى أيدينا وأغرقناها وقد تم اغلاق جميع الطرق فى الثامن عشر من مايو واستسلم العدو استسلاما كاملا وأبرق اليكساندر ظهر الثالث عشر من مايو يقول :

سيدى :

« من واجبى ابلاغك بأن حملة تونس قد انتهت ، وتوقفت جميع مقاومة العدو ، وأصبحنا سادة الساحل الشمالى الافريقى كله »

وليس فى وسع اى انسان ان يشك فى عظمة انتصار تونس ، انه يقف جنبا الى جنب مع ستالينجراد ، فقد أسرنا نحـــوا من ربع مليون جندى من جنود الأعداء ، ومنى العدو بخسائر فادحة فى الأرواح ، كما اغرقنا ما لا يقل عن ثلث سفن مؤنه ، وهكذا تطهرت افريقية من أعدائنا وتم انقاذ قارة واحدة على الأقل ، ولهذا فقد شعرنا فى لندن لأول مرة منذ نشوب الحرب بارتفاع صادق فى المعنويات، كما استقبل البرلمان والوزراء بالحماس وسجل شكره البالغ مع أصدق عبارات التقدير للقادة العسكريين وكنت قد أصدرت الأوامر بأن تقرع جميع أجراس الكنائس فى طول البلاد وعرضها ، ويؤسفنى اننى لم أسمع رنينها ، اذ كنت فى ذلك الوقت أؤدى عملا آخر مهما فى الطرف الثانى من المحيط الاطلسى .

اخراج ايطاليا من الحرب

لقد أخرتني أسباب مهمة جدا عن السفر الى واشنطن بعد ان انتصرنا فى افريقية ، وسألت نفسى ، ماذا سنفعل بعد ذلك ، وهل سنكتفى بجنى ثمار نصرنا فى شمال افريقية ، أو نعمل كل ما فى امكاننا لاخراج ايطاليا من الحرب ؟ وادخال تركيا الى جانبنا ؟ وهذه أسئلة كانت على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وعزمت على أن ابحث كل هذه المسائل مع الرئيس روزفلت ، مع مسألة تنسيق الخطط فى المسرح الهندى ، وذلك لحسم الخلافات الخطيرة الخفية لاننا اذا لم نقم بحدها فورا فستؤدى الى المتاعب ، والى اضعاف عملنا فى المدة المتبقية من العام ، وهذا هو السبب الذى دعانى لأن أعقد مؤتمرا مع الرئيس

ولما كنت لا زلت مريضا ، فقد قرر الاطباء أن أسافر بحرا بدلا من الطائرة ولهذا فقد غادرت لندن مع جميع أعضاء الوفد المرافق على البارجة « الملكة مارى » وكانت قد أعدت بصورة وافية لحاجتنا ، وهيئت غرف خاصة لجميع الأعضاء على السطح الرئيسى للبارجة مجهزة بالمكاتب والخرائط وبها قاعات فسيحة للاجتماعات ، ولذا فقد بدأنا نعمل فى الحال ودون توقف ، لمدة أسبوعين وتناولنا بالبحث كل ناحية من نواحى الحرب مع رؤساء أركان الحرب وعدد آخر من ضباط أركانهم ، بحضور اللورد ليثرز وكبار موظفى وزارة النقل البحرى والجنرال ايسماى وموظفى مكتبى كوزير للدفاع ، وكذلك قادة الفيالق الهندية وهم الماريشال ويفل والأميرال سومرفيل وماريشال الجو الأعلى بيرس ، وكان سبب وجود هؤلاء جميعا هو تنسيق العمل مع أصدقائنا الأمريكيين للقيام بعمليات سريعة من الهند ولمعرفة آرائهم فيما سيطلب اليهم من العمل .

وفى أثناء رحلتنا كانت اللجنة المشتركة لأركان العمليات الحربية والمخابرات تعقد اجتماعات مستمرة ، على حين كان رؤساء أركان الحرب يجتمعون مرة أو مرتين فى كل يوم ، وكنت أنقل آرائى اليهم كل صباح على شكل ملاحظات وتوجيهات مكتوبة ، كما كنت أتحدث اليهم دائما بعد الظهر أو فى المساء ، واستمرت هذه الابحاث والمناقشات طيلة أيام الرحلة ، وقد وصلنا الى قرارات خطيرة مدروسة بعناية ، كما اتفقنا اتفاقا تاما على العمليات التى يجب ان تتم فى أوروبا ، ولما كنا قد قررنا فى مؤتمر الدار البيضاء الهجوم على صقلية ، واتخذت الاستعدادات لتنفيذ هذا القرار ، ولما كان رؤساء أركان الحرب البريطانيين يرون الهجوم على البر الايطالى لاحتلال

راس جسر فى مقدمة الحذاء الايطالى يتبعه هجوم آخر على الكعب كمقدمة للزحف على كل من بارى ونابولى ، فقد اعدوا مذكرة بذلك لتسليمها الى رؤساء الحرب الأمريكيين بمجرد وصولنا الى واشنطن لتكون أساسا للمحادثات .

هذا وقد خشينا ألا يتم الاتفاق مع أصدقائنا الأمريكيين حول الجبهة الثانية فى الهند ، وكنا قد أعددنا الكثير من الخطط على الورق ولكنه لم يتوافر لنا الوقت لاظهارها بصفة عملية .

ولما كان الرئيس روزفلت وأفراد حاشيته يؤملون فى القوة العسكرية التى تستطيع الصين اعدادها اذا اتيح لها الحصول على الأسلحة والمعدات الكافية وكانوا يخشون من انهيارها اذا لم يصلها هذه المعدات ولما كانت لم ترق لى فكرة اعادة احتلال بورما عن طريق الزحف عن طرق اسام غير المعبدة ، وكنت لا أحبذ احتلال الادغال ، وكان تفكيرى متجها الى القوات الجوية والبحرية والبرية والمواقع الهامة ، ورأيت أنه من الضرورى ألا يشعر أصدقاؤنا بأننا غير راغبين فى اقتحام المصاعب ولكى يقتنعوا اننا على استعداد لتلبية طلباتهم — فقد وافقتهم على آرائهم .

وفى الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر اليوم الثانى عشر من مايو اجتمعنا والرئيس وجميع رؤساء الأركان البريطانيين والأمريكيين فى مكتب الرئيس لاستعراض الأوضاع بصورة عامة ووضع اسس العمل لاجتماعاتنا ومؤتمراتنا ، وقد طلب الى الرئيس أن أبدأ الحديث ، وكانت خلاصة الأفكار التى سردتها على النحو التالى :

« علينا ألا ننسى ان هناك ١٨٥ فرقة ألمانية فى الجبهة الروسية ، وقد حطمنا الجيش الألمانى فى افريقيا ، وعن قريب سنصير غير مشتبكين معهم فى أية جبهة أو ميدان ، ولا ريب ان المجهود الروسى عظيم ، وأننا فى وضع المدين لهم ، ولعل خير طريقة لتخفيف الضغط على الجبهة الروسية فى عام ١٩٤٣ هو أن تخرج ايطاليا سواء بالرضا أو بالاكراه من الحرب ، وبذلك نرغم المانيا على ارسال قوات ضخمة للمحافظة على البلقان ، ويوجد لنا جيش كبير وقوة جوية كبيرة من المقاتلات فى بريطانيا ، ولدينا أيضا خيرة الجنود وأحسنهم تدريبا فى البحر الابيض المتوسط ، كما أن للبريطانيين وحدهم ثلاث عشرة فرقة فى شمالى افريقية ، واذا افترضنا اننا انتهينا من صقليه فى شهر أغسطس ، فماذا تعمل هذه القوات فى الفترة الواقعة بين هذا التاريخ وبين عام ١٩٤٣ ، والتى قد تمتد سبعة أشهر أو ثمانية لكى تبدأ عملية عبور القناة ؟ ليس فى وسعنا أن نترك هذه القوات بدون عمل ، ولا شك فى ان هذه الفترة الطويلة ستترك أثرا سيئا تحمل وحدها أعباء لا يمكن تصورها » .

وقد وافقنى الرئيس روزفلت ، على انه يحبذ الاشتباك مع ألمانيا لتخفيف العبء عن روسيا ، وأعرب عن رأيه فى أن خير طريقة لارغام المانيا على القتال هى أن نشرع فى عملية عبور القناة ؛ وقد قلت للرئيس بأننا سبق أن اتفقنا على ألا نشرع فى مثل هذه العملية قبل

عام ١٩٤٤ ، ولذلك فانه من اللازم الآن ان نستخدم جيوشنا في الهجوم على ايطاليا ، حتى اذا انهارت ، فاننا سنحتل الموانى والمطارات الضرورية للقيام بعمليات مقبلة في البلقان وجنوب شرقي أوروبا ، ويكون في وسعنا أن نقيم حكومة ايطالية تتولى الاشراف على البلاد، تحت توجية واشراف الحلفاء ، وطلبت من اعضاء اللجنة المشتركة لرؤساء أركان الحرب ومستشاريهم أن يدرسوا هذه الخطط دراسة وافية وأن يمحصوها .

وقد ظهر أن هناك اختلافات في وجهات النظر لايمكن تذليلها بسهولة أو التغلب عليها ، وأدى تسرب بعض الاخبار من كبار القادة العسكريين الامريكيين في هذه الفترة الى الشيوخ الديموقراطيين والجمهوريين الى مناقشتها في مجلس الشيوخ ، ولكنه مع الصبر والاناة أمكن تذليل هذه الخلافات وحلها تدريجيا ومما ساعد على ذلك وجودى مع الرئيس حيث كنت أقيم في البيت الابيض وكنا نرى بعضنا بعضا في كل ساعة من ساعات النهار ، وكنا دائما متفقين في الآراء ، وهكذا حلت تلك الازمة المستعصية

كما أسفرت الاتفاقات التي تمت بين الأركان على غزو صقليه ، وقد شعرت بقلق عظيم لان لجنة الاركان لم تتخذ توصيات محدودة بأن يتبع احتلال صقلية غزو البر الايطالى ، وكنت أعرف أن آراء أركان الحرب الامريكيين تتجه الى جزيرة سردينيا ، لانهم كانوا يرون أن هذه الجزيرة يجب أن تكون الهدف الباقي للقوات الكبيرة المحتشدة في البحر الابيض المتوسط في المدة الباقية من عام ١٩٤٣ . وكنت أرى هذا الاتجاه غير سليم لاسباب عسكرية وسياسية ، لان الروس يحاربون في جبهة شاسعة ودمهم يسيل أنهارا في هذه المعركة الجبارة ، ولا يصح لنا أن نبقى مليونا ونصف مليون من خيرة جنودنا بالاضافة الى القوات الجوية والبحرية الهائلة بدون عمل مدة سنة تقريبا .

واتضح لى أن الرئيس غير مستعد للضغط على مستشاريه بقبول فكرة غزو ايطاليا بصورة محدودة ، ولما كان هذا الهدف الرئيسى هو الذى حملنى على قطع المحيط الى واشنطن ، فقد رأيت نفسي عاجزا عن الوقوف بهذه القضية عند هذا الحد ، وقال لى هوبكنز انك اذا أردت أن نقبل وجهة نظرك ، فعليك أن تستمر مواصلا الالحاح لمدة أسبوع آخر ، ولما كانت النتيجة غير مضمونة تماما ، فقد أحسست بخيبة أمل ، وطلبت الى الرئيس في الخامس والعشرين من مايو بصفة شخصية أن يسمح للجنرال ماريشال بالمجيء معى الى الجزائر ، بعد أن أوضحت للمؤتمر بأنى أشعر ببعض الحرج في بحث هذه القضايا مع الجنرال ايزنهاور دون أن يشترك معنا في الحديث ممثل أمريكى كبير ، اذ ربما تفسر موافقة أيزنهاور على رأيى في واشنطن أنها كانت بسبب الضغط عليه ، ولما علمت بأن الجنرال ماريشال سيرافقنى في رحلتى شعرت بالارتياح .

وفي صباح اليوم التالى غادرت واشنطن بطائرة ركب معى فيها

الجنرال ماريشال ورئيس أركان حرب الامبراطورية وايسماى وبقية أعضاء الوفد البريطانى ، وقد دارت بيننا محادثات كثيرة أثناء هذه الرحلة الجوية الطويلة وكانت مثمرة ، ولما اقتربنا من جبل طارق بحثنا عن طائرات الحراسة فلم نجد لها أثرا وهبطنا مطار جبل طارق فى المساء وكان فى استقبالنا الحاكم ، وبالنسبة لان الوقت كان متأخرا فلم يعد فى امكاننا مواصلة الطيران الى الجزائر فى تلك الليلة ، وقد استضافنا الحاكم فى الدير الذى يقيم فيه ، ولم نترك جبل طارق الا بعد ظهر اليوم التالى وقد أتيحت لنا الفرصة للطواف بالجنرال ماريشال فى جميع أنحاء الصخرة وزرنا مشروع تقطير المياه الجديد كما زرنا مواقع بعض المدافع وبعض المستشفيات والثكنات ، وهبطنا الى المكان المفضل عند الحاكم ، وهو الشرفة الصخرية الجديدة التى حفرت داخل الصخر الى عمق بعيد ، وقد نصبت فيه المدافع التى تسيطر على البرزخ الذى يصل الصخرة بالبر وعلى الأرض الحرام بين بريطانيا واسبانيا ، وقد ثبت لى انه مهما كانت الاخطار التى قد تتعرض لها صخرة جبل طارق، فانها لن تخشى ابدا هجوما يشن عليها من البر الاسبانى .

هذا وقد احاطت بنا أثناء ركوبنا الطائرة الى الجزائر ، اثنتا عشرة طائرات مقاتلة لحراستنا ، ووصلنا فى المساء الى الجزائر ، حيث كان الجنرال ايزنهاور وبيدل سميث والاميرال اندرو كاتنجهام والجنرال اليكساندر وعدد من الاصدقاء فى انتظارنا ، وذهبنا فورا الى منزل الاميرال كاتنجهام المجاور لمنزل الجنرال أيزنهاور ، التى وضعها تحت تصرفى مدة اقامتى فى الجزائر ، وقد شعرت بالسعادة طوال الثمانية أيام التى قضيتها فى الجزائر وتونس ، وأبرقت الى ايدن طالبا اليه المجىء والانضمام الينا ، ليشرف بنفسه على اعداد الترتيبات اللازمة للمقابلة التى مهدنا لها بين جيرو وديجول وللقيام ببعض المهام الاخرى .

ولما كانت تحدونى الرغبة فى الحصول على قرار بغزو ايطاليا ، قبل مغادرتى لافريقية فى حالة الانتهاء من احتلال صقلية ، فقد نقلت انا وبروك آراءنا الى الجنرال اليكساندر والاميرال اندرو كاتنجهام وماريشال الجو تيدر والجنرال مونتجمورى فيما بعد ، وقد وافقت جميع هذه الشخصيات على آرائنا ، ورأوا فى احتلال ايطاليا الثمرة الطبيعية لتلك الانتصارات التى بدات بمعركة العلمين وكان أملنا ان نحصل على موافقة حليفتنا العظمى، لأنى لاحظت من جانب أيزنهاور بعض التحفظ بعد أن استمع الى جميع حججنا ، كما أن ماريشال قد ظل صامتا حتى اللحظة الاخيرة .

ولما كانت لدينا قوات تبلغ ثلاثة أضعاف القوات الأمريكية، كما كانت لدينا اربعة أضعاف قواتهم البحرية ومثل هذه النسبة من الطائرات ، كما كنا قد خسرنا منذ معركة العلمين وحدها دون أية اشارة الى الخسائر السابقة فى البحر الأبيض المتوسط ثمانية أضعاف ما خسرته أمريكا من الرجال وثلاثة أضعاف ما خسرته من السفن ، فقد كانت ظروف الاجتماع مواتية للبريطانيين ، فضلا عما لاقته هذه

الحقائق الواضحة مما تستحقه من عناية واعتبار لدى القادة الأمريكيين الذين لم يكونوا يجهلون تفوقنا عليهم فى المنطقة فى كل شيء ، كما كان تقبلنا للجنرال أيزنهاور كقائد اعلى ، فقد اقتنع الأمريكيون بصواب رأينا .

وعقدنا أول اجتماع لنا فى منزل الجنرال أيزنهاور فى الجزائر فى مساء التاسع والعشرين من مايو ، ورأس الجنرال ايزنهاور الجلسة بوصفه مضيفنا يساعده فيها كل من ماريشال وبيدل سميث ، وأخذت مقعدى أمامه ومعى بروك واليكساندر وكاتنجهام وتيدر وايسماى وآخرين ، وقال ماريشال ان رؤساء أركان الحرب الأمريكيين يرون أنه ليس من الحكمة اتخاذ قرار بشأن غزو ايطاليا حتى تتبين نتيجة الهجوم على صقلية ، وينجلى الوضع فى روسيا تمام الجلاء والطريقة المنطقية هى أن نعد قوتين منفصلتين فى مكانين متفرقين ولكل منهما قيادته الخاصة ، وسيجرى تدريب احدى هاتين القوتين على القيام بعملية حربية ضد جزيرتى سردينيا وكورسيكا بينما تدرب الثانية على القيام بعمل حربى فى البر الايطالى ، وهنا قال أيزنهاور انه اذا انتهت عملية صقلية بسهولة فانه سيكون راغبا فى مهاجمة ايطاليا نفسها ووافقه اليكساندر على رايه .

وهنا قال رئيس أركان حرب القوات الامبراطورية ، ان معركة هائلة ستنشب عما قريب بين الروس والألمان ، وان علينا ان نبذل كل ما فى وسعنا لمساعدة روسيا ، وان نحمل الألمان على تجزئة قواتهم وتوزيعها ، بعد أن انتشروا فى مساحات شاسعة ولا يمكنهم تخفيضها لا فى روسيا ولا فى فرنسا ، ولعل المكان الصالح لتجزئة هذه القوات هو ايطاليا ، واذا أمكننا ان نخرج ايطاليا من الحرب فستجد المانيا نفسها مضطرة الى استبدال الفرق الايطالية الست والعشرين الموجودة فى البلقان بقوات المانية كما ستجبر على تعزيز ممر برنو والريفيرا والحدود الاسبانية والايطالية ، وان توزيع هذه القوات هو ما نرمى اليه لتأمين عبور القناة .

وأعلن ايزنهاور انه اذا نجحت عملية صقلية فى بحر أسبوع ، فانه سيعبر فورا مضايق سينا ويقيم رأس جسر له فى البر الايطالى ، وأعربت له عن وجهة نظرى الشخصية فى أن عملية صقلية ستنتهى فى الخامس عشر من اغسطس ، فاذا تحقق ذلك فسنهاجم فورا ايطاليا ، على شرط الا تكون المانيا قد بعثت بعدد كبير من فرقها الى هناك نظرا لاحتمال قيام رد فعل تركى فى مصلحتنا .

وعندئذ أوضح بروك عدد ما لدينا من قوات فى البحر الأبيض المتوسط بعد أن حذف بسبع فرق يجب ان تعود الى بريطانيا لتشترك فى عملية اجتياز القناة وفرقتين لتغطية التزامات بريطانيا العسكرية لتركيا ، وان ما سيتبقى فى منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط سبع وعشرون فرقة حليفة ، وقال ان من المؤسف الا نتمكن بمثل هذه القوات الضخمة من عمل شيء فى الفترة ما بين أغسطس وسبتمبر من هذا

العام ، وعلى ذلك فقد اتضحت لى رغبة جميع القادة العسكريين فى أن نمضى سريعا وبأجرأ ما يكون من خطط .

واجتمعنا ثانية بعد ظهر الحادى والثلاثين من مايو ، بعد ان وصل المستر ايدن وابديت رأيى فى ان نتجه الى غزو جنوب ايطاليا ولربما تكون طوالع المعركة تقتضينا اتخاذ سبيل معاكس .. ولم يخالفنى الجنرال مارشال فى هذا الرأى ، الا انه قال ان من الخير تأجيل القرار الى ما بعد البدء فى عملية صقلية ، وأضاف ان من الضرورى ان نعرف شيئا عن رد الفعل الألمانى لنستطيع ان نقرر ما اذا كان الالمان سيقاومون مقاومة حقيقية فى جنوب ايطاليا ، أو سينسحبون الى نهر البو وهل فى وسعهم أن يعتمدوا على الايطاليين ، وأن نعرف امداداتهم التى اتخذوها فى سردينيا وكورشيكا والبلقان ، والتعديلات التى ستطرأ على أوضاعهم فى الجبهة الشرقية ، وكان هو والجنرال ايزنهاور ورجال رياسة الاركان المشتركة يدركون تماما ، حقيقة مشاعرى فى صدد غزو ايطاليا ، وأيدوا رغبتهم فى ان يتركوا اختيار الهدف التالى الى ما بعد صقلية .

وقد قلت ان رغبتى الوحيدة ، هى ان أرى ايطاليا قد أزيحت من طريقنا ، وإن اشهد روما فى قبضتنا ، وانى لا احتمل أن ارى هذا الجيش الضخم عاطلا عن العمل فى الوقت الذى نستطيع ان نقحمه فى معركة لضرب ايطاليا واخراجها من الحرب ، وأكدت لهم أن برلماننا وشعبنا سيفرغ صبرهما اذا تعطل الجيش عن العمل .

ويجدر بى هنا أن أوضح بعض الأمور التى كانت موضوعا لسوء التفاهم والخلاف ، فقد طلب منى المستر ايدن أن أبين الوضع الذى ستكون عليه تركيا اذا خرجت إيطاليا من الحرب ، وهل هذا سيمهد الطريق لادخالها فى الحرب الى جانبنا عندما تصل قواتنا الى منطقة البلقان ، وعلى الرغم من اننى كنت متفقا مع ايدن على سياستنا الحربية فقد خشيت أن يؤدى تحوير العبارة الى تضليل اصدقائنا الأمريكيين ، فقد قال انه ليس من الضرورى أن نبعث الى البلقان الآن بجيش طالما ان الاتراك سيبدءون العمل فى اللحظة التى نستطيع فيها أن نشكل تهديدا مباشرا للبلقان .

وهنا طلبت الى الجنرال اليكسander ان يبدى رأيه ، فقال أن تأمين رأس جسر على البر الايطالى يجب أن يكون جزءا من خطتنا فى الوقت الذى تجرى فيه عملية صقلية ، ولو ان رأس الجسر فى ايطاليا ربما لا يكون منيعا كل المناعة مما يتطلب اى تعديل فى خططنا وعملياتنا لاحتلال قبرص ، وعلينا أن نواصل الحركة دون توقف بعد ان يبدأ هجومنا على صقلية ، وقد يصبح التقدم أكثر صعوبة كلما تحركنا شمالا فى البر الأيطالى ، الا أن هذا لا يمكن ان يحول بيننا وبين المضى الى ابعد مانستطيع كجزء من عملية صقلية ، وكثيرا ما تقع فى الحروب أمور لا يكاد الانسان يصدقها فقبل بضعة أشهر ، ما كان ليصدق ان ما حدث لروميل وفيلقه الأفريقى بالفعل ، قد يحدث مطلقا كما كان من الصعب أن يصدق انثلثمائة الف المانى سينهارون فى أسبوع

واحد ، وقد تم القضاء على قوات العدو الجوية حتى انه أصبح فى وسعنا أن نقيم عرضا عسكريا لكل قواتنـــا العاملة فى شمالى افريقيا دون ان نخشى خطرا من طائرات العدو

وفى الحال انبرى كاتنجهام لتأييده ، وقال ان علينا فى حالةنجاح العملية فى صقلية ، ان نعبر المضـايق فورا دون اى تأخير ، واختتم الجنرال أيزنهاور الاجتماع بقوله ، ان واجبه يدعـــوه الى الحصـــول على المعلومات الكافية فى صدد المراحل المبكرة من غزو صقلية ، وان يبعث بها الى رياســة اركان القيادة المشتركة فى وقت مبكر ، لتقرير الخطة التى يجب علينا ان نتبعها دون توقف أو انقطاع ، وانه سيشفعها بالتوصيات التى يراها على اساس الاوضاع الراهنة ، وأعرب عن أمله فى أن يتمكن القادة الثلاثة المسئولون اى أليكساندر وكاتنجهام وتيدر من أن يوضحوا له بصفة رسمية أراءهم فى جميع هذه الخطط

وبعد أن أمضـينا يومين فى بعض الأماكن الجميلة فى شـمالى افريقيا ، قام الجنرال ماريشال بزيارة قصيرة لبعض القوات الأمريكية ، ثم رافقنى ومعنا الجنرال اليكساندر فى زيارة جميع القادة العسكريين وبعض الوحدات وقد احسسنا بشعور النصر يملأ الجو ، بعد أن تم تطهير شمال افريقية من قوات العدو ، وأصبح فى حوزتنا ما يربو على ربع المليون أسير .

وقد شـعرت بأننا حققنا تقدما كبيرا فى محادثاتنا وان الجميع أصبحوا يؤيدون فكرة الهجوم على ايطاليا ، ولهذا فعنـدما عقـدنا اجتماعنا الختامى فى الثالث من يونيو لخصت النتائج التى توصلنـا اليها وأثنيت بالغ الثناء على الجنرال أيزنهاور .

وبعد انتهاء هذا الاجتماع عدت انا وايدن طائرين الى الوطـن عن طريق جبل طارق ، ولـما كانت الصحافة تنقل انباء وجودى فى شمال افريقية بصورة كاملة ، فقد نبه ذلك الالمان ، وقد أدى هذا الى مأساة سببت لى الكثير من الألم ، فعندما كانت الطائرة التجارية العاديةعلى وشك مغادرة مطار لشبونة تقدم منها رجل ضخم الجثة وفى فمه ســـيجارا ، على أنه سيسافر عليهـــا ، ولكن ظهر انه من الجواسيس الألمان ، حيث ابرق الى مرجعه يقول انى موجود فى تلك الطائرة ، وعلى الرغم من أن هـــذه الطائرات التجارية كانت تسافر بانتظام فى الأشهر الماضية بين انجلترا والبرتغال دون ان تتعرض لها الطائرات الالمانية، الا ان طائرة حربية ألمانية ، تلقت الأمر فورا بقطـــع الطريق على طائرة الركاب المذكورة ، فهاجمتها واسقطتها ،وقضى ثلاثة عشر راكبا نحبهم وبينهم الممثـــل البريطانى المشـــهور ليسلى هوارد ، ومن الصعب على الانسان ان يفهم كيف يمكن أن يتصور عاقل ان رجلا مثلى ، تحت تصرفه كل ما لدى بريطانيا العظمى من موارد عظيمة ، يمكن انيحجز مقعدا فى طائرة ركاب عادية غير مسلحة ، ولا حراسة لها ، تطير من لشبونة الى الوطن فى وضح النهار ، ولكننا كنا قد قمنا فى الليل بدورة واسعة من جبل طارق فوق المحيط ووصلنا الى الوطن دون أى حادث الا اننى أصبت بما يشبه الصاعقة عندما علمت بما أوقعه القدر الأعمى بالآخرين .

الكتاب الرابع

النصر والمأساة
١٩٤٢ - ١٩٤٥

« لقد فشل النصر الساحق الذى حققه الحلف الاعظم حتى الآن ، فى أن يأتى للعالم القلق بالامن والسلام »

احتلال صقلية وسقوط موسوليني

الآن وبسبب دخول الولايات المتحدة فى الحرب بعد هجوم اليابان على ميناء اللؤلؤ ، قد اصبح انتصـــار الحرية أمرا مؤكـدا ، وفعلا قـد وصلنا الى نقطة التحول فى الحرب الكونية الثانية ولم يأت شهر مايو حتى كانت جميع القوات الالمانية والايطاليةفى القارة الافريقية قد ابيدت او أسرت ، كما اوقفت انتصـارات الامريكيين منذ عام فى بحر المرجان وجزيرة مايدواى ، التوسع اليابانى فى المحيط الهادى ، كما اتضـــح لهتلر ان عليه ان يدفع الثمن غاليا للغلطة الكبرى التى ارتكبها فى محاولة احتلال روســيا عن طريق الغزو ، وعما قريب سيجد الشعب الالمانى نفسه وحيدا فى اوربا ، وكان فى وســـعنا أن نرى الميزان ينقلب الى مصلحتنا فى ابريل عام ١٩٤٣ ، حيث كانت قوافل الفواصـــات المعادية تضطر الى البقاء تحت سطح البحر وكانت مطاردتها تستمر وتتواصل، بينما تقوم وحداتنا الحارسة من بحريةوجوية بحماية القوافل ،والصمود للغواصات المهاجمة ، وتوافر لدينا الآن القوة الكافية لتشكيل مجموعات مستقلة من السفن التى تمثل دور فرق الفرسان ،وكان هذا كل املى ، ولما كان الالمان قد انزلوا الى البحر مائتين وخمسا وثلاثين غواصة وهو اكبر عدد دفعوا به حتى الآن ، وكان بحارتها تنقصهم الخبرة ، فلم تكن هجماتهم تصيب اهدافها بدقة ، ولهذا فقد هبطت خسائرنا الى ثلثمائة ألف طن ، كما أغرقوا لنا أربعين غواصة فى شهر مايو وحده كمـــا أن خسائرنا فى شهر يونيو هبطت الى اقل رقم شهدناه منذ دخلت الولايات المتحدة الحرب واخذت القوافل تجتاز طريقها بأمان .

كما اصبح فى وسع جيوشنا ،ان تعبر البحر لمهاجمة هتلر فى اوربا، وذلك بسبب زوال قوة المحور من الشـــمال الافريقى ، كما اعيد فتح طريق القوافل المباشرة الى مصر والهند واستراليا ، فى حمـاية قواتنا البحرية والجوية على طول الطريق من جبل طارق الى الســـويس ، وبذلك لم تعد قوافلنا تدور حول رأس الرجاء الصـالح وهى الطريق التى كلفتنا غاليا من الوقت والجهد والحمـولة ، وادى ذلك الى توفير خمسة واربعين يوما بالنسبة الى كل قافلة تسافر الى الشرق الاوسط .

ولما كانت الهزيمة التى نزلت بغواصـــاتنا قد اثرت على جميع الاحداث مما جعل الباقى منها يتفرق فى مســـاحات شاسعة ونائية فى جنوب الاطلنطى والمحيط الهندى ، واصبحت وسائل دفاعنا أقل قوة ، هذا وقد استمرت عملياتنا الجوية الهجومية فى خليج بسكاى فى الازدياد والقوة يوما بعد آخر ، حيث أغرقنا للعدو ســـبعا وثلاثين غواصة فى شهر يوليو وحده ، كما أغرقنا فى الاشهر الثلاثة الاخيرة من العام ثلاثا وخمسين غواصة ، بينما كانت خسارتنا فى هذه المدة نفسها أكثر من سبع

واربعين باخرة تجارية ،وقد بذلت غواصاتنا فى أشهر الخريف العاصفة جهود المستميت ولكن جهودها ذهبت هباء ،وفشلت فى استعادة التفوق فى شمالى الأطلنطى .

هذا وقد اعلن الاميرال دونتس الالمانى ، ان عام١٩٤٤ سيكون عاما ناجحا برغم ما فيه من صعوبات ومشقات وقال اننا سنحطم طريق تموين بريطانيا بسلاح جديد من الغواصات ، وكان لهذه الثقة بعض ما يبررها ، فقد كانت المانيا تبذل مجهودا هائلا لبناء طراز جديد من الغواصات يستطيع التحرك بسرعة أكبر تحت الماء وقطع مسافات طويلة ، وفى الوقت نفسه سحبت معظم غواصاتها القديمة لكى يتم تجهيزها بسلاح« شنوركل » الجديد ، وقد مكنها هذا الابتكار الجديد من اعادة تعبئة بطارياتها فى الوقت الذى تكون فيه تحت الماء ، وهكذا امكنها أن تتجنب اكتشاف الطائرات لها ، واصبح من الواضح ان الغاية من الغواصات المجهزة بهذا الجهاز الجديد ، هى مقاومة عبور القناة الانجليزية عندما تصبح قوات الحلفاء متأهبة لغزو اوربا .

اما مسألة غزو صقلية فقد كان من رأى الجنرال ايزنهاور ان الهجوم عليها يجب أن يتم اذا كانت الغاية منه تطهير الطريق البحرى فى البحر الابيض المتوسط ، اما اذا كان غرضنا غزو ايطاليا فيجب احتلال جزيرتى سردينيا وكورسيكا لأن هاتين الجزيرتين تقعان بالقرب من رأس الحذاء الايطالى ، وعلى الرغم مما فى هذه النظرية العسكرية من وجاهة فانى لم أكن موافقا عليها ،ولكن القوى السياسية تلعب دورها .

وبذلك اعددنا العدة لغزو صقلية ، وابتدأنا عمليات النزول فيها مسترشدين بالتجارب التى مرت بنا فى شمال افريقية ، واشتركت فيها ثلاثة ألاف سفينة وقطعة انزال كانت تحمل مائة وستين ألف رجل وأربعة عشر ألف سيارة وستمائة دبابة وألفا وثمانمائة مدفع ، وقد سارت الأمور سيرا مرضيا ،نتيجة لحسن التعاون بين اركان القيادة المشتركة ، وانني لاسباب سياسية قد تخليت عن قيادة الحملة فى شمال افريقية واسنادها للولايات المتحدة، اما الآن فقد دخلنا مرحلة جديدة هى غزو صقلية وقد تقرر ان يتخذ القرار النهائى لغزو ايطاليا على ضوء ما يسفر عنه القتال فى صقلية ، فقد شعرت انه من الضرورى ان يكون البريطانيون متساوين مع حلفائهم فى تحمل اعباء القيادة ، وقد وافق حلفاؤنا الامريكيون على ذلك ، وسلمونا القيادة الفنية للقتال ، وتقرر ان يتولى اليكساندر مجموعة الجيوش الخامسة عشرة التى تضم الجيش الامريكى السابع الذى يقوده الجنرال باتون ، والجيش البريطانى الثامن الذى يقوده مونتجومرى ، وتولى قائد القوات الجوية تيدر قيادة قوات الحلفاء الجوية كما تولى الجنرال كاننجهام قيادة قوات الحلفاء البحرية . وكان الجنرال ايزنهاور هو القائد العام للقوات كلها ، وبدأت الغارات الجوية العنيفة على الجزيرة فى الثالث من يوليو لتعطيل مطاراتها ومطارات سردينيا ايضا ، مما اضطر مقاتلات العدو الى الدفاع واضطر قاذفاته البعيدة المدى الى الانسحاب الى قواعد جديدة فى البر الايطالى ، وعندما اقتربت قوافلنا من الجزيرة كنا قد ضمنا السيطرة الجوية على المنطقة ، ولم تحاول بوارج المحور وطائراته

ان تعرقل الحملة ، وتمكنا عن طريق التمويه ، ان نجعل العدو فى حالة من الشك ، ولم يتمكن من معرفة الهدف الحقيقى من هجومنا حتى اللحظة الاخيرة ، لأن حركاتنا البحرية واستعداداتنا العسكرية كانت فى مصر مشيرة الى ان حملتنا ستستهدف اليونان وكنا قد حددنا اليوم العاشر من يوليو لبدء الغزو وفى صباح التاسع من يوليو تحركت الاساطيل الجبارة من الشرق والغرب الى جنوب مالطة استعدادا لابحارها الى شواطىء صقلية ، وفى الوقت المحدود اتجهت كلها الى ميدان الهجوم وكانت هذه العملية هى اضخم عملية جرت فى التاريخ حتى الآن ، الا ان الرياح اشتد هبوبها بعد الظهر حتى بلغت حدا من العنف جعل النزول الى البر امرا خطرا ولا سيما على الشواطىء الغربية ، ولما كنا نود تأجيل النزول عند الضرورة ، وكان الوقت قد مضى على امكان التأجيل ،فقد شعرنا بالقلق بالنسبة لقوافل الانزال الصغيرة التى كانت تصطرع مع البحر ، وقد تغرق بعضها ، كما لقيت قواتنا الجوية الهابطة اسوأ حظ حيث قذفت الطائرات الامريكية بأكثر من ثلث رجال لواء المظلات الأول ، قبل الأوان ، مما ادى الى غرقهم فى البحر ، اما الثلثان الباقيان فقد نزلا فوق القسم الجنوبى من صقلية ،وتمكن ثمانية ضباط وخمسة وستون جنديا من احتلال الجسر وصمدوا فيه الى ان وصلتهم النجدة بعد اثنتى عشرة ساعة ، وكانت عمليات النزول من البحر تحت ستار من الحماية الجوية المستمرة ناجحة كل النجاح ، وتمكنا من الاستيلاء على اثنى عشر مطارا ، وبدأ العدو بعد ان افاق من ذهول المفاجأة يقاتل بشدة ،وبعد ثمانية وثلاثين يوما من القتال ابرق الجنرال اليكساندر يقول : « فى الساعة الواحدة من صباح اليوم السابع عشر من يوليو عام ١٩٤٣ طرد آخر جندى المانى من جزيرة صقلية واصبحت الجزيرة كلها فى ايدينا » .

وفى التاسع عشر من يوليو قامت قوة ضخمة من قاذفات القنابل الامريكية بالاغارة على مطار روما ، وعلى ارصفة السكة الحديدية فيها فأوقعت اضرارا فادحة وكان اثرها النفسى مؤلما ،واصبح انهيار ايطاليا السريع امرا محتملا ، لكن الامريكيين اصروا على عدم القيام بأى عمل جدى فى البحر الابيض المتوسط قد يؤدى الى التأثير على العمليات الحربية الأخرى ، وكان هذا التحفظ سببا فى خلق الكثير من المتاعب عندما بدأ نزولنا فى ساليرنو ، وبينما كانت المناقشات الحادة دائرة بيننا ، تبدل الموقف فجأة كليا بسبب سقوط موسولينى .

وكان على الدوتشى ان يتحمل الآن اعباء الكوارث العسكرية التى قاد بلاده اليها بعد هذه السنوات الطويلة من الحكم ، حيث كانت سلطته مطلقة ، ولم يكن فى وسعه أن يلقى اللوم على الملكية او النظام البرلمانى أو الحزب الفاشى أو اركان الحرب ، اما وقد انتشرت الآن بين الطبقات العليمة ببواطن الامور فى ايطاليا ، الآراء بأن المحور قد خسر الحرب ، فان اللوم قد اتجه الى ذلك الرجل الذى قذف ببلاده بتهوره الى جانب الفريق الخاسر .

هذا وكان قد اجرت بعض التنقلات بين قادته العسكريين ومستشاريه السياسيين ، فعين فى شهر فبراير الجنرال امبروزيو

خلفا للجنرال كافاليرو فى رياسة أركان الحرب ، وكان امبروزيو مع صديقه الدوق اكوروني وزير البلاط المستشارين الشخصيين للملك ، وكانا منذ أشهر يأملان فى قلب حكم الدوتشي ووضع نهاية للعهد الفاشي، ولكن موسوليني كان لا يزال مسيطرا على مسرح العمليات الاوربى وكأنه عامل أساسي فيه ، وقد شعر بالأسى عندما طاب اليه قائده الجديد سحب الفرق الايطالية فورا من البلقان ، لأنه كان يعتقد ان وجود هذه القوات يقيم شيئا من التوازن فى وجه السيطرة الالمانية على أوربا ،ولم يدرك موسوليني ان انهزائم فى الخارج وانحلال الروح المعنوية فى الداخل قد افقداه وضع الحليف بالنسبة الى هتلر ، وكان لا يزال يتعلق بأهداب السلطة وحلمها ، ولهذا فقد عارض فى طلب امبوزيو الملح ، وكان يخشى من احتمال قيامه بعمل شخصي متطرف .

ولما كان الملك الدستورى الحذر ، على اتصال مستمر منذ شهر فبراير ، بالماريشال بادوليو الذى كان قد اقيل من منصبه بعد الكارثة اليونانية عام ١٩٤٠ ووجد فيه الملك اخيرا انه الشخص الذى يستطيع ان يعهد اليه بادارة شئون الدولة ، فقد تم وضع الترتيبات اللازمة لذلك ، وتقرر اعتقال موسوليني فى السادس والعشرين من يوليو ، ووافق امروزيو على ايجاد العملاء الذين يتولون اعتقاله ، وقد استعان الجنرال بغباء ، بعناصر من الحرس الفاشي القديم الذين كانوا يبحثون عن امكانية تجديد شباب الحزب ، ورأوا دعوة أكبر هيئة للحزب وهى المجلس الفاشي الاعلى الذى لم يجتمع منذ عام ١٩٣٩ ، أنوسيلة لمواجهة الدوتشي بانذار نهائي ، وقاموا فى الثالث عشر من يوليو بزيارة موسوليني واقنعوه بدعوة المجلس الاعلى الى اجتماع رسمى يعقد فى الرابع والعشرين من شهر يوليو .

الا ان موسوليني غادر روما فى التاسع عشر من يوليو يرافقه الجنرال امبروزيو بطريق الجو لمقابلة هتلر فى منزل له فى فيلتربيه على مقربة من ريميني ، وقد أطال الفوهرر الحديث عن وجوب بذل مجهود اضخم واكبر ، وقال ان السلاح السرى الجديد سيصبح جاهزا للاستعمال ضد بريطانيا فى الشتاء القادم ، وأضاف أن واجبنا الدفاع عن ايطاليا « وأن تصبح صقلية بالنسبة للعدو كما كانت ستالينجراد بالنسبة الينا » .

وحث امبروزيو رئيسه على ان يقول لهتلر بصراحة أن ايطاليا لا تستطيع المضى فى الحرب ، ولكن الديكتاتور الايطالى لم يفه بشيء ، ودخل موظف ايطالى ثائر قاعة الاجتماع اثناء حديث هتلر عن الوضع يقول ان روما تتعرض فى هذه اللحظة لغارة جوية عنيفة من الاعداء ، وقد وعد هتلر بارسال امدادات أخرى الى صقلية ، وعاد موسوليني الى روما لا يحمل شيئا جديدا ، وعندما اقترب بطائرته شاهد سحبا عالية من الدخان الاسود تتصاعد من مئات العربات المحترقة فى محطة قطارات ليتوريو ، وفى الحال ذهب لزيارة الملك فرآه « عابسا وشديد العصبية « وقال الملك أن الموقف خطير ، وليس فى وسعنا ان نستمر لمدة اطول ،بعد ان اصبحت صقلية الآن فى ايدى الاعداء ورد موسوليني بأنه يأمل فى اخراج ايطاليا من المحور فى الخامس عشر من سبتمبر .

وفى هذا الوقت وصل الى روما دينوغراندى الفاشى المخضرم ، ووزير الخارجية السابق ، والذى عارض فى اعلان بلاده الحرب على بريطانيا ، وزار زعيمه القديم فى الثانى والعشرين من يوليو ، وابلغه صراحة ،بأنه يعتزم التقدم باقتراح لتأليف حكومة انقاذ وطنى ، واعادة الملك الى صلاحياته كقائد اعلى للقوات المسلحة . ولما اجتمع المجلس فى الساعة الخامسة من مساء اليوم الرابع والعشرين من يوليو ، اقترح غراندى ، دعوة الملك الى تولى زمام السلطة والخروج من عزلته ، وتحمل مسئولياته والقى الخطاب الذى وصفه موسولينى بأنه خطاب عنيف من رجل وجد أخيرا متنفسا لحقده العميق الدفين ، وسارع تشيانو صهر موسولينى الى تأييد غراندى واتضح للجميع أن هناك فتنة سياسية توشك ان تقع ، وعندئذ طلب الحاضرون الاقتراع حول هذا الاقتراح ، وفعلا بدأت عملية الاقتراع ، وقد كتب موسولينى يقول : « كان فى وسع كل انسان ان يعرف موقف كل عضو من الاعضاء حتى قبل الاقتراع ، فقد كانت هناك جماعة من الخونة تفاوضت مع التاج وهناك أيضا فريق من الجهلة الذين لم يكونوا يدركون خطورة الاقتراع ولكنهم ادلوا باصواتهم على كل حال »وقد وافق تسعة عشر عضوا على اقتراح غراندى بينما عارضه سبعة ، وامتنع عضوان عن التصويت ، ولذلك فقد قال موسولينى : « لقد اثرتم ازمة ضد العهد » فليكن ما اردتم » وانتهى الاجتماع .

وفى اثناء ذلك ، كان قد أعد أمر اعتقال موسولينى فى هدوء وصمت حيث كان قد بعث الدوق اكوارون وزير البلاد بتعليماته الى امبروزيو الذى اوعز الى وكلائه الموثوق بهم فى الامن العام بتنفيذ الخطة .

وقضى موسولينى صباح الاحد الخامس والعشرين من يوليو فى مكتبة ، وقام بزيارة بعض الاحياء التى عانت من الغارة الجوية الاخيرة ، وطلب مقابلة الملك فسمح له بهذه المقابلة فى الساعة الخامسة مساء ، وعندما وصل الى المكان الذى يقيم فيه الملك ، رأى فى كل مكان تعزيزات جديدةمن رجال الكاربينيرى ،وكان الملك فى ملابس الماريشالية يقف فى مدخل الدار ، ودخل الرجلان الى غرفة الجلوس وقال الملك : « لم يعد هناك اى جدوى يا عزيزى الدوتشى فقد تمزقت ايطاليا شر ممزق ، وانهارت معنوية الجيش والجنود لا يريدون ان يمضوا فى القتال ، وقد أصبحت الآن فى هذه اللحظة الرجل الذى يكرهه الايطاليون جميعا ، وانا اعتقد ان الرجل الذى يصلح الآن لتولى المسئولية هو الماريشال بادوليو » فرد موسولينى قائلا : انك تتخذ قرارا خطيرا ، لأن قيام الازمة فى هذه اللحظة سيحمل الشعب على الاعتقاد بأن السلام اصبح متوقعا ، طالما ان الرجل الذى أعلن الحرب قد طرد من منصبه ، وستعتبر الازمة نصرا للحلفاء ولا سيما ستالين وعلى كل حال اتمنى حظا حسنا للرجل الذى سيتحمل المسئولية .

وعهد الملك فى ذلك المساء الى بادوليو بتأليف حكومة من القادة العسكريين وكبار الموظفين ، واذاع الماريشال فى المساء الانباء الى العالم ، وبعد يومين نقل الدوتشى بأمر من الماريشال بادوليو الى السجن فى جزيرة بونزا .

وهكذا انتهى عهد موسوليني الديكتاتوري في ايطاليا والذي دام واحدا وعشرين عاما ، ارتفعت فيه ايطاليا من مهاوى الخطر البلشفي الذي كان يهددها عام ١٩٢٩ الى مركز في اوربا لم تكن ايطاليا قد بلغته من قبل ، وكان موسوليني قد بعث في حياتها القومية حافزا جديدا ، وبنى لها امبراطوريتها الافريقية ، وشيد لها الكثير من الاعمال العامة المهمة ، وكان قد تغلب بعزيمته وحدها عام ١٩٣٥ على عصبة الأمم ، وعلى خمسين دولة تتزعمها دولة واحدة وأكمل احتلاله للحبشة ، وكان نجاحه وانتصاره يلقى التأييد لدى عدد كبير من الايطاليين ، الا أن غلطته الكبرى كانت في اعلانه الحرب على فرنسا وعلى بريطانيا العظمى بعد انتصار هتلر في عام ١٩٤٠ ، ولو لم يرتكب هذا الخطأ لحافظ على ايطاليا في موقف الدولة التي تحقق التوازن والتي ينشد ودها الفريقان وهكذا مضى قدما في طريق اندمار .

وفي هذه اللحظة اقترف هتلر غلطة كبرى في ميدان الاستراتيجية والتوجيه الحـــربي ، فقد كان عليه بعدما تبين له من احتمال انسحاب ايطاليا من صفه وبعد التقدم الكبير الذي حققته روسيا ، والاستعدادات الواضحة التي تقوم بها بريطانيا والولايات المتحدة لعبور القناة ، أن يعمد الى تركيز جيشه القوى وتنميته كقوة احتياطية مركزية ، وكان في وسعه بهذه الطريقة أن يستخدم المزايا الرفيعة للقيادة الالمانية وقواتها المسلحة ، وأن يستفيد في الوقت نفسه من الوضع المركزي الذي يحتله ، الا انه حاول الاحتفاظ بكل ما كسبه ، فوزع قوات هائلة في البلقان وايطاليا ، ولو احتفظ بقوة احتياطية مركزية قوامها ثلاثون او أربعون فرقة من خيرة الجنود واقدرهم على الحركة ، لتمكن من ان يوجه ضربته الى اى من خصومه الذين يتقدمون نحو بلاده ، وان يخوض معركة فاصلة له كل الامل في كســـبها والفوز فيها ، وكان في وســـعه مثلا ان يقاتل البريطانيين والامريكيين في اليــوم الاربعين او الخمسين من نزولهم في نورماندى في العــام التالي بقوات جديدة متفوقة وكانت الغلطــة التي ارتكبها في توزيع قواته ، هي العــــامل الذي مكننا من تنفيذ الهجوم الرئيسي المباشر في اوضـــاع تتيح لنا آمالا فسيحة وتحقق لنا نصرا عظيما .

ولما عاد هتلر من اجتمـاعه الاخير بموسوليني ، كان واثقا من ان الابقاء على ايطاليا في الحرب لا يمكن ان يتم الا عن طريق تطهير الحزب الفاشي وتشديد الضـــغط الالماني على القادة الفاشيست ، ولـكن في الخامس والعشرين من يوليو بدأت تصل الى مقر قيادة هتلر تقارير مزعجة من روما واتضح في المساء ان موسوليني اما ان يكون قد استقال او أقيل ، وان الملك اختار بادوليو ليخلفه في الحكم ، وتبين اخيرا ان القيام بأية عملية ضد الحكومة الايطالية الجديدة يتطلب سحب عـــدد

من الفرق من الجبهة الشرقية ، فى الوقت الذى يحتمل فيه ان تقوم روسيا بهجوم فى اية لحظة ،ووضعت الخطط لانقاذ موسولينى واحتلال روما ، ودعم الفاشية الايطالية كما وضعت اخرى لمواجهة احتمال توقيع بادوليو الهدنة مع الحلفاء ، وذلك بالاستيلاء على الاسطول الايطالى واحتلال الموانى والمواقع المهمة فى ايطاليا كلها ، والسيطرة على الحاميات الايطالية الموجودة فى البلقان .

وفى السادس والعشرين من يوليو ، حث هتلر مستشاريه على ان يعملوا فورا لكى لا يتغلب عليه الانجليز والامريكيون ويضيعوا على الألمان ثمرة انتصاراتهم وقال : انه يجب أن نعيد الحزب الفاشى الى الحكم ، والا فاننا سنتعرض لخطر ضياع ايطاليا نهائيا وانتقالها الى جانب الانجليز سكسونيين .

موانئ مركب ٧

بالنسبة لما طرأ على الموقف من تحسن مرموق فى توجيه العمليات الحربية ضد صقلية للتغلب عليها واحتلالها ، خصوصا بعد ان تطورت الاوضاع فى ايطاليا على النحو الذى ذكرناه فى الفصل السابق ، فقد ازداد لدى الشعور بالحاجة الى الاجتماع بالرئيس روزفلت لعقد مؤتمر للبحث فى هذه التطورات ، ولما كان الرئيس يرى ان يكون مكان عقد المؤتمر فى مدينة « كويبك » بكندا ، وقد رحب المستر مكنزى كينج رئيس وزراء كندا بذلك فقد استقر الرأى على عقد المؤتمر بها ، وقد اشترط الرئيس ألا تدعى كندا للاشتراك فيه ، حتى لا يكون ذلك حافزا للبرازيل وغيرها من الدول الامريكية على المطالبة بالاشتراك فيه وكذلك استراليا وغيرها من دول الممتلكات المستقلة .

وفى الرابع من اغسطس ابحرنا على الباخرة « الملكة مارى » حيث كان معى اكثر من مائتى شخص بالاضافة الى خمسين جنديا من البحرية الملكية ، ولما كانت الموضوعات التى سنبحثها فى المؤتمر تشمل الحملة فى البحر الابيض المتوسط التى كانت قد بلغت ذروتها ، وكذلك الاعداد لعملية عبور القناة عام ١٩٤٤ وادارة دفة الحرب بصورة عامة فى المحيط الهندى ، واسهامنا فى الصراع ضد اليابان ، ولما كنا سنبحث أيضا فى مختلف الشئون المتعلقة بالعمليتين الحربيتين فى الهند والشرق الاقصى ، فقد صحبت معى ثلاثة من ضباط الاركان الذين اوقدهم الجنرال مورجان ، وكذلك مدير العمليات الحربية فى قيادة الجنرال ويفل ، وأخذت معى أيضا ضابطا شابا هو الزعيم وينجيت الذى كان قد أبرز كفاية ملحوظة فى قيادة القوات غير النظامية فى الحبشة وفى معارك الادغال فى بورما ، وقد شرع يشرح لى نظريته فى طريقة التغلب على اليابانيين فى حرب الادغال عن طريق انزال جماعات من الجو وراء خطوط العدو لتهديدها ، وقد استهوتنى هذه الفكرة كثيرا ورغبت فى ان يقوم بنقلها الى رؤساء اركان الحرب أيضا .

ولما كنت أعرف أن الرئيس روزفلت يرحب بمقابلة الشباب الباسل فقد أخذت معى ايضا قائد الجناح جاى جيبسون الذى كان قد عاد بعد قليل من حملاته الرائعة التى دمر فيها سدى الموهن والايدر فى ألمانيا ، وهما السدان اللذان يزودان حوض الروهر الصناعى بالقوة الكهربية ، كما جاءت معى زوجتى وابنتى مارى التى عملت كمرافق عسكرى لى .

وفى أثناء الرحلة كنت أدرس مع رؤساء اركان الحرب مختلف النواحى المتعلقة بالمشكلات التى سنبحثها مع اصدقائنا الامريكيين ، وفى صباح ذات يوم ، جاءنى الزعيم ماكلين مع ضابطين آخرين من

أركان حـــرب الجنرال مورجان ، وفتحوا أمامى خريطة كبيرة وأخذوا يوضـــحون عليها فى سرد دقيق مقنع الخطة التى اعدت لعملية عبور القناة والهبوط فى فرنسا ، وكانت هذه المرة الاولى التى استمع فيها الى خطةكاملة بجميع دقائقها وتفاصيلها المتعلقة بالارقام وحمولة السفن والمبنية على أساس دراسة طويلة اعدها ضباط يمثلون البلدين .

وقد ضـــاق مجال الاختيار وانحصر فى موقعين ، اما نورماندى أو خليج كاليه ، وكان الأخير يضمن لنا أحسن تغطية جوية ممكنة ، ولكن كانت خطوط العدو الدفاعية فىهذه المنطقة امنع منها فى أى مكان آخر، ولما كان الجنرال مورجان ومستشاروه يؤيدون فكرة غزو الســـاحل النورماندى ، وهى الفكرة التى كان يحملها مونتباتن منذ البداية ،فليس هناك شك فى أن هذا القرار كان سليما ، لان نورماندى كانت هى المكان الافضل بالنسبة لان الخطوط الدفاعية فيها ليست من المناعة الى الحد الذى هىعليه فى خليج كاليه ،كما ان الشواطىء كانت مناسبة وصالحة لنزول القوات الغازية الكبيرة فيها ،ولأنها ايضا كانت بعيدة الى حد ما عن قوة العدو الرئيسية وفى وسعنا أن نعزل ميناء شربورج ونستولى عليه بسرعة ، اما بريست ففى وســـعنا ان نلتفت حولها وان نحتلها فيما بعد .

ولما كنت أفكر منذ عهد بعيد فى موضوع سفن الانزال وفى معدات انزال الدبابات وذلك ببناء أرصفة عائمة فوق سطح البحر ، وكان العمل قد مضى قدما فى اعداد كل هذه المعدات ، على أثر مذكرة وجهتها الى اللورد لويس مونتباتن قائد العمليات المشتركة ، وذلك فى الثلاثين من مايو عام ١٩٤٢ ، وقد قلت فيها :

« يجب ان تقوم هذه الارصفة مع التيار ، وعلينا ان نتغلب على مشكلة المرسى ،ومن الواجب ان يكون فىالبواخر السنة جانبية وجسور متحركة هى من الطول بحيث تستطيع الوصـــول الى مراسى الارصفة العـــائمة ، أرجو أن تجدوا لى أفضل حل لهذه المشكلة ، وأرجـــو الا تناقشوا القضية فان المتاعب نفسها هى التى ستتولى النقاش » .

واتجه الرأى فيما بعد الى خلق مناطق صناعية من الماء المحصن من التيارات الهوائية وذلك بوساطة حواجز للماء توضع على سفن خاصـــة وتنقل الى المكان المعين بقوتها الذاتية ثم يجرى اغراقها وفقا للخطة الموضوعة فى المكان المحدود ، وقد اقترح هذه الفكرة الكومندر هيوز هاليت فى يونيو عام ١٩٤٣ ، وقد وضع مخطط شـــامل لبناء ميناءين صناعيين كاملين يمكن سحبهما واعدادهما للعمل بعد بضعة ايام من بدء عملية الانزال الاصـــلية ، كما انه فى وسع قطع الانزال ان ترسو عليها وان تفرغ حمولتها .

وقد اقتنعت الآن بالفوائد العظيمة التى يمكن ان نحصـــل عليها من استخدام هذه الموانى والتى تضمن هبوط جيوش كبيرة تعدادها مليون من الجنود وقد تزاد الى المليونين مع كل ماتحتاج اليه من معدات حديثة واجهزة وذلك عند مهاجمة قطاع الهافر ــ همبورج ، وبناء على ذلك فقد وضع مصممو المشروع ورؤساء اركان الحرب البريطانيين

ثلاثة افتراضات ، وافقت عليها تمام الموافقة كما وافق عليها اصدقاؤنا الامريكيون ، وكما قبلها الروس ايضا وهى :

١ ــ يجب أن يكون هناك هبوط ملحوظ فى قوة الطائرات الالمانية المقاتلة فى شمالى اوربا الغربى قبل أن يبدأ الهجوم .

٢ ــ يجب الا يكون هناك فى شمالى فرنسا عند شن الهجوم اكثر من اثنتى عشرة فرقة ألمانية متحركة ، وألا يتمكن الالمان فى بحر الشهرين التاليين من اعداد اكثر من خمس عشرة فرقة اخرى .

٣ ــ يجب تذليل مشكلة تموين قوات ضخمة فى وجه التيارات المائية الشديدة فى قناة المانش لفترة طويلة ، ولضمان هذه النتيجة يجب علينا أن نتمكن من بناء ميناءين كبيرين على الاقل .

ولما كنت راضيا عن تمكنى من تقديم هذا العرض الشامل الى الرئيس مدعما بتأييدى الكامل فسيقتنع به اصدقاؤنا الامريكيون ، ولذلك فقد عملت على حشد اعظم الخبراء فى هذه الشئون من كل من لندن وواشنطن فى « كويبك » لوضع الحلول لمختلف المشكلات الفنية .

كما دارت لى احاديث اخرى مع رؤساء أركان الحرب حول مختلف القضايا المتعلقة بحرص الهند والشرق الاقصى ، واستعراض كل ما يتعلق بالقيادة العليا البريطانية المواجهة لليابان ، وبدا لى أن سير العمليات الحربية على نطاق واسع ضد اليابان يتطلب ايجاد قيادة عليا للحلفاء مستقلة كل الاستقلال ، وقد وافقنى رؤساء اركان الحرب على رأيى ، واعدوا مذكرة بشأنها لكى يبحثوها مع زملائهم الأمريكيين فى « كويبك » وقررت ان اقترح اسم الاميرال مونتباتن لتولى القيادة العليا على الرئيس فى اول فرصة ممكنة ، ولما عرضت الامر على الرئيس وافق عليه .

هذا وقد وصلنا الى هاليفاكس فى التاسع من شهر اغسطس ومنها انتقلنا الى القطار الذى اوصلنا الى « كويبك » وفى السابع عشر من أغسطس وصل الرئيس ومعه هارى هوبكنز ، كما جاء آيدن وبراندن براكن طائرين من انجلترا وأثناء اجتماعاتنا ، تواردت الينا الانباء عن مساعى ايطاليا لعقد الصلح .

وقررنا أن نبدأ فى بحث عملية « السد الأكبر » أى عبور القناة على ضوء المخططات التى أعدها الجنرال مورجان والتى بحثها رؤساء اركان الحرب وهى تتلخص فيما يلى :

« تكون هذه العملية ، اول مجهود تقوم به القوات البرية والجوية البريطانية والامريكية ضد المحور فى اوربا وذلك فى اليوم الاول من مايو عام ١٩٤٤ .

توزيع الموارد المتيسرة بين عملية « السد الأكبر » والعمليات الاخرى فى البحر المتوسط بالقوات التى خصصتها فى المؤتمر السابق الذى عقدناه فى واشنطن فى شهر مايو الماضى ، الا اذا قررت رياسة اركان الحرب المشتركة خلاف ذلك .

ولما كانت الولايات المتحدة قد حصلت على القيادة العليا فى شمالى افريقية فقد اتفقت مع الرئيس على ان يتولى الجنرال بروك رئيس

أركان حـــرب القوات البريطانية قيادة عملية « السد الأكبر » ولما كان من المقرر ان تبدأ هذه العملية بقوات بريطانية وامريكية متساوية ، ولما كان مقر القيادة فى بريطانيا نفسها ، فقد كان هذا الترتيب هو الافضل.

اما بالنســبة الى الشرق الاقصى ، فقد كان الخلاف الرئيسى ، بين رؤســاء اركان الحرب البريطانيين والامريكيين ، منصبا على ان بريطانيا كانت تطالب بمركز لائق فى الحرب ضد اليابان » منذ اللحظة الأولى التى تتم فيها هزيمة ألمانيا وكنت أحث أصدقائى فى لجنة رؤساء أركان الحرب على أن يطالبوا بهذه النقطة اذ ان كل ما كنت اخشاه فى هذه المرحلة من الحـــرب ، ان يقول الناقدون الامريكيون « ان انجلترا قد اخذت منا اقصى ما نستطيعه لمساعدتها على هزيمة هتلر ، وستقف فى منأى عن الحرب ضد اليابان تاركة ايانا وحدنا فى المعركة » ولكننا ازلنـا هذه الفــكرة تماما عندما اجتمعنا فى « كويبك » وعلى الرغم من عدم اتخاذ قرار فى صدد العمليات الفعلية التى ستتخذ ، الا أننا قررنا ان نركز جهودنا الرئيسية فى عمليات هجومية تستهدف « اقامة اتصال برى مع الصين وتحسين الطرق الجوية والمحافظة عليها » .

كما استقر الرأى على ان نعمل على الوصول الى هزيمة اليابان فى بحر اثنى عشر شهرا من انهيار المانيا .

اما بالنسبة للحرب فى البحر الابيض المتوسط . فقد عقد ايزنهاور فى العاشر من اغسطس مؤتمرا عسكريا لقادته العسكريين ، ليتشاوروا فى كيفية نقل الحملة الى ايطاليا .

ولما كان لألمانيا ست عشرة فرقة فى شـــمالى ايطاليا تحت قيادة رومل وفرقتان بالقرب من روما ، واربعة أخرى فى الجنوب تحت قيادة كيسلرنج ، كما أن فى امكانها تعزيز هذه الفرق بعشرين فرقة أخـــرى كان قد تم سحبها من روسيا لاعادة تنظيمها فى فرنسا .

ولما لم يكن فى وسعنا حتى فى مدة طويلة ان نجمع مثل هذا العدد من الفرق ولو أن لنا الآن الســيطرة على الجو والبحر ، وكان الهجوم الذى تركزت عليه الافـكار الآن يعتبر مغامرة خطرة وجزئية ، وذلك بقصد الاستيلاء على ميناءى نابولى وتورنتو ليمكن استخدامهما .

ولما كان هدفنا الأول احتلال المطارات وخصـوصا القريب منها من روما وكذلك المطارات الموجودة فى فوجيا لصـــلاحيتها للقــاذفات الثقيلة وكذلك المطارات الكائنة فى مونتيكو وفينو ، فقد قرر الجنرال ايزنهاور ، ان يبدأ الهجوم فى اول شهر سبتمبر من جهة مضايق مسينا وانزال بعض القوات فى كالابريا بقصد احتلال نابولى ، وانزال فيلق آخر من البريطانيين والامريكيين على شواطىء خليج ساليرنو الممتازة ، حيث كان هذا الخليج هو الحد الاقصى الذى كان فى استطاعة طائراتنا المقاتلة العاملة من مطار صقلية ان تحميه توطئة لزحف قواتنا شـمالا لاحتلال نابولى .

ولما كانت رياسة أركان حرب القيـــادة المشتركة قد طلبت الى انا والرئيس أن نخول لايزنهاور احلال موضوع سردينا وكورســيكا المرتبة الثانية من ناحية الاولوية ، وكان هذا هو ما سعيت اليه منذ زمن بعيد ، فقد وافقنا كما وافقنا على أن تنزل الطائرات فرقا من الجنود لاحتلال المطارات الواقعة فى جنوبى روما .

غـــزو ايطـــاليـا

انتهى مؤتمر « كويبك » فى الرابع والعشرين من شـــهر أغسطس ، وطار زملاؤنا كل الى مقره فى مختلف الجهات ، وقررت أن أقضى بضعة أيام من الراحة فى مزرعة للماشية يملكها العقيد كلارك على بعد خمسة وسبعين ميلا من كويبك وتقـــع وســـــط الجبال بجوار بحيرة الجليد الكبرى ، ولاعد فى الوقت نفسه الخطاب الذى تقرر أن أذيعه فى الحادى والثلاثين من أغسطس ، وفى هذه المدة شهدت اجتماعا للوزارة الكندية وحدثت أعضاءها بكل مالا يعرفونه عن المؤتمر وسير الحرب ، وقد أتيـــح لى شرف تأدية اليمين كعضو فى المجلس الخاص التابع للوزارة الكندية وعدنا الى كويبك فى التاسع والعشرين من أغسطس وقد شهدت اجتماعا آخر للوزارة الكندية ، وفى اليوم الحادى والثلاثين أذعت حديثى الى الشعب الكندى والى العالم المتحالف معنا ، قبل سفرى الى واشنطن ، ولما عدت الى البيت الابيض تحدثت الى الرئيس فى مختلف الشئون وجاء الأميرال باوند أيضا ليبحث معنا احدى النقـــــط البحرية . وقد وجه اليه الرئيس عدة أسئلة عن سير الحرب بصفة عامة ، وقد آلمنى أن أراه وهو الموثوق به ، قد فقد ما يمتاز به من دقة فى سرد الحقائق التى كانت أعظم مزاياه ، وقد تبين أن ذلك راجع الى اصابته بنوبة مفاجئة سببت له شللا فى جانبه الايمن ، والتى بسببها قدم استقالته وقد قبلتها فى الحال ، وابرقت الى الاميرالية معيـــــنا نائب الاميرال سيفريت ليتولى القيادة بدلا منه .

ولما كانت الاحداث تتوالى سراعا فى ايطاليا ، أثناء محادثاتنا فى كويبك وكنت أتابع مع الرئيس سير مفاوضات الهـــدنة السرية مـــــع حكومة بادوليو ، فقد تعمدت اطالة مدة اقامتى فى الولايات المتـــحدة ، لاظل على اتصال وثيق بأصدقائنا الامريكيين فى هذه اللحظة الدقيقة ، وفى يوم وصولى الى واشنطن جاءتنا أول أنباء رسمية بموافقة بادوليو على الاستسلام للحلفاء .

وفى الثالث من ســـــبتمبر وقع الجنرال كاســـتيلانو الشروط العسكرية لاستسلام ايطاليا وذلك فى غابة زيتون على مقـــربة من سيراقوزه ، وفى فجر اليوم التالى عبر الجيش الثامن مضايق مســـينا ونزل فى ايطاليا .

هذا وقد أوفدنا الجنرال الامريكى تيلور فى السابع من سبتمبر فى مهمة سرية ليرتب مع رياســـــة اركان الجيش الايطالى تسليمنـــا المطارات الواقعة حول العاصمة ليلة التاسع من سبتمبر ، الا أنه فى ذلك الوقت طلب الجنرال كاستيلانو حماية الحلفاء لايطاليا ، بسبب

وجود قوات كبيرة من الالمان مسيطرة على المطارات الايطالية ، ولان الجيش الايطالى كان فى وضع معنوى سيىء ويفتقر الى العتاد والذخائر ، مما كان له أسوأ الاثر ، وحينئذ طلب الجنرال تيلور مقابلة المارشال الايطالى ، وكان كل شيء فى ذلك الوقت معلقا فى كفة القدر لان القادة الايطاليين كانوا يخشون أن يؤدى اعلان الاستسلام الى احتلال الالمان الفورى لروما ، والى نهاية حكومة بادوليو ، فلما قابله فى صباح اليوم الثامن من سبتمبر ، رجاه فى تأجيل اذاعة شروط الهدنة لان المطارات أصبحت فى أيدى الالمان ، ولذلك فقد أبرق الجنرال تيلور الى القيادة العليا فى الجزائر بأنه لا يستطيع ضمان سلامة مطارات روما ، ولذا فقد تقرر العدول عن عمليات الهبوط من الجو فى هذه المطارات .

الا أن الجنرال ايزنهاور صمم على اعلان شروط الهدنة فى الحال ورفض طلب بادوليو ، متبعا اياها بالبيان الذى أصدره المارشال بادوليو بعد ساعة واحدة من روما ، وهكذا تم استسلام ايطاليا .

ولكن القوات الالمانية بدأت فى تطويق روما ، وتحصن بادوليو والأسرة المالكة فى مقر وزارة الحربية ، ومنها نقلوا فى خمس سيارات الى ميناء بسكارا على بحر الادرياتيك ، وكان فى انتظارهم طرادان ، أبحرت عليهما العائلة المالكة وبادوليو وأعضاء حكومته وكبار الموظفين الى ميناء برنديزى فوصلوا اليها صباح يوم ١٠ سبتمبر ، حيث شرعوا فى اقامة حكومة ايطالية معادية للفاشية فى المناطق التى يحتلها الحلفاء .

وبعد مغادرة الفارين روما ، وصل اليها المارشال كافيليا بطل معركة فيتوريو فينيتو فى الحرب الاولى ، وحمل على عاتقه مفاوضة القوات الالمانية التى تحاصر روما ، ووقع معها هدنة عسكرية ، وبذلك أصبحت الفرق الالمانية لها كامل الحرية فى التجول داخل المدينة .

وبعد ذلك غادرت القوات الرئيسية للاسطول الايطالى ميناءى جنوا وسبيزيا فى رحلة بحرية الى مالطة لتستسلم للحلفاء ، وذلك تنفيذا لتعليمات الحلفاء ، وقد تعرضت هذه القوات أثناء سيرها على مقربة من ساحل كورسيكا الغربى لهاجمة الطائرات الالمانية ، فأصيبت بارجة القيادة « روما » وانفجرت وغرق كل من عليها بما فيهم القائد العام للاسطول الايطالى الاميرال برجامينى ، كما أصيبت البارجة « ايطاليا » بأضرار جسيمة أيضا ، وواصلت بقية قطع الاسطول سيرها تاركة بعض القطع الصغيرة لانقاذ الناجين ، وقد استقبلها الاسطول البريطانى فى عرض البحر ورافقها الى مالطة ، كما غادرت أيضا مجموعة أخرى من الاسطول الايطالى ميناء تورينتو فى التاسع من سبتمبر فوصلت الى مالطة صباح الحادى عشر من سبتمبر وقد أبرق الاميرال كاتنجهام الى الاميرالية يقول « ان أسطول البوارج الايطالية يرسو الآن تحت حماية مدافع قلعة مالطة »

وهكذا سارت الأمور بالنسبة للحلفاء سيرا مرضيا ، فقطع الجيش الثامن مضايق مسينا ولم يلق أية مقاومة واحتل ريجيو ، ثم بدأ زحفه

على طرق كالابريا الجبلية الضيقة ، وابرق الينا الجنرال اليكساندر في السادس من ايلول يقول : « ان الالمان يقاتلون في آخر معركتهم ويخربون ويحرقون المدن ، وفي هذا الوقت كانت وحدات الحلفاء البحرية من مختلف الاشكال تقطع المضيق بين صقلية والبر الايطالي تنقل الرجال والعتاد ، ولم يتعد القتال بعض المناوشات البسيطة .

وتلقيت من الجنرال اليكساندر ليلة الثامن من سبتمبر ، رسالة تبشرني ببدء الهجوم عندما كنت اغادر كويبك عائدا الى الوطن ، وقد بعثت اليه بالرد التالي : آمل أن تكون مراقبا لكل ما يدور في المعركة التي يتوقف عليها كل شيء الآن ، كما يجب الا نضن بأي شيء على معركة نابولي الحاسمة » وكان رده مطمئنا وسريعا ، ويقول : « شكرا جزيلا على عرضك المساعدة ، واننا نبذل كل شيء لنجعل من هذه العملية عملية ناجحة وسيتقرر مصيرها في الايام القليلة القادمة » وقد شعرت بشيء من الارتياح عندما علمت بأن الاميرال كاتنجهام لم يتردد في المجاذفة ببوارجه والدنو بها من الساحل لمساعدة الجيش حيث بعث بالبارجتين « دورسبايت » و « فاليانت » للاشتباك في المعركة ، وقد أصيبت لسوء الحظ البارجة « دورسبايت » بعد ظهر السادس عشر من سبتمبر بنوع جديد من القنابل المنزلقة التي لم نكن حتى الآن قد سمعنا عنها .

وبينما كنا لا نزال في عرض المحيط نشق طريقنا بالتواء ، عائدين الى الوطن وجهت قواتنا ضربة حاسمة الى ميناء تورنتو ، مما أمن لبوارج الاسطول الملكي الدخول بجرأة في هذا الميناء ، كما أمن نزول قواتنا البرية على شاطئ ساليرنو دون أن تلقى أية مقاومة ، ولم تتعد خسارتنا طرادا واحدا أصيب بلغم فغرق في البحر ، ولا زلت احتفظ بالعلم البريطاني الذي رفعه اليكساندر على تورنتو والذي كان أول أعلام الحلفاء التي خفقت فوق القارة الاوربية .

ومضت معركة ساليرنو في طريقها ، وبعد قتال مرير عانينا فيه مخاوف ومخاطر كثيرة ، فشل الالمان في قذفنا الى البحر ، وادرك كسلرنج انه فاشل لا محالة ، وركز جناحه الايمن على التلال القائمة وراء ساليرنو ، ليؤمن سحب قواته الى الوراء ، وسرعان ما زحف الجيش الثامن بقيادة مونتجمري فاتصل بالجيش الخامس الذي كان قد لحق به التعب والانهاك ، وتقدم الفيلق البريطاني العاشر والى يمينه الفيلق الامريكي السادس ، دافعين أمامهما قوات العدو المتراجعة حول فيزوف ، فعبرا آثار مدينتي بومبي وهيراقليوم ودخلا نابولي في اليوم الاول من نوفمبر ، وبذلك تم لنا الانتصار .

جمود فى البحر المتوسط

وبعد عودتى من هاليفاكس بأيام قليلة ، أرسلت برقية الى الجنرال ايزنهاور ، أحدد فيها نسبة المجهود الذى يجب أن يكرس لمشروعاتنا المختلفة ولاسيما فيما يتعلق منها بالمراكز الحساسة ، أقول :

١ ـ لما كنت الح على ضرورة العمل فى اتجاهات مختلفة ، فمن الضرورى أن أعرض عليك « الاوليات » التى أحددها فى فكرى لهذه الاهداف المرغوب فيها بصورة عامة .

٢ ـ علينا أن نكرس أربعة أخماس جهودنا فى اعداد قوتنا فى ايطاليا لانهاء السيطرة عليها ، وأن نكرس تسعة أعشار مجهودنا للاطمئنان على مصير كورسيكا التى ستنتهى منها قريبا الى الادرياتيك ، أما العشر الباقى فيجب أن يركز على رودس ، ويتوقف هذا كله بالطبع ، على العوامل المحدودة لمجهودنا ، واعنى بها قطع الانزال ، وسفن الهجوم مع الوحدات البحرية الخفيفة .

٣ ـ أبعث اليك بهذا على اعتبار انه توجيه أولى يدلك على ما أفكر فيه ، لانى لا أريد منك أن تشعر بأنى أحاول الضغط على جميع الاتجاهات دون فهم القيود والمغارم التى تعانى منها .

وقد رد ايزنهاور فى اليوم التالى بالبرقية التالية :

« اننا ندرس ما لدينا من موارد بعناية ، لنعطى للشرق الاوسط كل ما يحتاج اليه من عون فى هذا المشروع ، واعتقد أنه فى وسعنا أن نضمن أقل ما نحتاج اليه من متطلبات فى هذه المنطقة .

وعندما يستطيع منتجمرى أن يتقدم بقواته الى الامام ، لدعم ميمنة الجيش الخامس ، فان الامور ستسير بسرعة فى جبهة نابولى ، أما الآن فنحن فى وضع يشبه كل وضع يسود بعد المراحل المبكرة لاية عملية مشتركة ، اذا تمددت قواتنا من ناحية ادارية وتكتيكية ، ونحن نعمل بجهد لتحسين الموقف ، وسنتلقى أنباء طيبة قبل مضى وقت طويل »

ولكن هذا الرد لم يشر اشارة واضحة للنقاط التى اثرتها فى رسالتى ، والتى أعتبرها أهم جزء فيها ، وهى المتعلقة بتوزيع قواتنا لمواجهة المشروعات الفرعية وهى مشروعات كثيرة .

وقد أدى استسلام ايطاليا ، الى اتاحة الفرصة لكسب جزر بحر ايجة التى كنا ننظر منذ أمد بعيد اليها كأهداف نتطلع الى احتلالها حيث كانت قلاع رودس وليروس وكوس محصنة وتحتل مرتبة عالية

بين أهدافنا ، وكانت رودس تعتبر مفتاحا لهذه المجموعة بالنظر الى مطاراتها الجيدة التى نستطيع منها أن نحمى الجزر الاخرى التى قد نحتلها لاستكمال سيطرتنا البحرية على هذه المياه يضاف الى هذا أن القوات الجوية البريطانية العاملة فى مصر وبرقة تستطيع أن تقوم بحماية مصر ، بطريقة أفضل ، اذا تقدم بعضها الى مطارات رودس واحتلتها ، ولا ريب انه بعـــد أن سيطرنا على جزر بحر ايجة ، اعتبرنا هذا العمل حاسما بالنسبة الى تركيا ، التى تأثرت تأثيرا عميقا بانهيار ايطاليا ، واذا تمكنا من استخدام بحر ايجة ومضايق الدردنيل ، فقد يصبح طريقنا البحرى قصيرا الى روســـيا ، ولن نعود فى حاجة الى القوافل القطبية الكثيرة الخطورة والباهظة التكاليف ، أو الى طريق التموين الشاق الطويل عبر الخليج العربى .

ولما شعر الالمان بالخطر الشديد المخيف الذى توقعوه منا على جناحهم الجنـوبى الشرقى ، حث ممثلو الجيش والبحرية فى مؤتمر عقد فى مقر قيادة الفوهرر فى الرابع والعشرين من سبتمبر ــ زعيمهم على وجوب الجلاء عن كريت وبعض جزر بحر ايجة ، قبل أن يفوت الاوان ، وأشاروا الى القوات الامامية التى تركزت فى شرق البحر الابيض المتوسط استعدادا للهجوم وأكدوا ضرورة تجنب فقد القوات والمواد الحربية التى قد تلعب دورا مهما حاسما فى الدفاع عن القارة ، ولكن هتلر رفض الانصياع الى هذه الآراء ، وأصر على عدم الجلاء عن كريت وجزر الدوديكانيز بوجــــه خاص ، لمـــا يترتب عليه من آثار سياسية وقال : « ان موقف حلفائنا فى الجنوب الشرقى وموقف تركيا ، تقررهما الثقة فى قوتنا ، ولا ريب أن التخلى عن هذه الجزر سيخلق أثرا سيئا للغاية » وقد برهنت الاحداث على صحة حكمه فى النضال دفاعا عن جزر بحر ايجة فقد أحرز مكاسب ضخمة بأقل ما يمكن من التكاليف بالنسبة للوضع الاستراتيجى الرئيسى ، فلقد كان مخطئا فى البلقان ، ولكنه كان مصيبا فى بحر ايجة .

الا أنه فى هذه الاثناء تحسنت أوضاعنا ولم تحل نهاية شـــــهر سبتمبر حتى كنا نحتل جزر كوس وليروس وساموس ، ووضعنا فيها حاميات الا أنه لم يكن فى وسعنا بالنسبة لقلة البواخر أن نؤمن ارسال أسلحة ثقيلة وسيارات الى هذه الجزر ، وكانت جزيرة كوس مهمة للغاية من الناحية الاستراتيجية لانها كانت تضم مطارا تســـتطيع طائراتنا المحاربة أن تعمل منه وسرعان ما أعددناه للخدمة وأنزلنا الى الجزيرة أربعة وعشرين مدفعا للدفاع عن المطـــار ، وأصبحت الجزيرة طبعا أول هدف للهجوم المضاد من العدو ، وفى صباح الثالث من أكتوبر هبـــط المظليون الألمان فى المطـــار وتغلبوا على السرية الوحيدة التى كانت تدافع عنها . وتم عزل بقية سرايا الفوج فى شمال الجزيرة بحركة انزال بحرية قام بها العدو ، ولم يتمكن اسطولنا من وقفها وسقطت الجزيرة فى أيدى العدو .

وأبرق الى ويلسون فى الثـــانى والعشرين من سبتمبر ، يحـــدد أقل ما يحتاج اليه من مطالب للقيام بمحاولة جديدة ضد رودس ، وقد قرر استخدام الفرقة الهندية العاشرة وجزءا من لواء مدرع وكان

فى حاجة الى بعض القوات الحارسة والى بعض قوات الانزال التى تقصف بمدافعها مواقع الانزال ، وثلاث بواخر لانزال الدبابات ولحمل السيارات وسفينة مستشفى ، وعدد من طائرات النقل لحمل فوج من المظليين ، وقد أزعجنى عجزنا على دعم هـــذه العمليـــات ، فأبرقت الى الجنرال أيزنهاور طالبا عونه ، وقد استطاعت المساعدات التى أرسلهـــا الينا أن تحرز نجاحا مذهلا .

ولما كان الالمان قد استعادوا زمام المبادرة الآن ، حيث نقلوا عددا كبيرا من طائراتهم الى بحر ايجة لاحباط الخطة التى كنت حزمت أمرى عليها فقد عرضت القضية على الرئيس روزفلت فى السابع من أكتوبر ، ولكنى تألمت أشد التألم عندما تلقيت منه برقية تكاد تشبه الرفض ، وتركتنى هذه البرقية فى وضع حرج ، أواجه الضربة المتوقعة التى لم يعد منها مناص ، وقد بعثت الى الرئيس روزفلت بالبرقية التالية :

« لا أريد أن أرغم ايزنهاور على تحويل قواته مما يترتب عليه تهديد امكانياته فى تطوير العملية الايطالية ، تطويرا ناجحا ومبـــكرا يضمن لها الحصول على خط دفاعى أمين الى الشمال من روما .

وانني أعارض فى أى تحويل للقوى ، قد يؤدى الى ما يرى ايزنهاور الى تهديد وضع سلامته الراهنة فى ايطاليا ، وهو وضع يجرى اعداده بمنتهى البطء على ضوء الاعتبارات المترتبة على قوة خصمه ، الذى يتمتع بتفوق ملحوظ فى القوات البرية والفرق المدرعة .

وأنى لارى أيضا ضرورة عدم القيام بأى تحويل للقوى أو المعدات يؤدى الى التأثير على خططنا لعملية « السيد الأكبر «اى» غزو أوروبا » ويوافقنى على رأيى رؤساء أركان الحرب الامريكيون وقد بعثت بصورة هذه البرقية الى ايزنهاور »

وبعد ذلك قررت أن أطير الى تونس حيث يجتـــمع الآن كافة القواد العسكريين العاملين فى مؤتمر حربى .

ولكن رد الرئيس روزفلت قضى على كل ما تبقى لدى من آمال ، فقد أعرب عن رأيه فى أن حضورى هذا المؤتمر ، سيكون غير مناسب ، ولهذا فقد ألغيت الرحلة ، وفى الوقت نفسه ، وصلت الانباء تقول ان هتلر قرر تعزيز جيشه فى ايطاليا وأن يخوض معركة رئيســـية الى الجنوب من روما ، وكانت هذه المعلومات كافية لقلب الميزان ضد ارسال النجدات اللازمة للهجوم على رودس ، الا أننى ظللت مقتنعا بأنه كان فى وسعنا ادخال احتلال رودس ضمن الاطار العسكرى لخططنا ولكنى على كل حال أذعنت .

ولما لم يكن فى وسعى — وما زالت أمامنا قضـــايا خطيرة للغاية معلقة فى كفة الاقدار — ان أغامر بأى تصـــدع فى علاقاتى الشـــخصية بالرئيس روزفلت

ولما كان احتلال روما لم يتم الا بعد ثمانية أشهر ، وقد استخدمنا من البواخر عددا يساوى عشرين ضعفا لما كنا فى حاجة اليه لاحتلال

رودس فى خلال اسبوعين ، طيلة الخريف والشتاء لنقل قواعد القاذفات الثقيلة من أمريكا وبريطانيا الى ايطاليا ، فقد ظلت رودس شوكة فى جانبنا ، ولما رأت تركيا هذا الجمود غير العادى من جانب الحلفاء على مقربة من سواحلها غدت أقل استجابة لنا وحرمت علينا استخدام مطاراتها .

ولما نفذت القيادة الامريكية وجهة نظرها ، تحتم على البريطانيين أن يدفعوا الثمن ، على الرغم من اننا جاهدنا للحفاظ على مواقعنا فى ليروس ، الا أن مصير قوتنا هناك أصبح محتوما ، وسارعت حامية ساموس المؤلفة من لواء كنت الملكى الثانى ، الى ليروس فى المراحل الاخيرة ، ولكن المعركة كانت قد انتهت وسقطت النجدة بدورها فريسة للعدو ، لانها كانت تفتقر الى العون الجوى ، وهكذا سقط هذا اللواء من جنودنا فى قبضة العدو ، وانتهت فى الوقت الحاضر جميع آمالنا فى بحر ايجة ، وحاولنا فورا أن نجلى جميع حامياتنا الصغيرة من ناموس وغيرها من الجزر ، وأن ننقذ الناجين من ليروس ، فتمكنا من انقاذ نحو ألف جندى بريطانى ويونانى مع عدد من الأسرى الايطاليين والالمانيين ولكن خسائرنا البحرية كانت بالغة ، فقد غرقت لنا ست مدمرات ، وغواصتان ، كما أصيبت أربع طرادات وأربع مدمرات بأضرار وقد اشترك معنا فى هذه المحنة الأسطول اليونانى الذى لعب دورا عظيما طيلة مراحل القتال .

أما عملية « السيد الاكبر «اى» غزو أوروبا » فقد كان لى فيها فضل كبير حيث زودت ايزنهاور بأربع فرق بريطانية من مصر من خير الجنود واحسنهم تدريبا ، بالاضافة الى الفرق التى كان من المقرر أن نزوده بها فى البداية كما جهزناها بموارد رئيسية لم تكن تتوقعها ، وبدونها كان من المحتمل أن تحل كارثة شاملة بالحملة كلها .

وفى هذا الوقت غير هتلر رأيه بالنسبة لاستراتيجية ايطاليا عملا بنصيحة كسلرنج واصدر آوامره الى قواته بالقتال فى جنوب ايطاليا وقد اختار خطا يحاذى نهر سانجرو على جانب الادرياتيك عابرا سلسلة جبال ايطاليا الى مصب نهر كاراجليانو الى الغرب ، وهكذا تبدل الوضع فى ايطاليا تبدلا كبيرا فى غير صالحنا لان هتلر عزز هذه القوات بقوات كبيرة أخرى ، وكان الحلفاء على النقيض من ذلك ولم تتمكن الفرق الاضافية الاربع التى بعثت بها من سد الثغرة ، مما ادى الى اطالة الحرب فى ايطاليا ، ومع هذا فلم يحل هذا كله دون أن نبدأ عملية « السيد الاكبر » بنجاح فى السادس من يونيو وبقوات كافية .

القوافل القطبية

انتهى عام ١٩٤٢ بعمــــل جرىء قامت به المدمرات البريطانية التى ترافق احدى القوافل الى شمال روسيا فى المياه القطبية ، مما أدى الى أزمة فى القيادة العليا الالمانية ، وطرد الاميرال ريدر من الاشراف على الشئون البحرية كما قامت قافلتان أخريان مؤلفتان من اثنتين وأربعين سفينة برحلات خطرة بين شهر نوفمبر وشهر مارس ، أى فى الاشهر التى يكون فيها الجو مظلما فى القطب الشمالى ، وقد وصلت منها أربعون سفينة ، ولمــــا انتهت فترة الظلام وابتدأ الضوء يسطــع أصبح من السهل على العدو أن يهاجم القوافل ، وكان قد تركز ما تبقى من الاسطول الالمانى بما فيه البارجة تيربيتز فى المياه النرويجية ، فأخذ يؤلف خطرا كبيرا ومستمرا يهدد معظم الطريق ، كما كانت معركة الاطلنطى مع الغواصات تتجه نحــــو أزمة عنيفة ، وكان العبء على مدمراتنا أكثر مما تطيق وتحتمل ، ولذلك فقد اقترحت الاميرالية فى شهر ابريل وقف ارسال المؤن الى روسيا من هذا الطريق حتى يعود الظلام فى الخريف .

وبعد ذوبان الثلوج فى الربيع ، أخذ الفريقان يجمعان شـــمل قواتهما استعدادا للكفاح الرهيب ، وكان الروس قد أصــبحوا الآن متفوقين فى البر والجو وتمكنت المدفعية الروسية من تحطيم دبابات « النمر » الجديدة التى كانوا قد علقوا عليهــــا الكثير من الآمال فى النجاح ، كما انهالت الضربات الروسية أثناء المعارك الثلاث فى كورسك وأوريل وخاركوف ، مما سبب خسائر فادحة لالمانيا .

ولم يأت شهر سبتمبر ، حتى كان الالمان يتراجعون على طول جبهتهم الغربية من منطقة موسكو حتى البحر الاسود ، كمالم يستطيعوا الصمود على نهر الدينيبر ، وخصوصا بعد أن قطع الطريق على الحامية الالمانية القوية فى شبه جزيرة القرم ، وسقطت كييف فى السادس من نوفمبر ، ولم يحل شهر ديسمبر حتى كانت الجيوش الالمانية فى أواسط روسيا وجنوبيها قد أرغمت على التراجع الى الوراء مسافة مائتى ميل وفشلت فى الاحتفاظ بخط نهر الدينيبر .

ولما كانت روسيا فى حاجة ماسة الى امدادها بما تحتاج اليه جيوشها من عتاد وذخيرة فقد استدعى مولوتوف سفيرنا فى موسكو وطلب اليه سرعة استئناف ارسال القوافل ، وأشار الى أن الاسطول الايطالى فى البحر الابيض قد زال من الوجود ، وأكد أن الســـكة الحديدية الايرانية لا تستطيع أن تحمل ما فيه الكــفاية وقال ان الحكومة الروسية تصر تبعا لذلك على استئناف ارسال القوافل بسرعة فائقة .

وعندما اجتمعنا فى لندن فى التاسع والعشرين لدراسة جميع هذه الموضوعات عرضت أمامنا حقيقة مناسبة ، فقد تمكنت غواصاتنا من مهاجمة البارجة تيربيتز وعطلتها عن العمل ، كما أن البارجة لوتزار كانت قد ارتحلت الى البلطيق وهكذا فقد تحسن الوضع بالنسبة لنا فى المياه القطبية لفترة بضعة شهور على الاقل ، ولهذا فقد بعث الى ستالين الرسالة التالية :

« يسرنى غاية السرور أن أبلغك أننا نعد العدة لابحار مجموعة من أربع قوافل الى شمال روسيا فى أشهر نوفمبر وديسمبر ويناير وفبراير على أن تتألف كل منها من خمس وثلاثين سفينة بعضها أمريكى والبعض الآخر بريطانى »

وقد أصدرت أوامرى فى الحال باتخاذ الاجراءات اللازمة لارسال هذه القوافل الاربع ولو أن ما كان لدينا من بحارة أقل مما كنا نحتاج اليه ، ولما كان البحارة يشكون من سوء معاملة روسيا لهم ، فقد طلبت الى ستالين أن يعالج هذه الاوضاع لانه كان لا يسمح لهم بالنزول الا فى زورق روسى وبحضور موظف سوفيتى كما كان لا يسمح لاى واحد بالانتقال من سفينة حربية بريطانية الى سفينة تجارية بريطانية الا بعد اعلام السلطات السوفييتية وينطبق هذا الاجراء على الاميرال البريطانى .

وقد رد على ستالين يقول : ان السلطات السوفييتية قد منحت رجال القوات المسلحة البريطانية والبحارة البريطانيين امتيازات وتسهيلات كثيرة وأن ليس لدى اعتراض على أن تتولى السلطات البريطانية نفسها أعمال الرقابة على البريد الشخصى لهذه القوات فى الموانىء الشمالية على شرط المعاملة بالمثل .

وعلى أثر ذلك أعدت الترتيبات اللازمة لاستئناف سير القوافل ، وقد بدأت القافلة الأولى فى شهر نوفمبر وتبعتها الثانية فى شهر ديسمبر وبلغ مجموعهما اثنتان وسبعون سفينة وصلت كلها بسلام .

هذا وقد قدر للقافلة المتجهة الى شمال روسيا فى شهر ديسمبر أن تشتبك فى معركة بحرية ناجحة مع البارجة الكبيرة شارنهورست فى مياه النرويج وكانت ترافقها خمس مدمرات ، وكانت قوة الحراسة على القافلة تتألف من أربع عشرة مدمرة وثلاثة طرادات ، وقد أصيب فى هذه المعركة كل من شارنهورست والطراد البريطانى نورفولك ، وبعد ذلك توقف الالمان وانسحبوا جنوبا .

وعندما علمنا فى ابريل عام ١٩٤٤ أن البارجة تيربيتز قد تم اصلاحها وأخذت تتحرك فى البلطيق هاجمتها طائراتنا من الحاملتين « فيكتوريوس » و « فيريوس » بالقنابل الثقيلة ، كما أخذت طائراتنا التى تقوم بهجماتها من قاعدة فى شمال روسيا بتوجيه الضربة الحاسمة اليها فأغرقتها وأغرقت نصف بحارتها البالغ عددهم ١٩٠٠ رجل دون أن تصاب الا طائرة واحدة باضرار ، وبذلك أصبح فى

ميســـور البوارج البريطانية الثقيلة أن تنطلق الآن حرة الى الشرق الاقصى .

وقد خسرنا طيلة الحرب احدى وتسعين باخرة تجارية فى الطريق القطبى تبلغ ٨ر٧٪ من مجموع السفن المرسلة الى روسيا و ٨ر٣٪ من البواخر الفارغة العائدة كما خسر الاسطول التجارى ٨٢٩ شخصا من رجاله ، بينما دفع الاسطول الملكى ثمنا أغلى ، حيث غرق طرادان وســـبع عشرة سفينة حربية أخرى وغرق معهـا ١٨٤٠ جنـــديا وضابطا .

طهران - الفاتحة

عندما عدت الى الوطن من مؤتمر كويبك ، فكرت فى اجتماع يضم رؤساء الحكومات الثلاث ، لما له من أهمية كبرى بالنسبة لعملية عبور القنـــاة ودخولنـــا أوروبا فى عام ١٩٤٤ ، واختيـــار قائد أعلى لهذه العملية ، ولما كنت قد اتفقت مع الرئيس فى مؤتمر كويبك على ان يتولى امريكى قيادة العملية ، فقد اتفقنا على اختيار الجنرال مارشال لتولى هذه القيادة ، وقد كان من المقرر ان تكون القوات البريطانية معادلة للقوات الامريكية فى مستهل عملية « السيد الاكبر » وأن يكون العدد الموجود منها فى ايطاليا ضعف عدد القوات الأمريكية ، كما يكون عددها ثلاثة أضعاف القوة الأمريكية فى البحر الابيض ، ولما كنت أشعر بأهمية الاجتماع مع الروس بعد أن اتحدت آراؤنا تجاه المشاكل البارزة المتعلقة « بالسيد الأكبر » وبموضوع القيادات العليـــا — كنت أرغب فى ان تمر الاجراءات فى ثلاث مراحل ، أولها — اتفاق انجليزى — أمريكى واسع النطاق فى القاهرة ، وثانيها — اجتماع ذروة لرؤساء حكومات دول الحلفاء الرئيسية الثلاث فى طهران ، وثالثها — عند العودة الى القاهرة ، وقد وافق روزفلت على المجىء الى القاهرة أولا على أن يأتى اليها أيضا مولوتوف وزير خارجية الصين .

وقد أبحرت فى الثانى عشر من نوفمبر من ميناء بليموث مع أركان حربى فى رحلة قدر لهـــا أن تبعدنى عن انجلترا أكثر من شـــهرين ، ووصلت الى الاسكندرية فى اليوم الحادى والعشرين من الشهر ومنها طرت الى القاهرة فى اليوم نفسه وأقمت فى منزل مجاور للاهرامات حيث وجدت أن الجنرال شيانج كاى شك والسيدة قرينته قد وصلا من قبل ، وفى صباح اليوم التالى وصل الرئيس روزفلت وتقرر أن يكون فندق « مينا هاوس » مقرا عاما للمؤتمر ، وأيضا لاجتماع رؤســـاء اركان الحرب البريطانيين والامريكيين .

وعقد رؤساء أركان حربنا المشتركون جلسة فى الرابع والعشرين من نوفمبر برياسة الرئيس روزفلت ، لم يشترك فيها الوفد الصينى لبحث العمليات الحربية فى البحر المتوسط وأوروبا ، واستهل الرئيس الاجتماع بالتحدث عن الأثر الذى قد تتركه على عملية «السيد الاكبر» أية عملية أخرى قد نقوم بها أثناء ذلك فى البحر الأبيض المتوســط بما فى ذلك مشكلة دخول تركيا الحرب الى جانبنا ، وقلت اننى اعتقد أن برنامجنا يجب ان يستهدف محاولة احتلال روما فى نوفمبر ورودس فى شهر فبراير ، وأن نستأنف ارسال المؤن الى اليوغسلافيين ، وأن نعيد فتح بحر ايجه على ضوء نتيجة محاولة جديدة نقوم بها مع تركيا وان نمضى فى جميع استعداداتنا « للسيد الاكبر » بمنتهى السرعة .

وكان المستر ايدن قد وصل من لندن وانضم الينا ، فتحدث عن الفوائد التى سنجنيها من دخول تركيا الحرب ، حيث سيضطر البلغاريون الى تركيز قواتهم على الحدود ، وعلى سحب قواتهم التى تقدر بعشر فرق من يوغوسلافيا واليونان ، مما يحتم على الألمان احلال قوات المانية بدلها كما سيصبح فى امكاننا مهاجمة آبار الزيت فى بلويستى ، كما ستقطع تركيا معدن الكروم عن المانيا ، كما أن هناك فوائد أخرى ، وهو ان دخول تركيا الحرب ، قد يؤدى الى تعجيل التفسخ بين المانيا والدول التابعة لها ، ولكن الوفد التركى لم يتأثر بجميع هذه الحجج والبراهين ، فقد ذكر اعضاؤه أن منح القواعد فى الاناضول للحلفاء سيكون بمثابة تدخل فى الحرب ، مما يستفز الألمان على الانتقام من استامبول وأنقره وأزمير ، ورفض الاتراك قبول وجهة نظرنا ولكنهم وعدوا بعرض وجهة النظر البريطانية على حكومتهم .

وكانت عملية « السيد الاكبر » قد وضعت مخططاتها بتفصيل دقيق واسهاب ، لكى تبدأ فى شهر مايو أو يونية أو يوليو على الأكثر من عام ١٩٤٤ كما ان هناك الجيش الانجليزى ـ الامريكى الضخم الذى يعمل الآن فى ايطاليا والذى يجب علينا ان نمده بقوات جديدة لكى يتقدم شمالا ليحتل المطارات الواقعة فى شمال العاصمة والتى نستطيع أن نشن منها غاراتنا الجوية على المانيا واذا قدر لهذه العمليات أن تلقى مقاومة من العدو فانها ستجتذب قوات المانية ضخمة مما سيعطى للايطاليين الفرصة للخروج بأنفسهم من المأزق .

كما لم أكن أعارض فى هذا الوقت فى عملية انزال قوات فى جنوب فرنسا على ساحل الريفييرا ، على ان تستهدف العملية مرسيليا وطولون ، ثم تزحف القوات البريطانية والامريكية شمالا على طول حوض الرون ، كعملية مساعدة لعملية الغزو الرئيسى عبر القناة ، فاذا قرر الألمان المقاومة فى هذه الجبهة فسنرغمهم على سحب عدد كبير من فرقهم من الجبهة الروسية .

أما بالنسبة الى حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقى ، فالقوة الجوية المحتشدة للدفاع عن مصر يمكنها أن تؤدى واجبات أخرى اذا اعتمدت على قواعد أمامية ، ولو تمكنا من احتلال رودس لأمكننا أن نسيطر سيطرة كلية على بحر ايجة ، ولوجدنا اتصالا بحريا مباشرا مع تركيا ، واذا تمكنا من جهة أخرى من اقناع تركيا بالدخول فى الحرب ، او مد حيادها على الأقل الى أقصى حد ممكن واقراضنا المطارات التى شيدناها لها أمكننا ان نسيطر على بحر ايجة وفى مثل هذه الحالة لا يصبح احتلال رودس أمرا ضروريا ، ولأمكننا أيضا ان نسيطر على البحر الاسود بغواصاتنا وقواتنا البحرية الخفيفة وأن نمد ذراعنا اليمنى الى روسيا ناقلين اليها المؤن التى تحتاج اليها جيوشها بطرق أقل تكاليف وأكثر سرعة بدلا من طريقى القطب الشمالى والخليج الفارسى .

ولما كنا على موعد مع المارشال ستالين على الاجتماع به فى طهران فقد طرنا اليها انا والرئيس ومستشارونا ، وعقدنا الجلسة الأولى

فى دار السفارة السوفييتية فى اليوم الثامن والعشرين من نوفمبر ، وكان مولوتوف والماريشال فورشيلوف هما اللذان يرافقان ستالين ، وبحثنا جميع الخطط الحربية سواء فى روســــيا أو أوروبا واتفقنا على ما يجب عمله ، وبعد العشاء ، انتحيت بستالين واقترحت عليه أن نتحدث بعض الوقت عما سيقع بعد ان نكسب الحرب ، وقد انضم الينا ايدن، فقال ستالين ، دعونا ندرس أولا أسوأ ما يمكن أن يحدث ، فقد خيل اليه ان الفرصة ستتاح لألمانيا لكى تعــود الى ما كانت عليه ، وستتمكن من شن حرب جديدة فى وقت قصير ، وكان يخشى بعث الروح الوطنية الألمانية ولما سـألته عن الوقت الذى يقـدره لذلك قال : « فى بحر خمسة عشر عاما أو عشرين عاما » وكان من رأيه أن ندرس القيـود الواجب علينا ان نفرضها على طاقة المانيا الصناعية ، فالألمان شعب قدير دائب على العمل ومجد وكثير الموارد وفى استطاعته ان يستعيد قوته بسرعة وسهولة ، فقلت ان من الواجب فرض بعض اجـراءات للاشراف عليها ، وانى أؤيد وجوب حرمانهم من الطيران المدنى والحربى ومن نظام الأركان العامة . فقال ستالين يسألنى : وهل تستطيع أن تمنع صانعى الساعات ومعامل الأثاث من صـنع أجزاء القنابل ؟ : فقلت على العموم يجب علينا أن تؤمن سلامة العالم لخمسين سنة قادمة عن طريق نزع سلاح المانيا ومنعها من التسلح والاشراف على مصانعها ، وخطر الطيران عليها ، وكل هذا يتوقف على استمرار صداقة بريطانيا وأمريكا وروسيا .

وكان تعليق ستالين : « ان كل ما ذكرته حسن نافع ولكنه غير كاف »

هذا وقد عقد الرئيس بعد ظهر اليوم التالى اجتماعا آخر مع ستالين ومولوتوف بحثت فيه عدة قضايا هامة ، بينها بصفة خاصة مشروع المستر روزفلت لحكم عالم ما بعد الحـرب ، وكان من رأيه ان هذا الحكم يجب ان يعهـد به الى « رجال الشرطة الاربعة » وهم الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والصين ، ولم تكن استجابة ستالين مؤيدة ، اذ قال ان شعوب أوروبا الصغيرة لن ترحب « برجال الشرطة الأربعة وهــو لا يعتقد بأن الصين ستكون قوية جدا عندما تنتهى الحرب ، وانها حتى لو كانت قوية فان الدول الاوربية ســترفض قبول الصين كدولة تفرض عليها ارادتها وتنفذ رغبـاتها واقترح ستالين ايضا كحل آخر ان تكون هنـاك لجنة لأوربا وأخرى للشرق الأقصى ، وأن تضم اللجنة الاوربية بريطانيا وروسيا والولايات المتحدة ودولة أوربية أخرى .

وبعد ذلك عقدنا اجتماعنا الثانى ، وذكرت ســـتالين بالشروط الثلاثة التى يتوقف عليها نجاح عملية « السيد الاكبر » وأول هـذه الشروط وجوب تخفيض قوة المانيا من الطائرات المحاربة فى شـمال غربى أوربا فى الفترة الواقعة التى تبدأ من اليوم حتى الهجوم تخفيضا مرضيا ، وثانى هذه الشروط ان الاحتياطى الالمانى فى فرنسا والبلاد المنخفضة يجب الا يكون اكثر من اثنتى عشرة فرقة كاملة ، والشرط

الثالث أن يعجز الألمان طيلة الستين يوما الأولى بعد بدء العملية عن نقل اكثر من خمس عشرة فرقة من الفرق للدرجة الاولى من الجبهات الأخرى ، ولتحقيق هذه الشروط يجب علينا أن نرغم الألمان على الاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من قواتهم فى ايطاليا ويوغسلافيا واذا دخلت تركيا الحرب فسيكون ذلك عونا اضافيا ، ولذلك يجب علينا ان نواصل الاشتباك مع العدو وفى الجبهة التى نستطيع الآن محاربته فيها ، واذا تمكنا من مقاتلتهم طيلة أشهر الشتاء فى البحر الابيض المتوسط ، فان هذا سيسهم أعظم الاسهام فى خلق الاوضاع التى تحتاج اليها لنجاح عملية « السيد الأكبر »

وسأل ستالين : ماذا سيحدث لو كانت لدى الألمان ثلاث عشرة فرقة أو أربع عشرة فرقة متحركة فى فرنسا وأكثر من خمس عشرة فرقة متوافرة فى جبهات أخرى ؟ فهل يعنى هذا العدول عن عملية « السيد الاكبر » فقلت له : « لا .. لا بالطبع لا .. »

وقبل ان نفترق وجه الى ستالين سؤالا آخر قائلا : — هل تعتقد أن لدى أركان الحرب البريطانيين اعتقادا جازما بنجاح العملية ؟ قلت ، أعتقد ذلك بشرط ان تتوافر الشروط الثلاثة عندما تبدأ العملية ، وعند ذلك سيكون واجبنا المقدس ، ان نتدفق عبر القناة ضد الألمان وان ندفع بكل ما لدينا من قوة وبعد ذلك افترقنا .

نتائج مؤتمر طهران

ولما كنت قد بلغت التاسعة والستين من عمرى فى الثلاثين من نوفمبر وكان هذا اليوم زاخرا بالذكريات وكان لدى كثير من الاعمال الهامة ، فقد قضيته فى تصريفها ، وبالنظر الى أن الرئيس كان دائما على اتصال فردى بستالين وقد تجنب فى الوقت نفسه الاجتماع بى على انفراد منذ تركنا القاهرة ، فقد قررت ان أعمل على الاجتماع بستالين اجتماعا شخصيا مباشرا ، وكانت قد تكونت لديه فكرة خاطئة عن أنى وأركان الحرب البريطانيين نريد وقف عملية « السيد الاكبر » اذا استطعنا ، لاننا نريد غزو البلقان بدلا من فرنسا « ورأيت من واجبى ان انزع هذا الفهم الخاطىء من ذهن ستالين »

وبما ان الموعد الحقيقى لعملية « السيد الاكبر » يتوقف على تحركات عدد قليل من قطع الانزال والتى ليست لنا بها حاجة لأية عمليه تجرى فى البلقان ، ولما كان الرئيس قد تعهد بالنيابة عنا ، بالقيام بعملية ضد اليابانيين فى خليج البنغال ، ولو انه ألغى هذا التعهد لتوفر لنا العدد الكافى من القطع لانزال فرقتين فى وقت واحد وتنفيذ العملية كما هو مقرر فى مايو ، وهو الموعد المحدود الذى كنت قد اتفقت مع الرئيس على بدء الغزو فيه ، وقد تمكنت أيضا بعد عودتنا للقاهرة من اقناع الرئيس بالعدول عن مشروع البنغال وصممت على أن يعرفه ستالين الحقائق الأساسية اللازمة واننا قد اتفقنا أنا والرئيس على أنه يكون شهر مايو هو موعد عملية « السيد الاكبر » على ان يبلغه الرئيس روزفلت ذلك بنفسه كرغبته .

وعندما أعلن ستالين تصريحه الخطير قبل يومين بأن روسيا ستدخل الحرب ضد اليابان بعد استسلام هتلر ، اقترحت فورا على الأمريكيين ان يعدوا قطعا كثيرة للقيام بالعمليات التى يطلب الينا القيام بها فى المحيط الهندى للمساعدة فى عملية « السيد الأكبر » وفى مثل هذه الحالة ستتوافر القطع اللازمة لجميع العمليات .

وليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأننى متراخ فى موضوع « السيد الأكبر » فقد أردت أن أحصل على ما أحتاج اليه فى البحر المتوسط ، وكان من الواجب أن نسوى الأمور بين رؤساء أركان الحرب وكنت آمل أن يتم ذلك فى القاهرة قبل مجيئنا الى طهران ، ولكن سوء الطالع ان تشيانج كاى شيك كان هناك وان المشكلات الصينية احتلت اكثر من نصف وقتنا ومع ذلك فانى على ثقة من أن قطع الانزال ستتوافر لجميع العمليات . .

اما الاعدادات لعملية « السيد الاكبر » فستكون فى نهاية شهر

مايو أو يونيو على النحو التالي : ست عشرة فرقة بريطانية مع القوات اللازمة لادارة الفيالق وقوات قطع الانزال والمدافع المضادة للطائرات وهو ما يربو على نصف مليون جندي بالاضافة إلى قوات الاسطول الملكي اللازمة لعملية النقل ولحماية الجيش . هذا بخلاف قوات السلاح الجوي العاملة في الوطن والمؤلفة من نحو أربعة آلاف طائرة ، كما بدىء في نقل القوات الأمريكية إلى انجلترا بمعدل مائة وخمسين الف جندي شهريا ، وكان لهزيمة الغواصات في الاطلنطي الفضل الاكبر في تسهيل عملية النقل هذه ، هذا وقد كنت أؤيد القيام بالهجوم على جنوبي فرنسا في نفس الوقت الذي تقوم فيه عملية « السيد الاكبر » حتى نرغم العدو على ابقاء قواته في ايطاليا .

وهنا قال ستالين انه يود ان يوجه نظري الى ان الجيش الأحمر يعتمد كل الاعتماد على نجاح غزونا لشمالي فرنسا ، واذا لم تبدأ العمليات في شهر مايو عام ١٩٤٤ ، فسيعتقد الجيش الاحمر انه لن تقع أية عمليات طيلة هذا العام . كما انه اذا لم يتغير الوضع في المسرح الأوربي في عام ١٩٤٤ ، فسيكون من الصعب جدا على الروس ان يواصلوا القتال لانهم تعبوا من الحرب وهذا هو السبب الذي دعاه لان يعرف ما اذا كانت عملية « السيد الاكبر » ستتحقق في الموعد المقرر أم لا ، لكي يتخذ ما يراه للحيلولة دون انتشار حالة التذمر والتمرد في الجيش ، وقد أكدت له أن العملية ستتم حتما بشرط ألا يقابلنا العدو في فرنسا بقوات أكبر مما يستطيع البريطانيون والأمريكيون انزالها ، لأنه اذا تيسر للألمان ان يواجهوا جيوشنا بثلاثين أو اربعين فرقة فانني اعتقد أن قواتنا لن تكون قادرة على الصمود أمامها. فقال ستالين انه لو تمكن من أن يعرف بأن الغزو سيقع في شهر مايو أو يونيو ، فانه سيعد العدة لتوجيه ضربات الى المانيا في هذا الموعد ، وفي هذه الحالة لن تتوافر لالمانيا القوات اللازمة لجبهة فرنسا ، فرددت عليه بأنني لا أستطيع ان اكشف عن الموعد دون موافقة الرئيس .

وعليه فقد توجهنا انا وستالين لمقابلته ، وقد أبلغه الرئيس اننا اتفقنا على شن حملة « السيد الاكبر » في شهر مايو ، وقد أثلج هذا الخبر الماريشال ستالين ، وقال من سيتولى قيادة عملية « السيد الأكبر » ؟ فقالت له ان الرئيس لم يستقر على رأى بعد ، ولكني واثق من انه سيكون الجنرال ماريشال ، فسر سرورا عظيما لهذا النبأ .

ولما كنا جميعا متفقين واستقر رأينا على جميع العمليات ، فقد شعرت باحساس قوى من التضامن والزمالة الطيبة .

وتراءى لي أن جميع السحب قد انقشعت ، وبالفعل فان ثقة ستالين بالرئيس ، اقيمت على أساس من الاحترام وحسن النية كما أنها لم تصب بوهن طيلة المدة التي قضيناها في العمل المشترك .

وبلغت محادثاتنا الطويلة الشاقة في طهران نهايتها في الأول من شهر ديسمبر وتقرر أن يبدأ الغزو عبر القناة في شهر مايو بشرط

أن تكون التيارات البحرية ملائمة وكذلك أحوال القمر ، كما تقرر أن يعزز بهجوم روسي قوى فى الوقت نفسه .

وكان علينا أن نجدد بذل جهودنا القوية لحمل تركيا على الدخول فى الحرب الى جانبنا لما تنطوى عليه هذه الخطوة من أهمية فى بحر ايجة والبحر الاسود ، ولكن هذه الجهود كلها منيت بالفشل .

هذا وقد أصبحت النواحي السياسية أقرب الى الخيال ، وكان من الواضح أنها تعتمد على نتائج المعارك العظيمة التى كان من المقرر أن تدور وعلى أوضاع كل من الحلفاء بعد تحقيق النصر ، ولم يكن من المناسب فى طهران بالنسبة للديمقراطيات الغربية ان تقيم خططها على أسس من الشكوك فى موقف روسيا ساعة النصر ، وعند زوال جميع الاخطار ، ولما كان ستالين قد وعد بدخول الحرب ضد اليابان فور الانتهاء من هزيمة هتلر ، وكان أمل الغد يتركز فى الاسراع بنهاية الحرب ، فقد تقرر اقامة جهاز عالمي يحول دون نشوب حرب أخرى، ويقوم على أساس القوة المشتركة للدول العظمى الثلاث .

وبالطبع لم تكن الطريقة التى سيعامل بها المنتصرون المانيا موضوع بحث نهائي فى هذه المرحلة ، وانما كانت موضع عرض تمهيدى لمشكلة سياسية واسعة النطاق ، لاننا كنا لا نزال فى كفاح رهيب ضد القوة النازية الجبارة وكانت تشغلنا أهوال الحرب واخطارها ومختلف عواطف الزمالة بين الحلفاء ، والعقاب للعدو المشترك ، وكانت مشروعات الرئيس تقضي بتجزئة المانيا الى خمس دول مستقلة ذاتيا ، والى مقاطعتين تظلان تحت أشراف الامم المتحدة اكثر قبولا لدى ستالين من اقتراحى الذى يقضى بعزل بروسيا وتأليف اتحاد تعاونى دانوبى أو اتحاد لجنوب المانيا مع آخر لحوض الدانوب .

لاننا كنا جميعا نخشى خشية كبيرة من وجود المانيا موحدة ، ولما كان لبروسيا تاريخها العظيم الخاص بها ، فقد كان من الممكن فى رأيى ان نعقد معها صلحا شريفا حازما ، وان نجد فى الوقت نفسه ما كان يدعى فى الماضي بالامبراطورية النمساوية المجرية ، التى كثيرا ما قيل عنها انها « اذا لم توجد فمن الواجب ان تخترع » وذلك ضمانا لقيام منطقة واسعة الارجاء يسودها السلام والصداقة .

ومع هذا فما ان انتهت الحرب ، حتى وقعت تغييرات عظيمة ملأى بالكوارث فالحدود البولندية ، لاتوجد الا فى عالم الخيال ، وهاهى ذى بولنده ، تقع مرتعدة الاوصال فى قبضة الشيوعية الروسية ، وقد قسمت المانيا حقا تقسيما مخيفا ، حيث قسمت الى مناطق محتلة عسكريا ، مما لا يسع الأنسان الا القول بأن هذه المأساة لا يمكنها ان تستمر .

القيادة العليا

عدت من طهران الى القاهرة فى اليوم الثانى من ديسمبر ، كما وصل الرئيس فى المساء . وقد استأنفنا مباحثاتنا الودية حول أوضاع الحرب بصفة عامة ، كما استعرضنا نتائج مباحثاتنا مع ستالين ، كما قرر رؤساء أركان الحرب ان يستمروا فى محادثاتهم المشتركة والتى تتناول جميع العمليات التى اتفقنا على القيام بهـا ، وكان الأميرال مونتباتن قد عاد الى الهند ، بعد ان قدم مشروعه المعدل عن العملية البرية المائية على جزر اندمان ، والتى ستشترك فيها جميع القطع ذات القيمة الحيوية ، التى بعثنا بها اليه من البحر الأبيض المتوسط ، كما أردت أيضا أن اقوم بمحاولة أخيرة للحصـــول على تأييد الامريكيين للعملية البديلة ضد جزيرة رودس .

ولذلك فقد اجتمعت انا والمستر ايدن بالرئيس فى اليوم التالى وبحثنا فى نقط الخلاف القائمة بيننا بالنسبة للوعد الذى قطعه الرئيس للجنرال تشيانج كاى شيك قبل مؤتمر طهران ، بشن هجوم مبكر عبر خليج البنغال ، لأن هذا الهجوم كان كافيا للقضاء على كل أمل وخطة لاحتلال رودس ، والتى يتوقف عليها الى حد كبير دخول تركيا الحرب الى جانبنا ، وعندما أثار رؤساء أركان حربنا هذا الموضوع فى المؤتمر العسكرى رفض رؤساء أركان الحرب الامريكيون البحث فيه نسبة لأن الرئيس قد اتخذ قراره فيه ولا مجال للاختيار .

ولما عقدنا أول اجتماع لنا فى الرابع من ديسمبر بعد عودتنا من طهران قال الرئيس انه يود ان يسافر فى اليوم السادس من الشهر، وطلب الى المختصين اعداد جميع التقارير لموافقة الفريقين نهائيا عليها ، قبل مساء الخامس من الشهر .

ولما كان لا يزال أمامنا قضايا على جانب كبير من الأهمية وتحتاج الى الحل بالاضافة الى الحادثين الحاسمين اللذين وقعا فى الايام القليلة الماضية ، أولهما : ان ستالين أعلن ان السوفيت سيعلنون الحرب على اليابان فى الوقت الذى تتحقق فيه هزيمة ألمانيا ، وهذا يضمن لنـــا قواعد أفضل بكثير من تلك التى يمكن لنا الحصول عليها فى الصين ، كما يحتم علينا تركيز جهـودنا لننتهى من عمليـــة « السيد الاكبر » فى أسرع وقت ممكن حتى ننتهى من أمر المانيـــا ، فقد رأيت انه من الواجب على أركان الحرب ان يدرسوا ، كيفية تأثير هذا على العمليات فى المحيط الهادى وجنوب شرقى آسيا .

اما الحادث الثانى : البالغ الأهمية ، فهو قرارنا بعبور القنـــاة فى شهر مايو ، والذى كنت أود من ناحيتى ان يكون الموعد شهر يوليو ،

وهذه المهمة تفوق غيرها من المهام الاخرى شأنا وخطورة ، حيث أننا سنقذف فى القريب العاجل الى أتون المعركة بمليون امريكى وخمسمائة أو ستمائة ألف بريطاني ولكى نعطى للعملية أقصى ما يمكن من الآمال فى النجاح ، فقد رأيت أن يكون نزولنا فى الريفيرا ، « وقد أطلقنا عليها اسم عملية الســـندان » على أقوى نطاق ممكن ، كما رأيت انه من الضرورى أن تتخذ كل الخطوات الممكنة للعمل فى أى مكان آخر لنحول بين الألمان وبين تركيز قوات كبيرة ضد رءوس جسورنا .

ولذلك فقد تم الاتفاق بينى . وبين الرئيس على النقاط التالية :

١ ــ يجب ألا نقوم بأى عمل يعرقل عملية « السيد الاكبر »

٢ ــ يجب ألا نقوم بأى عمل يعرقل عملية « السندان »

٣ ــ ان نتخذ جميع السبل لكى نوفر قطعا للانزال تعمل فى شرق المتوسط فى حالة دخول تركيا الحرب

٤ ــ يجب ابلاغ الاميرال مونتباتن بأن يبذل جهده فى خليج البنغال بالقوات التى سبق لنا تخصيصها له .

وقد اقترحت ، تعليقا على النقطة الرابعة ، بأنه قد يصبح من الضرورى سحب بعض القوات والموارد من مونتباتن لتقوية عمليتى « السيد الاكبر » و « السندان » ولكن الرئيس قال انه لا يستطيع الموافقة على اقتراحى ، وأضاف قائلا اننا ملزمون أدبيا بمساعدة الصين وانه تبعا لذلك ، ليس على استعداد للعدول عنها الا اذا كان السبب قويا وواضحا . وقلت للرئيس بأن هــذا السبب القــوى ، قائم فى مغامرتنا العظيمة التى سنقوم بها فى فرنسا ، هى لا تزال تقــوم على أساس ثلاث فرق ، على حين اننا أنزلنا فى صقلية فى اليوم الاول تسع فرق . وعلى هذا يتبين ان أهمية هذه العملية الرئيســـية ما زالت تقوم حتى وقتنا هذا على أسس ضيقة .

كما عاودت الحديث عن هجوم الريفيرا ، وبينت وجهة نظرى بأنه يجب أن يقوم على أساس قوة هجومية لا تقل عن فرقتين ، لأن هذا يؤمن لنا القيام بعملية التفاف فى ايطاليا ، واحتــلال رودس اذا تقرر دخول تركيا الحرب فورا ، وأشرت فى الوقت نفسه الى أن عمليات جنوب شرق آسيا يجب أن تقرر على ضوء علاقتها بالأهمية البالغة لعملية «السيد الاكبر» وقلت اننى مندهش من الطلب الذى وجه الى الاميرال مونتابتن لاحتلال جزر اندمان ، وانه على ضوء وعد ستالين بأن تدخل روسيا فى العمليات الحربية ، تكون عمليات جنوب شرق آسيا قد فقدت الكثير من قيمتها ، ومع هذا فقد أبدى الرئيس رغبته فى عدم موافقتى على العدول عن هذه العملية ، كما طلبنا الى رؤساء الأركان البحث فى التفاصيل .

وفى اليوم الخامس من ديسمبر اجتمعنا ســويا وقرأ الرئيس التقرير الذى أعدته هيئة أركان القيادة المشتركة عن العمليات فى المسرح الأوروبى ووافقنا عليه .

كما انه بعد ان تشاور الرئيس مع مستشاريه بالنسبة لمشروع جزر اندمان قرر التخلي عنها وارسال برقية للجنرال تشيانج كاى شيك يبلغه فيها بالعدول عن مشروع جزر اندمان وهكذا فقد انتهت الازمة.

ولما كان من أهم أهداف اجتماعنا فى القاهرة، استئناف المحادثات مع القادة الأتراك ، وكنت قد أرسلت الى الرئيس اينونو برقية من طهران اقترحت فيها عليه أن يجتمع بنا فى القاهرة ، كما كان قد تم الاتفاق على أن يحضر فيشنسكى الاجتماعات ، ووصل الوفد التركى الى القاهرة فى الرابع من ديسمبر واجتمعنا سويا فى الليلة التالية بالرئيس اينونو الذى أبدى تحفظا شديدا تجاه الجهاز الحربى الألمانى، الا اننى شددت الضغط عليه هذه المرة ، وأكدت له أن انسحاب ايطاليا من الحرب زاد من فوائد دخول تركيا فيها وقلل من الاخطار التى ستتعرض لها ، ولذلك فقد أبدى الرئيس التركى رغبته فى عرض الموضوع على البرلمان التركى وسافر مع بقية أعضاء الوفد فى الحال ، وفى هذه الاثناء قررنا أن يجتمع الخبراء البريطانيون لتنفيذ المرحلة الأولى من اقامة قوة للحلفاء فى تركيا الا أنه لم يكد يحل عيد الميلاد حتى كنت قد اصبحت ميالا الى ابقاء تركيا على الحياد .

هذا وقد ابلغنى الرئيس فى اليوم السابق لسفره من القاهرة انه لا يستغنى عن الجنرال مارشال فى واشنطن ، وأنه يقترح تسمية ايزنهاور قائدا لعملية « السيد الأكبر » بدلا منه ، وازاء هذا الأصرار فقد تولى ايزنهاور قيادة الغزو .

وبعد ذلك غادر الرئيس القاهرة فى اليوم السابع من ديسمبر، كما غادرتها أيضا فى اليوم الحادى عشر بالطائرة الى تونس لقضاء ليلة هناك فى ضيافة الجنرال أيزنهاور ، ثم أغادرها فى اليوم التالى الى مقر قيادتى اليكسياندر ومونتجمرى فى ايطاليا الا أننى شعرت فى اليوم التالى لوصولى الى تونس بأعراض الحمى وبظواهر تشير الى عودة ذات الرئة ، فلم أواصل رحلتى الى ايطاليا وبقيت ملازما الفراش فى تونس ، واستعملت العقار الجديد « أم . اند . بى » الذى كان له أثر السحر فى تخفيف حدة المرض وبذلك لم أتخل فى أية لحظة عن ادارة دفة الأمور .

ولما كانت مهمتى العاجلة بوصفى وزيرا للدفاع بريطانيا ومسئولا أمام وزارة الحربية ، ان اقترح تعيين قائد بريطانى لجبهة البحر المتوسط ، فتقرر اسناد هذا المنصب الى الجنرال ولسون ، كما تقرر ان يتولى اليكساندر قيادة الحملة الايطالية جميعها ، كما كان يفعل فى أيام الجنرال أيزنهاور ، وتقرر أيضا أن يكون الجنرال ويفرز الامريكى نائبا للجنرال ولسون فى البحر المتوسط ، وأن يكون قائد القوات الجوية تيدر ، نائبا للجنرال أيزنهاور فى قيادة عملية « السيد الاكبر » وأن يتولى مونتجمرى القيادة الفعلية لقوات الغزو عبر القناة، الى أن يتمكن القائد الأعلى من نقل مقر قيادته الى فرنسا وتولى القيادة الفعلية بنفسه ، وقد تمت هذه الترتيبات بالاتفاق بينى وبين الرئيس وبموافقة وزارة الحرب .

ولما كنت أشعر بأننا قد وصلنا الى احدى ذرا الحرب ، وكانت عملية اعداد « السيد الاكبر » من أهم الاحداث والواجبات فيالتاريخ ولما كان من أهم عناصر النجاح فى العمليات الحربية وجود الانسجام التام فى المجهود الحربى عن طريق التناسق بين عمليتى الغزو من ايطاليا وعبور القناة ، حتى يؤدى كل جزء من أجزاء القوة المقاتلة دورهالكامل طول الوقت ، وكنتواثقا من أن شن الحملة فى ايطاليا فى النصف الأول من عام ١٩٤٤ ستكون خير معوان للعملية الضخمة فى عبور القناة ، وهى العملية التى تتركز عليها جميع العيون ، فقد كان من الواجب بحث كل مادة ضرورية لهذه العملية ، وكان علينا ان نعمل على استخلاص عشرين قطعة انزال من هذه العملية لغيرها ، وقد بدت لى هذه العملية فىمنتهى البساطة، فجميع البواخر التىنملكها ستستخدم لتنقل الى انجلترا كل ما يمكن للولايات المتحدة اعداده من الرجال والعتاد ، وفى وسع القوات الضخمة التى لم نستطع نقلها بطريقالبحر ان تحتل ايطاليا بسهولة ، وان تصل فورا لتعمل فى جبهة المانيا الداخلية أو أن نجتذب قوات ألمانية ضخمة من الجبهة التى كنا سنهاجمها عبر القناة فى الأيام الأخيرة من شهر مايو أو أوائل شهر يونيو .

هذا وقد أدت فترة الجمود التى اضطرت اليها قواتنا بسبب المقاومة الالمانية العنيفة على طول الجبهة الممتدة ثمانين ميلا من البحر الى البحر الى تفكير الجنرال أيزنهاور فى القيام بهجوم جناحى برى بحرى بفرقة واحدة الى الجنوب من نهر التيبر على روما ، فى الوقت الذى تشرع فيه جيوشه بهجوم عام على طول الجبهة ، وأدى توقف جيوشنا الى شعور كل واحد بأن الحاجة العسكرية تتطلب نزول اكثر من فرقة واحدة . وكنت بالطبع أؤيد دائما فكرة العملية التى أسميها « مخلب القط » وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا كبيرا من جانب المحترفين ، وأضحى أيزنهاور ملتزما بها من ناحية المبدأ ، كما كان اليكساندر الذى يتولى قيادة الجيوش فى ايطاليا يرى ان هذهالعملية صحيحة وضرورية ، كما كنت على ثقة من أن رؤساء أركان الحرب البريطانيين سيؤيدون هذه الخطة ، وقد أبرقوا الى فى الثانى والعشرين من ديسمبر بعد أن عرفوا وجهة نظرى هذه يقولون ، اننا على اتفاق تام معك بأن هذا الركون الراهن لا يمكن أن يستمر والحل كما تقول ، يقوم فى استخدام قواتنا البرية والبحرية لتضرب مؤخرة العدو وجناحه وتمهد الطريق لزحف سريع على روما وأن هذه الخطة الجديدة ستعنى العدول عن احتلال رودس ، كما اقترحوا اثارة المسألة مع رياسة أركان الحرب المشتركة على أساس العمل على ضوء هذا المخطط فورا .

ولذلك فقد عقد فى صباح يوم عيد الميلاد مؤتمرا فى قرطاجنة، شهده أيزنهاور واليكساندر وبيدل سميث والجنرال ولسون وتيدر والأميرال جون كاتنجهام وغيرهم من كبار القادة ، وقد اتفقنا جميعا على أن نطلب ما لا يقل عن فرقتين .

وعندما انتهت مباحثاتنا ، أرسلت البرقية التالية الى الرئيس ،

كما بعثت بأخرى مماثلة الى الوطن ، وقد حرصت كل الحرص على بيان الحقائق بصراحة :

« ولما كنا قد احتفظنا بست وخمسين قطعة من قطع الانزال فى البحر الابيض المتوسط ، هذه المدة الطويلة ، فمن غير المعقول اننقلها الآن فى الاسبوع الذى نستطيع فيه أن نسدى خدمة حاسمة ، وهل هناك شيء أكثر خطرا من ان نترك المعركة الايطالية فى حالة جمود مستمر طيلة ثلاثة أشهر أخرى ؟ وليس فى وسعنا أن نتقدم الى الامام مخلفين وراءنا عملا لم نكمل الا نصفه ، ولهذا فقد اتضح للحاضرين أن الواجب يتطلب النزول الى انزيو بفرقتين على الأقل ، حوالى العشرين من يناير ، وقد صدرت الأوامر الى الجنرال اليكساندر لاعداد العدة اللازمة لهذا النزول ، واذا لم ننتهز هذه الفرصة فعلينا أن نتوقع فشل حملة البحر المتوسط فى عام ١٩٤٤ ، ولهذا فاننى آمل بان توافق على تأجيل عودة الست والخمسين قطعة من قطع الانزال مدة ثلاثة أسابيع ، وأن توعز الى جميع السلطات المختصة بأن تتيقن أن عملية « السيد الاكبر » لن تتأثر بهذا الاجراء »

وقد تلقيت فى اليوم الثامن والعشرين من يناير ، برقية من المستر روزفلت بالموافقة على تأجيل قطع الانزال ، على شرط أن تظل عملية « السيد الاكبر » هى العملية المسيطرة ، وان تنفذ فى الموعد الذى اتفق عليه فى القاهرة وطهران ، وكان هذا مبعث سرورى المزوج بالدهشة وقد ابرقت الى الرئيس ، أشكره على هذا القرار الرائع الذى يعيد الى صفوفنا الوحدة الشاملة ازاء هذا المشروع العظيم .

وكانت برقية الرئيس أشبه ماتكون بالمعجزة ، وعرفت أنى لست مدينا بها الى حسن نية الرئيس وحده ، بل الى عقل الجنرال مارشال الموزون ، وقد قامت هيئة أركان الحرب فى الوطن ولا سيما فى الامبراطورية بجهود عظيمة لتحقيق مشروع « مخلب القط » وبعث الى اليكساندر فى اليوم نفسه بخطته ، وبعد أن تشاور مع الجنرال مارك كلارك والجنرال بريان روبرتسون ، قرر استخدام فرقتين احداهما أمريكية والاخرى بريطانية ، كما تقرر توزيع السلاح المدرع وقوات المظلات والفدائيين على أساس المناصفة ، وعهد بالعملية كلها الى قيادة قائد فيلق أمريكى ، وبات من المحقق أن تبدأ العملية فى العشرين من يناير ، على أن يقوم اليكساندر بهجوم كبير على كاسينو قبل الموعد بعشرة أيام لاجتذاب الاحتياطى الالمانى من المؤخرة ، على أن يتلو ذلك الزحف العظيم المباشر من الامام بوساطة الجيوش الامامية ، وأصبح كل شيء يسير سيرا مرضيا يدعو الى الارتياح ، ولهذا فقد قررت العودة الى الوطن فى الرابع عشر من يناير .

محنة يوغوسلافيا واليونان

لما كانت يوغسلافيا منذ احتلها هتلر فى ابريل عام ١٩٤١ اصبحت مسرحا لأحداث مخيفة ، وكان الملك بطرس قد لجأ الى انجلترا ومعه عدد من وزراء الأمير بول وغيرهم من رجال الحكومة ، حيث بدأت حرب العصابات العنيفة بقيادة الجنرال ميخائيلوفيتش الذى التف حوله من تبقى من الطبقة المختارة فى يوغسلافيا ولما كان الالمان يثأرون من أعمال العصابات بقتل مجموعات من الأهالى يتردد عددهم بين أربعمائة وخمسمائة شخص ، مما جعل ميخائيلوفيتش ينكمش كما اضطر بعض قادته الى اجراء مصالحات محلية مع القوات الالمانية والايطالية لكى يبقوا أحرارا فى بعض المناطق الجبلية على الا يقوموا بأية حركة ضد العدو .

ولم يمر وقت طويل حتى قامت حركة الانصار بقيادة الماريشال تيتو ، فأخذ يحرض الاهالى على القيام بالاضرابات السياسية فى ساحل المانيا تنفيذا لسياسة الكومنترن ، وتكونت عصابات كثيرة منهم تحت قيادته ممن لايرهبون القتل فى سبيل وطنهم ، وكانوا يتسلحون بالأسلحة التى يغنمونها من ضحاياهم الالمان ، وماكانت الارهابية التى يقوم بها الالمان باعدام الرهائن لتحول بينهم وبين أعمالهم ، حيث أنزلوا بالالمان خسائر كبيرة وأصبحوا سادة مسيطرين على مناطق واسعة، واشتبكوا فى معارك عنيفة مع أنصار ميخائيلوفيتش الذين كانوا يساومون الألمان على سلامتهم ، والذين كانوا يزودون الالمان بالمعلومات عن حركتهم

وقد كنت أتابع هذه الاحداث باهتمام ، وكانت طائراتنا تلقى ببعض المؤن القليلة لهؤلاء الثوار ، لانه لم يكن فى مقدورنا أن نقدم أية معونة فعلية لهم ، الا أن قيادتنا فى الشرق الاوسط كانت مسئولة عن عمليات هذا المسرح وكانت تحتفظ بجهاز من العملاء وضباط الارتباط من أتباع ميخائيلوفيتش الذى كان يمثل فى هذا الوقت الحكومة اليوغسلافية فى القاهرة كما كان يمثل حركة مقاومة الالمان .

وفى شهر مايو عام ١٩٤٣ ، قررنا ايفاد جماعة صغيرة من الضباط البريطانيين وصف الضباط لعمل اتصال مع هؤلاء الانصار اليوغسلافيين على الرغم من الصراع القاسى الذى كان دائرا فى ذلك الوقت بينهم وبين أنصار تيتو الذى كان يشن حربه كشيوعى لا ضد الالمان فقط ولكن ضد الملكية الصربية أيضا والتى يمثلها ميخائيلوفيتش وأنصاره (الشيتنيك) وقد هبط الرئيس الكابتن ديكن وهو أحد عمداء جامعة اكسفورد بالمظلة ليكون ممثلا لنا عند تيتو ، كما تبعته بعثات بريطانية أخرى وفى شهر يونيو ، بعث الينا رؤساء أركان الحرب يقولون : استنادا على المعلومات التى توافرت لديهم والتى كانت تبعث

بها البعثـــات البريطانية من يوغسلافيا ان الشيتنيك أصـــبحوا متفاهمين مع المحور فى مقاطعتى الهرسك والجبل الاسود .

ولما كان يهمنى جدا الحصول على نتائج المقاومة المحلية للمحور فى يوغسلافيا فقد طلبت معلومات وافية عنها ، وعقدت جلسة لرؤساء أركان الحرب فى داوننج استريت فى الثالث والعشرين من يونيو وأكدت فى أثناء الحديث الاهمية الكبيرة التى أعلقها ، على بذل كل عون ممكن للحركة اليوغسلافية المنــاهضة للمحور ، والتى كانت ترهق المحـــور بثلاث وثلاثين فرقة فى هذه المنطقة ، وكانت هذه القضية من الاهمية بمكان عظيم ، حتى اننى طلبت الى اللجنة أن تزيد عدد الطائرات لامداد الثوار بما يلزمهم ولمساعدتهم .

كما قررنا قبل أن أسافر الى كويبك ، أن أمهد الطريق لعمــل آخر فى البلقان وذلك بتعيين ضابط كبير يتولى رياسة بعثة كبيرة لكى تعمل مع الانصار فى الميدان ، ولكى يبعث الى بتوصياته مباشرة عمــا يراه لمساعدة الانصار ، ولما كان المستر فيتزروى ماكلين عضو البرلمان رجلا جريئا ومغامرا ، فقد قررت أن يتولى رياسة هذه البعثة ، ولمــا هبط هو ورجاله بالمظلات فى يوغسلافيا فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ ، وجدوا أن الوضع هناك قد اكتسب طابعا ثوريا ، وفى هذه الأثناء كانت أنباء استسلام ايطاليا قد وصلت الى يوغسلافيا ، عن طريق اذاعة البيانات الرسمية ، وعلى الرغم من أننا لم نبعث بأية تعليمات ، فان تيتو كان قد قام بخطوات جريئة ومثمرة ، فلم تمض أسابيع قليلة حتى كان قد نزع الســلاح من ست فرق ايطاليــة ، وقد تمــكن اليوغسلافيون من تسليح ثمانين ألف رجل بهذه المعدات الايطاليــة واحتلوا معظم سواحل الادرياتيك ، وبذلك توافرت لنــا الفرصة الطيبة لتقوية وضعنا فى الادرياتيك بالنسبة للجبهة الايطالية ، وأخذ جيش الانصار الذى تزايد عدده الى مائتى ألف رجل يقاتل على طريقة حرب العصابات ويشتبك فى عمليات واسعة النطاق ضد الالمان الذين واصلوا بدورهم أعمالهم الانتقامية العنيفة بشدة متزايدة .

وفى هذا الوقت دب النزاع بين تيتو وميخائيلوفيتش وأنصاره المتخاذلين ، مما دعا قوة تيتو العسكرية النامية بشكل متزايد أن تثير قضية الوضع النهائى للملكية اليوغسلافية ولحكومة المنفى ، وقــد بذلت محاولات مخلصة فى كل من لندن ويوغسلافيا للوصول الى تسوية عملية بين الفريقين وكنت أؤمل أن يستخدم الروس وساطتهم فى هذه القضية وخصوصا بعد المحاولة التى قام بها ايدن فى موسكو فى أكتوبر عام ١٩٤٣ ولكن الروس لم يظهروا أية رغبة فى هذا الشأن ، ولذا فقد فقدت الامل فى الوصول الى تسوية عملية بين الفريقين المتنازعين ، كما أبرقت الى الرئيس روزفلت أقول : ان القتال يتخذ شكلا مخيفا ، ويقوم الالمان بأعمال ثأرية دموية ويعدمون الرهائن بالجملة ، ونحن نأمل فى تهدئة الخلافات اليونانية قريبا ، أما الخصومة بين تيتو وبين جماعة ميخائيلوفيتش فعميقة الجذور .

وفى نهاية نوفمبر عقد تيتو مؤتمرا سياسيا أعلن فيه قيام حكومة مؤقتة لها وحدها السلطة فى تمثيل الشعب اليوغسلافى ، كما جرد

الحكومة الملكية فى القاهرة من جميع حقوقها ومنع الملك من العودة الى البلاد الا بعد تحريرها ، ولما كان ميخائيلوفيتش قدأصبح شخصيةغير مرغوب فيها ، وكان لزاما علينا أن نحافظ على اتصالنا العسكرى بتيتو ، فقد تحتم علينا اقناع الملك باقالة ميخائيلوفيتش من منصبه كوزير للحربية كما سحبنا نحن فى أول ديسمبر تأييدنا الرسمى لميخائيلوفيتش واستدعينا البعثات البريطانية التى كانت تعمل فى المناطق التى يشرف عليها .

هذا وقد بحثنا القضية اليوغوسلافية فى مؤتمر طهران ، وعلى الرغم من أن دول الحلفاء الثلاث قررت تقديم أقصى مايمكن من العون للانصار فان دور يوغسلافيا فى الحرب لم يكن أمرا يستحق اهتمام ستالين .

عندما عدت من طهران الى القاهرة ، قابلت الملك بطرس وأبلغته عما أعرفه عن قوة حركة الانصار وأهميتها كما أبلغته أنه قد أصبح من الضرورى فصل ميخائيلوفيتش من الوزارة ، وكان أمل الملك الوحيد هو العودة الى بلاده والوصول الى ترتيب مؤقت مع تيتو قبل أن يشدد الانصار قبضتهم على البلاد ، وقد أبدى الروس استعدادهم للعمل فى سبيل الوصول الى حل وسط ، هذا وقد أبرق المستر ستيفنسون سفير بريطانيا لدى الحكومة الملكية اليوغسلافية الى وزارة الخارجية يقول : « يجب أن تقوم سياستنا على ثلاثة عوامل جديدة ، أولها أن الانصار هم الذين سيتولون حكم يوغسلافيا ، ثانيها ، أن هؤلاء الانصار لهم أهمية عسكرية قصوى بالنسبة لنا بحيث يتحتم علينا دعمهم الى أقصى حد ، ثالثها ، ان من المشكوك فيه أن نستمر فى اعتبار الملكية عنصر توحيد فى يوغسلافيا » وقد وافق وزير الخارجية على هذا الرأى ، ولكن الصراع السياسى حول القضايا اليوغسلافية ظل مستمرا شهرين آخرين فى أوساط حكومة المنفى فى لندن .

أما فى اليونان فقد أدى انسحاب الحلفاء منها فى أبريل عام ١٩٤١ الى احتلالها بدولتى المحور ، كما أدى انهيار الجيش وانسحاب الملك وحكومته الى المنفى ، الى بعث الخلافات الحادة فى السياسة اليونانية كما كانت الانتقادات القاسية توجه الى الملكية فى داخل الوطن وفى الدوائر اليونانية فى الخارج ، لانهاسمحت بدكتاتورية الجنرال متكساس . هذا بالاضافة الى المجاعة الشديدة التى حلت بالبلاد فى الشتاء والتى لم يخفف من حدتها الا المعونات التى بعثت بها جمعية الصليب الاحمر ، وأدت المجاعة التى غمرت جميع البلاد الى تطوع اعداد كبيرة فى حركات المقاومة وقد تسلحوا بالاسلحة التى كانت أخفيت فى الجبال عند استسلام الجيش ، وأعلنت الهيئة التى أطلقت على نفسها اسم جبهة التحرير الوطنى والتى تألفت فى خريف عام ١٩٤١ ، عن قيام جيش التحرير الوطنى فى ابريل عام ١٩٤٢ وفى الوقت نفسه التف بقايا رجال الجيش اليونانى التى كانت فى جبال أبيروس وجبال المنطقة الشمالية الغربية حول شخص يدعى العقيد نابوليون زيرفاس ، وانضم اليه بعض الاهالى من سكان الجبلين ، وكان القادة الشيوعيون هم الذين يسيطرون على جبهة التحرير الوطنى وجيشها ، أما انصار زيرفاس

فكانوا جمهوريين فى مواطفهم ، ولكنهم مع مضى الزمن انقلبوا الى خصوم للشيوعية وحدها ، ولم يكن أى منهما يبدى شعور العطف للحكومة الملكية فى لندن أو يحاول الاتصال بها .

ولما كنا قد قررنا مهاجمة خط الامداد الالمانى الممتد عبر اليونان الى بيريه ، وهى القاعدة المهمة فى الطريق الالمانى الى شمال افريقية وذلك فى أثناء قيامنا بمعركة العلمين ، فقد أنزلنا أول بعثة بريطانية بالمظلات بقيادة المقدم مايزر ، فاتصلت فى الحال بالعصابات اليونانية وتم نسف جسر رئيسى على الطريق الحديدى الاساسى المؤدى الى أثينا ، كما قام العملاء اليونان بأعمال تدميرية جريئة ضد ملاحة المحور فى بيريه ، وعززنا البعثات البريطانية فى الصيف التالى بقوات جديدة ، اشتركت مع العصابات اليونانية فى نسف جسر آخر على السكة الحديدية الرئيسية الموصلة الى أثينا مما اضطر القيادة الالمانية الى ارسال فرقتين الى اليونان كان من المقرر ارسالهما الى صقلية ، وكانت هذه العمليات آخر اسهام حربى قامت به العصابات اليونانية .

كما بدأت العناصر الثلاثة المختلفة ، وهى جيش التحرير الوطنى «ايلاس» الذى يبلغ تعداده عشرين ألفا ، والذى يسيطر عليه الشيوعيون وعصابات زيرفاس التى سميت (ايديس) والتى يبلغ عددها خمسة آلاف ، والسياسيون الملكيون المجتمعون اما فى القاهرة أو لندن حول الملك جورج الثانى ، بعد أن تبينت أن النصر أصبح شبه مضمون للحلفاء ، بدأت تتصارع فيما بينها لنيل السيطرة السياسية ، وعندما استسلم الايطاليون فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ تمكنت (ايلاس) من الاستيلاء على ماكان لديهم من الاسلحة والمعدات ، وبذلك حققت لنفسها التفوق العسكرى .

ولما كان من المحتمل جلاء الجيش الالمانى من البلقان بعد أن وصلت الجيوش السوفيتية الى حدود رومانيا ، وأصبح فى الامكان عودة الحكومة الملكية الى البلاد بمساعدة بريطانيا ، فقد قرر زعماء جبهة التحرير الوطنى القيام بانقلاب شيوعى .

وكان هذا العمل يعد تحديا مباشرا لسلطة الحكومة الملكية فى المستقبل ونذيرا بنشوب ثورة فى القوات اليونانية المسلحة فى الشرق الاوسط وفى دوائر الحكومة اليونانية فى الخارج ، كما قامت جماعة من ضباط الجيش والبحرية والطيران بزيارة رئيس الوزراء المسيو تسوديروس فى القاهرة يوم واحد وثلاثين من مايو وطالبته بالاستقالة ، كما أعلن اللواء اليونانى الاول العصيان على ضباطه .

وفى هذه الاثناء وصل الملك الى القاهرة ، فى الثانى عشر من ابريل وأصدر بيانا ، أعلن فيه عزمه على تأليف حكومة تمثل الشعب ويكون معظم أعضائها من اليونانيين الموجودين فى اليونان ، واتخذت الخطوات السرية لنقل عدد من المثلين من أرض اليونان وبينهم المسيو باباندريو زعيم الحزب الديموقراطى الاشتراكى ، وقد تولى رئاسة الوزارة ، وفى شهر مايو عقد مؤتمر يمثل جميع الاحزاب فى أحد مصايف جبل لبنان وشهده زعماء اليونان ، اتفق فيه على اقامة حكومة فى القاهرة تمثل فيها جميع الاحزاب تحت رياسة باباندريو .

احتـــلال انزيو

بعد أن استسلمت ايطاليا فى شهر سبتمبر عام ١٩٤٣ ، تشكلت لجنة من الساسة الذين نحاهم موسولينى عن السلطة والحكم ومن ممثلى الهيئات التى تعارض الحكم الفاشى ، لمقاومة الالمان ولتحرير روما ، وفى هذا الوقت كان موسولينى قد اعتقل فى جزيرة بونزا ثم نقل منها فيما بعد الى لامادالينا الواقعة على مقربة من ساحل سردينيا ، وخوفا من أن يقوم الالمان بحركة خاطفة أمر بادوليو بنقل موسولينى الى قرية جبلية صغيرة تقع على قمة عالية فى أبروزى فى أواسط ايطاليا الا أنه فى صباح اليوم الثانى عشر من سبتمبر هبط نحو تسعين من رجال المظلات الالمانيين من طائرة انزلاق على مقربة من الفندق الذى اعتقل فيه موسولينى وأركبوه طائرة ألمانية تولت نقله فورا الى ميونيخ ، حيث عقد اجتماعا مع هتلر ، وبحثا معا فى طريقة اطالة حياة الفاشية الايطالية فى المناطق التى لاتزال القوات الالمانية تحتلها ، وأعلن الدوتشى فى الخامس عشر من سبتمبر تأليف حزب فاشى جمهورى جديد ليتولى اقامة حكومة فى الشمال الايطالى ، عرفت باسم حكومة جمهورية سالو ، وذلك بعد أن اتخذ له مقر قيادة على شواطىء بحيرة جاردا .

وكان من نتائج استسلام ايطاليا المباغت أن وقعت جيوشها فى البلقان فى كمين بين قوات عصابات المقاومة المحلية وبين الالمان المتعطشين للانتقام حيث أبيدت الحامية الموجودة فى كورنو والبالغ عددها سبعة آلاف تقريبا ، وكذلك أبيدت القوات الموجودة فى جزيرة كيبهالوتيا ، الا أن الحاميات الموجودة فى بحر ايجه تمكنت من الفرار فى مجموعات صغيرة الى مصر ، كما انضمت وحدات من الايطاليين فى ألبانيا وعلى الساحل الدماسى وفى داخل يوغسلافيا الى جماعة الانصار ، حيث قام تيتو بتشكيل الجزء الاكبر من فرقتين ايطاليتين من فرق «غاريبالدى» فى الجبل الاسود وكان مجموع ماخسرته الجيوش الايطالية فى البلقان وبحر أيجه مايقرب من اربعين ألف جندى

كما غرقت ايطاليا فى أهوال الحرب الاهلية ، وأخذ ضباط الجيش الايطالى وجنوده المقيمون فى المناطق الشمالية التى يحتلها الالمان ينظمون وحدات من الانصار للعمل ضد الالمان وضد مواطنيهم الذين مازالوا على ولائهم للدوتشى ، وأخذ هؤلاء الانصار يتصلون بجيوش الحلفاء فى جنوب روما ومع حكومة بادوليو ، بغية تنظيم المقاومة الايطالية للاحتلال الالمانى ، وكانت المساعدات الذى يبذلونها لاسرانا الذين داهمتهم الهدنة وهم فى معسكرات الاسر فى شمال ايطاليا من

جملة الاعمال المهمة التى كانوا يتولونها ، وبسبب هذه المساعدة تمكن عشرة آلاف اسير من مجموع الاسرى البالغ عددهم ثمانين الفا من الهرب من معسكرات الاعتقال .

ولما رأي موسوليني أن « جمهورية سالو » أخذت تتداعى قدم الى المحاكمة فى القلعة القديمة فى فيرونا فى نهاية عام ١٩٤٣ ، جميع قادة العهد الفاشي القديم الذين كانوا قد اقترعوا ضده والذين أمكن اعتقالهم فى المناطق الايطالية التى يحتلها الالمان ، وقد حكم عليهم جميعا بالاعدام بما فيهم الكونت تشايفو زوج ابنته ايدا ، وقد نفذ فيهم حكم الاعدام فى شهر يناير عام ١٩٤٤ .

أما من ناحيتنا فقد أخذنا نعد العدة لعملية « الحصباء » وهو الاسم الرمزي الذى أطلقناه على عملية « انزيو » وذلك فى أوائل يناير واشتبكت قوات الجيش الخامس فى قتال عنيف مع القوات الالمانية لاختراق خط جوستاف الذى كانت كاسينو مركزه الأساسى ، وهو خط دفاعى حصين ، تتخلله مراكز مراقبة على قمم الجبال ، كان العدو يسيطر بنيران مدافعه منها على جميع الوديان ومايقع فيها من حركات ، مما ارغم قواتنا على الارتداد .

وفى هذه الأثناء سارت قوافلنا المتجهة الى انزيو فى عرض البحر تحت حماية الطائرات التى قامت بغارات على مطارات العدو وبالاخص على مطار بيروجيا قاعدة طائرات الاستطلاع الالمانية ، وكنت أرقب بقلق بالغ نتيجة هذه العملية المهمة ، حتى جاءتنى الانباء ، بأن الفيلق السادس الذى يتألف من الفرقة الامريكية الثالثة والفرقة البريطانية الاولى بقيادة الجنرال الامريكى لوكاس ، قد نزل الى البر فى شواطىء انزيو فى صباح الثانى والعشرين من الشهر واستغرقت عمليات جس النبض فى اتجاه شيشتيرنا وكامبوليونى طيلة يومى ٢٢ و ٢٣ يناير ، كما نزل أيضا جماعتان من الفدائيين البريطانيين والامريكيين مع حشد هائل من المعدات والاسلحة على الشاطىء ، ولكن الفرصة التى بذلنا كل هذه المجهودات الهائلة فى سبيل الحصول عليها قد ضاعت بسبب ما قام به الجنرال كيسلرنج من رد سريع وهجوم شامل على قواتنا ، وقد وصلتنى أنباء خطيرة من الجنرال اليكساندر بأنه هو والجنرال كلارك غير راضيين عن سرعة التقدم ، ولكن هجماتنا استمرت على مواقع العدو فى كاسينو ، ولم يضعف الخطر الذى يهدد جناح كيسلرنج من عزيمته على مقاومة هجماتنا ، وتصميمه على الاحتفاظ بمواقعه تنفيذا للامر الصادر اليه من هتلر ، والذى قال فيه :

« يجب الاحتفاظ بخط جوستاف بأى ثمن ، بالنظر الى النتائج السياسية التى يمكن أن تنجم عنه ، وأن الفوهرر يتوقع كفاحا شديدا فى سبيل كل شبر من الارض » .

ولو أننا حققنا تقدما مرضيا فى البداية حيث اجتزنا نهر أبيدو المار ببلدة كاسينو ، ثم هجمنا نحو الجنوب فى اتجاه جبل الدير الا أن الالمان صمدوا صمودا عنيدا ولم يأت أول فبراير حتى كانت قوة هجومنا قد ضعفت

صمدوا صمودا عنيدا ولم يأت أول فبراير حتى كانت قوة هجومنا قد ضعفت

وجئنا بفيلق نيوزيلندى يضم ثلاث فرق من جبهة الادرياتيك وبدانا فى الخامس عشر من فبراير هجومنا الرئيسى الثانى بقصف الدير نفسه ، وقد ظهر أن هذا الجبل عائق دفاعى مهم جدا ولم تكن النتيجة مجدية ، كما عهد الى الفرقة الهندية الرابعة التى حلت محل الامريكيين بالهجوم ، وقاموا فعلا بمحاولات يائسة فى ليلتين متتاليتين لاحتلال أكمة بين المواقع التى يوجدون فيها وبين الجبل الذى يقوم عليه الدير ولكنها منيت بالفشل، وفى ليلة الثامن عشر من فبراير قاموا بمحاولة ثالثة ودار بينها وبين العدو قتال عنيف قتل فيه جميع رجالنا الذين توصلوا الى الالمان وخسرت قواتنا خسائر بالغة مما اضطرها الى التوقف ، وهكذا فشل الهجوم المباشر على كاسكينو .

وقد قال الجنرال ويلسون فى تقريره « أغلق المحيط ، وأصبحت قواتنا فى داخله عاجزة عن التقدم » فعلى الرغم من أن الجنرال لوكاس قد حصل على المباغتة التى كنا نريدها الا أنه فشل فى استغلالها والاستفادة منها ، وكان هذا مثبطا للعزائم عندنا وفى الولايات المتحدة ، وقد كنا فى الظاهر لانزال أقوى من الألمان فى قوتنا المحاربة ، ولكن السهولة التى كانوا ينقلون بها قطعهم من مكان الى آخر والسرعة التى كانوا يسدون فيها الثغرات الخطرة التى فى جبهتهم الجنوبية كانتا ظاهرتين مؤثرتين كل التأثير ، ووضح ان كل هذا يبين لنا حقائق ليست فى مصلحة عملية « السيد الاكبر »

كما بدأت المحاولة الرئيسية المنتظرة للقذف بنا الى البحر ، عندما استخدم العدو أكثر من أربع فرق يدعمها نحو أربعمائة وخمسين مدفعا فى هجوم مباشر من كامبوليونى نحو الجنوب تنفيذا لأمر هتلر باخلاء الشاطىء فى بحر ثلاثة أيام ، ولكن الخط الذى كان حتى الآن يفرض العراقيل شاء فى اللحظة الأخيرة أن يولينا بعنايته، فقبل أن تنتهى الأيام الثلاثة المقررة توقف الهجوم الألمانى ، وفى الحال قمنا بهجوم عام تؤيدنا نيران شديدة من مدفعيتنا وغارات طائراتنا ودار قتال عنيف بلغت خسائر الفريقين فيه حدا هائلا ولكننا كسبنا المعركة .

وفى أوائل شهر مارس توقف الفريقان عن الحركة بسبب رداءة الطقس بعد أن فشلنا فى اختراق جبهة الالمان الرئيسية فى كاسينو كما فشل الالمان فى القذف بنا الى البحر فى انزيو .

ولو أن انزيو لم تعد مصدر قلق لنا ، الا أن الحملة فى ايطاليا فى مجموعها أبطأت فى سيرها ، وكنا نأمل أن نتمكن من طرد الالمان الى الشمال من روما ، كما نتمكن من القيام بعملية انزال قوات ومعدات على شاطىء الريفيرا الفرنسى لتكون عونا لنا فى عملية الغزو عبر القناة الا أنه قد تبين أن علينا أن نسير بالحملة فى ايطاليا شوطا بعيدا قبل أن نبدأ فى عملية غزو القناة .

ولما كانت الحاجة ماحة تتطلب انهاء فترة الجمود التى تسود جبهة

كاسترو ، فسرعان ما بدأت الاستعدادات لمعركة كاسينو الثالثة ، ولكن رداءة الطقس حالت دون بدء الهجوم حتى الخامس عشر من مارس ، حيث بدأنا الهجوم بالقاء أكثر من ألف طن من قنابل الطائرات والف ومائتى طن من قذائف المدافع حتى يتيسر لمشاتنا التقدم ، وعندما هبط الظلام كان الجزء الأكبر من البلدة قد أصبح فى أيدينا ، ولكن المعركة استمرت فى خرائب كاسينو حتى الثالث والعشرين من الشهر وهى تتردد بين مد وجزر من الهجمات والهجمات المضادة ، ولكننا على كل حال أفلحنا فى تثبيت رأس جسر على نهر رابيدو ، مما كان له كبير الاهمية فى الاندفاع الذى قمنا به فى شهر يناير الماضى ، عبر الحوض الادنى لنهر كاريجيليانو ، وعندما جاء دور المعركة الحاسمة الظافرة فيما بعد ، تمكنا من احتلال انزيو ، وقد دل هذا العمل الذى قامت به جيوشنا فى ايطاليا ولا سيما فى ضربة انزيو ، على أننا سننجح فى عملية « السيد الاكبر » .

عبور القناة أو عملية السيد الأكبر

لما كنت شديد الرغبة فى اشراك الولايات المتحدة معنا فى هجوم مباشر عبر القناة على جبهة الألمان البحرية فى فرنسا ، ولما كنت أيضا غير مقتنع بأن هذه الخطة كانت الوحيدة التى تضمن الفوز فى الحرب ، وكنت أعرف انها مغامرة محفوفة بالأخطار وكثيرة المتاعب ، وكانت الأثمان الغالية التى دفعناها من الارواح البشرية والدماء فى أثناء الحرب العظمى الاولى ، لاتزال منقوشة فى ذاكرتى ، وكنت لا أزال أعرف أن الحصون المبنية من الاسمنت المسلح والفولاذ والمسلحة بالقوة النارية الحديثة والتى يدافع عنها رجال مدربون أكمل تدريب ، لا يمكن التغلب عليها الا بعنصر المباغتة . فقد ظل الجنرال مورجان وأركان حربه من القوات الحليفة المشتركة يعملون طول أشهر الصيف عام ١٩٤٣ فى اعداد الخطة ، وكان من رأى الجنرال ايزنهاور والجنرال مونتجمرى أن يكون الهجوم بقوة كبيرة وعلى جبهة أوسع ليكسبا بسرعة رأس جسر ذا حجم كاف لتعزيز القوات التى تنزل الى البر ، وكان من المهم أيضاً الاستيلاء على أرصفة شربورج ، وطالبا أن يكون الهجوم بخمس فرق بدلا من ثلاث . وقد تقرر أخذ قطع الانزال اللازمة لفرقة واحدة من الفرقتين الاضافيتين من عملية « السندان » أما البواخر اللازمة للفرقة الثانية فيمكن ايجادها من تأجيل عملية السيد الاكبر حتى فترة القمر فى يونيو .

وقد أخذت جميع الفرق تجرى تدريباتها النهائية ، وبالطبع لم يمر هذا النشاط عرضا ، فقد كان لنا غاية فى أن يلاحظ المراقبون الاعداء ذلك من خليج كاليه ، كما كنا فى هذه الفترة نجرى عملية استطلاع جوى مستمرة لنكون على علم بما يدور فى القناة ، كما كانت تقوم بعض الجماعات برحلات عدة فى زوارق صغيرة لسبر بعض الاغوار على الشاطىء ومعرفة العقبات الجديدة واختبار طبيعة الساحل وذلك فى جنح الظلام .

ولما كان اختيار يوم الغزو وساعته أمرا دقيقا ومعقدا ، كما ان جميع الشروط المرغوب فيها ماكانت لتتوافر الا ثلاثة أيام فى كل شهر قمرى ، وكانت الايام الثلاثة التى حددها الجنرال ايزنهاور هى الخامس والسادس والسابع من يونيو فقد اتفق على أن يكون اليوم الخامس من حزيران هو بدء الغزو ، واذا لم يكن الطقس ملائما فى أى من هذه الايام الثلاثة فان العملية كلها ستتأجل شهرا كاملا انتظارا للقمر .

ولما كان حشد القوات المهاجمة والتى كان يبلغ تعدادها (١٧٦) ألف جندى وعشرين ألف سيارة وعدة ألوف من أطنان الذخائر ، التى تقرر نقلها فى اليومين الأولين مهمة كبيرة للغاية ، فقد بدأ نقل الجنود من جميع

مراكزهم فى أنحاء بريطانيا الى القاطعات الجنوبية كما جمعت فرق الجو الثلاث وهي التى تقرر هبوطها فى نورماندى قبل بدء الهجوم البحرى فى أماكن قريبة من المطارات التى ستستقل الطائرات منها .

ولما كان من غير المعقول ، أن تظل جميع هذه التحركات فى البر والبحر خافية عن عيون العدو واهتمامه ، وكانت هناك أهداف مغرية لطائرات العدو فقد اتخذنا الاحتياطات اللازمة كافة لمواجهة ذلك ، وأعددنا أكثر من سبعة آلاف مدفع مضاد للطائرات والصواريخ وأكثر من الف منطاد لحماية هذه الحشود الهائلة من الرجال والسيارات .

وقبل ثلاثة أسابيع من ابتداء الغزو ، عقدنا مؤتمرا ثانيا فى لندن ، فى مقر قيادة مونتجمرى شهده الملك والمارشال سمطس ورؤساء أركان الحرب البريطانيين وقواد الحملة وعدد كبير من أركانهم ، وكان قد أعد خريطة كبيرة لنورماندى وشواطئها ومداخلها ، ليتمكن كبار الضباط الذين يشرحون خطة العملية والطرق الموصلة للأماكن التى يشيرون اليها ، وانتهت الجلسة بعد أن ألقى الملك والجنرال مونتجمرى وضباط الاركان خطاباتهم .

هذا وقد لاحظنا أن العدو يعد نجدات من القوات البحرية الخفيفة فى شربورج والهافر كما أبدى نشاطا كبيرا فى عمليات زرع الالغام فى القناة ، وعندما حل يوم الغزو وهو الخامس من يونيو ، منعنا جميع الاشخاص الذين تقرر اشتراكهم فى الحملة من مغادرة بواخرهم أو معسكراتهم أو نقاط تجمعهم على الساحل ، كما احتجز البريد بأنواعه ، وأخذنا ندرس التقارير عن حالة الطقس ، وقد عرفنا أن الطقس سيكون سيئا للغاية ، وهذا أمر كبير الأهمية بالنسبة لغارات الطائرات التى ستمهد للانزال ، وطال أمد التأجيل الى ما بعد السابع وأصبح من غير الممكن الحصول على الجمع بين القمر والمد قبل مضى نحو أسبوعين . وكانت فى هذه الاثناء قد صدرت التعليمات الى جميع الجنود بالاستعداد ، ولكن لما كان من الواضح أنه ليس فى وسعنا الاحتفاظ بهم على ظهر هذه البواخر الصغيرة الى أمد غير محدود ، كما أنه كان فى مثل هذه الحالة لا يمكن أن تحول دون تسرب الانباء ووصولها الى العدو فى حالة حدوث تأجيل طويل وعليه فقد أصدر الجنرال ابزنهاور أمرا بتأجيل العملية وعادت جميع البواخر والسفن المحملة بالجنود والعتاد الى مكان تجمعها الاصلى .

ولكن خبراء الارصاد الجوية عادوا وأكدوا وجود تحسن مؤقت صباح السادس من يونيو وبعود الطقس بعدها الى السوء ، الى وقت غير محدود . وكان على ابزنهاور أن يواجه الخيار الخطير بين أمرين . أما تقبل الاخطار أو تأجيل الهجوم مدة أسبوعين على الاقل ، ولكنه على ضوء نصائح قادته قرر بجرأة وحكمة كما اثبتت الأيام ، أن يمضى قدما فى العملية وتقرر أن يقع الغزو فى اليوم السادس من يونيو ، وبعد أن تتابعت الأحداث تبين لنا أن هذا القرار قد بررته الاحداث وكان سببا فى أن قمنا على ناصية المباغتة مع ما تنطوى عليه من فوائد ، وكان من حسن حظنا أن ضباط الارصاد الجوية الالمان ، كانوا قد أبلغوا قيادتهم العاما أن الغزو الخامس والسادس من يونيو فى حكم المستحيل بسبب رداءة الطقس التى قد تستمر عدة

أيام ، وعلى ذلك فقد مضت العملية الكبيرة فى طريقها بدقة متناهية .
وتقدم أعظم أسطول غزو فى التاريخ متجها الى ساحل فرنسا تتقدمه كاسحات الالغام وتحرسه من جميع جهاته القوات البحرية الجوية الحليفة .

وكانت شبكة الدفاع حول جميع شواطئنا محكمة وتعمل فى منتهى الدقة والنشاط كما كان أسطول الوطن يقظا ومتربصا لأية حركة قد تقوم بها السفن الحربية الالمانية ، كما كانت الدوريات الجوية تراقب شواطىء العدو من النرويج حتى القناة ، وفوق المداخل الغربية وخليج بسكاى ، وفى هذه الاثناء جاءتنى أنباء مثيرة عن احتلال قواتنا لروما .

الاستيلاء على روما

لقد توقف زحف الحلفاء فى ايطاليا لمدة شهرين بسبب مالاقته قواتنا من صعاب فى جبهتى انزيو وكاسينو ، فى أثناء القتال الذى دار هنــاك وقد تحتم علينا أن نعيد تنظيمها ، وان ننقل الجزء الاكبر من الجيش الثامن ومن ناحية الادرياتيك لكى يتاهب الجيشان للهجوم القادم . وفى هذه الأثناء كان الجنرال ويلسون يستخدم كل مالديه من قوات جوية ليعرقل حركات العدو ، ويلحق به افدح الخســائر ، كما اشتركت قوات الحلفاء الجوية فى مهاجمة مواصلات العدو البريه أملا فى قطعها ، لكى ترغم القوات الالمانية على الانسحاب بسبب افتقارها الى المؤن ، وكذلك تحطيم الجسور والقناطر وغيرها من الاماكن الحساسة لتوقف سير القطارات الى الشمال من روما ولــكن العمليه فشلت . وتمكن العــدو من المحافظة على طــرق امداده ، باستخدام الملاحة الداخلية ونقل شحناته بالسيارات بدلا من القطارات ، ولكنه عجز عن جمع كميات كبيرة من المؤن والذخائر تكفى قواته للاستمرار فى القتال لمدة طويلة ، وظهر الضعف فى صفوفه فى أثناء القتال العنيف الذى نشب فى الايام الاخــيرة من شــهر مايو . ممــا حقق لنا الاتصال بجيوشنا المنفصلة ، كما تحقق لنا الاستيلاء على روما فى أسرع مما كنــا نتوقع . كما منى سلاح الجو الالمانى بخسائر فادحة .

وقد كان الجيش الخامس بقيادة الجنرال كلارك يضم فى هــذا الوقت سبع فرق بينها أربع فرق فرنسية ويحتل الجبهة الممتدة من البحر الى نهر ليرى ، كما كانت جبهة الجيش الثـــامن الذى يقوده الجنرال ليز . مكملة الخط عبر كاسينو الى الجبال والذى يضم اثنتى عشرة فرقة وقد تجمــع للحلفاء بذلك ثمان وعشرون فرقة ، مقابل ثلاثة وعشرين فرقة للالمان . وكانت خطواتنا التضليلية تذهل كيسلرنج مما دعاه الى توزيع قواته على مساحة شاسعة، وبذلك لم يكن لديه فى الجبهة الممتدة بين كاسينو والبحر ، حيث تقرر أن توجه ضربتنا اليها أربــع فرق ، وقد بدأ الهجوم فى مساء اليوم الحادى عشر من مايو ، عندما أطلقت مدافعنا البالغ عددها الفى مدفع قذائفها على العدو وعززها فى الصباح قصف جوى شديد قامت به طائراتنا وبذلك تم لنا فى اليوم الثامن عشر من مايو التغلب على العدو وتطهير كاسينو بصورة نهائية .

كما كانت هناك ست فرق يقودها الجنرال الامريكى تروسكوت قد احتشدت فى رأس شاطىء انزيو اندفعت فى هجومها مع الجيش الثامن ، ولم يمض يومان حتى اتصلت بالفيلق الامريكى الثانى .

وبذلك تحطمت المقاومة الالمانية فى مساء اليوم الثانى من يونيو، وفى

اليوم الرابع من يونيو دخلت طلائع الفرقة الثامنة والثمانين الى ساحة البندقية فى قلب العاصمة (روما) .

وفى اليوم السادس من حزيران عام ١٩٤٤ ، أعلنت فى مجلس العموم تحرير مدينة روما على أيدى جيوش الحلفاء تحت قيادة الجنرال اليكساندر كما بعثت الى ستالين أعلمه بذلك وبسير عملية «السيد الأكبر» نحو غايتها ، وقد رد على يقول :

« تلقيت رسالتك عن النجاح الذى حققتموه فى بداية عملية «السيد الاكبر » مما بعث السرور الى نفوسنا والامل فى انتصارات أخرى ، هذا وسيبدأ حوالى منتصف هذا الشهر هجوم الصيف بالنسبة للقوات السوفيتية كما اتفقنا فى مؤتمر طهران ، على أن تتطورالعملياتالهجومية خلال شهر يوليو الى هجوم عام تشنه الجيوش السوفيتية فى جميع أنحاء الجبهة » .

وبعد أيام أبرق الى ستالين يقول :

« لقد أصبح واضحا أن النزول الذى خطط له على نطاق واسع،قد نجح نجاحا كاملا ، ولا أستطيع أنا وزملائى الا الاعتراف بأن تاريخ الحرب لا يعرف عملية أخرى مماثلة من حيث تطوراتها وتصوراتها الواسعةوتنفيذها العبقرى .

ومن المعروف جيدا أن نابليون قد فشل فشلا معيبا فى اجتيازالقناة بالقوة ، وهتلر المجنون الذى ظل يتبجح عامين كاملين بأنه سيعبر «المانش» لم يستطع أن يحزم أمره حتى على مجرد الاشارة بأنه سيحاول تنفيذوعيده ولم يتمكن سوى حلفائنا من أن يحققوا بشرف الخطة العظيمة فى عبور المانش ، ولا ريب فى أن التاريخ سيسجل هذا العمل على أنه عمل من أعظم الأعمال » .

وأبلغنا الجنرال مونتجمرى فى العاشر من يونيو بأنه قد أصبح ثابت الاقدام على الشاطىء بحيث يستطيع تقبل الزيارات ، فقمت ومعى الجنرال سمطس وبروك لزيارته على ظهر احدى المدمرات كمااستقل الجنرال مارشال والاميرال كينج وضباط أركان حربهما مدمرة أخرى ليكونوا معنا فى هذه الزيارة ، ونزلنا الى البر وأخذت السيارة تطوف بنا المنطقة المحدودةالتى يحتلها فى نورماندى وعدنا بعد ذلك على المدمرة « كيلفن » .

وبعد عودتى ، بعثت بالرسالة التالية الى الرئيس شرحت له فيهما جميع القضايا ومن بينها بالطبع الزيارة التى ينوى الجنرال ديجول القيام بها لفرنسا والتى أعددت لها العدة دون استشارة الرئيس ، قلت له فيها :

« لقد قضيت يوما ممتعا على الشاطىء الفرنسى وفى الداخل ، وهناك كتلة ضخمة من البواخر تنتشر على مسافة تتعدى الخمسين ميلا على طول

الشاطىء ، وتقوم الموانى الاصطناعية بحماية هذه البواخر • وفى وسعى أن أقول ان كل عنصر من هذه الموانى كان ناجحا فى حد ذاته ، وسنصبح عما قريب عاملا مهما فى تأمين الملاذ الامين ضد الطقس السىء ، ويبدوأن قوة سلاحنا الجوى وقوة وسائلنا فى مقاومة الغواصات قد ضمنت لنا حدا كبيرا من الحماية وبعد أن قمنا بواجبات كثيرة منهكة أطلقنا نيران مدافعنا من مدمراتنا على الرغم من اننا كنا على بعد ستة آلاف ياردة ولكن العـدو لم يكرمنا برد تحيتنا » •

تحرير باريس

ولنبين الآن مما نوضح لنا ما كانت عليه أوضاع وخطط العدو . فقد كان الماريشال رونشتادت يتولى قيادة (جدار الاطلنطى) وتحت امرته ستون فرقة تتولى العمل فى القطاع الممتد من الاراضى المنخفضة حتى خليج بسكاى ، ومن مارسيليا الى نهاية الساحل الفرنسى الجنوبى ، وكان روميل يتولى القطاع الساحلى الممتد من هولندا الى اللوار وكان جيشه الخامس عشر المؤلف من تسع عشرة فرقة على حين كان جيشه السابع المؤلف من تسع فرق مشاة وفرقة مدرعة فى نورماندیا نفسها ، أما الفرق العشر المدرعة الموجوده فى الجبهة الغربية كلها فكانت منتشرة من بلجيكا الى بوردو ، ومن الغريب أن الالمان وقد أصبحوا فى مركز المدافع فقد ارتكبوا الاخطاء التى ارتكبها الفرنسيون عام ١٩٤٠ عندما وزعوا أقوى سلاح يمكن لهم الاعتماد عليه فى الهجوم المضاد .

ومن الغريب أن هذا الهجوم الضخم جاء مباغتا للعدو ، ففى صباح الخامس من يونيو كان روميل قد غادر مقر قيادته لزيارة هتلر فى برختسجادن عندما حلت الضربة بقطاعه وكان رونشتادت يعتقد بأن ضربتنا الرئيسية ستوجه من مضيق دوفر ، ولكن يظهر أن هتلر وأركان حربه كانوا قد تلقوا تقارير تشير الى أن نورماندیا ستكون ميدان المعركة الرئيسى ، وظلت تساوره الشكوك حتى بعد نزولنا ، وأضاع يوما كاملا قبل أن يقرر ارسال أقرب فرقتين مدرعتين الى الجبهة لتعزيزها لانه كان فى رأيه أن عملية الانزال فى نورماندیا لم يكن الا مجرد عملية أوليه وفرعيه ، ولم يرسل القوات الاحتياطيه من الجيش الخامس المرابط فى خليج كاليه جنوبا لتشترك فى المعركة الا بعد أن انقضى ستة أسابيع على يوم الغزو .

ومع ذلك فقد قاتلت جيوش العدو بعناد واصرار ولم يكن من السهل التغلب عليها ، ولكن على الرغم من جميع الصعوبات التى لاقيناها ، فقد حققنا تقدما طيبا باستثناء فشلنا فى احتلال كاين ، التى كانت ذات أهمية عظيمة بالنسبة لنا ، ولأن مونتجمرى كان قد قرر أن يقيم بوساطة القوات الامريكيه فيها نقطة ارتكاز يساريه ضخمة تدور منها المعارك ولان أرضها كانت تصلح لاقامة أماكن لهبوط الطائرات فيها ، كما كانت هذه البلدة مهمة أيضا بالنسبة للالمان ، لان اختراق الجبهة فيها يجبر جيشهم السابع بأكمله على الانسحاب فى اتجاه جنوبى شرق اللوار ويفتح ثغرة بينه وبين الجيش الخامس عشر فى الشمال ، كما يتفتح الطريق فى الوقت نفسه الى باريس .

وقد تمكن الحلفاء فى الحادى عشر من يونيو من اقامة جبهة متصلة واندفع الأمريكيون شرقا وغربا تؤيدهم الطائرات المقاتلة ، وبعد قتال

عنيف توقفوا عند أبواب الخطوط الدفاعية لمدينة شربورج فى الثانى والعشرين من يونيو .

وفى هذه الاثناء وقعت احداث أخرى وراء الميدان أثرت على مستقبل المعركة تأثيرا حاسما ، ففى ليلة الثالث عشر من يونيو سقطت على لندن أولى القنابل الطائرة ، وكانت هذه القنابل تنطلق من سواحل فرنسا الشمالية من أماكن بعيدة عن جيوشنا النازلة الى البر ، ولو كنا احتللنا هذه الأماكن فى وقت مبكر لأرحنا السكان المدنيين فى لندن من تعرضهم لهذه الغارات الجوية الفظيعة .

وفى اليوم التاسع عشر من يونيو عقد هتلر مؤتمرا فى مارجيفال على مقربة من سواسون، شهده رونشتادت ورومل ، وبين له القائدان وجوب سحب الجيش السابع بانتظام قبل أن يتعرض للدمار الى نهر السين حيث يستطيع أن يخوض بالاشتراك مع الجيش الخامس عشر معركة حاسمة ومتحركة ولكن هتلر لم يذعن لرأيهما ، وأصر كما سبق أن أصر فى روسيا وايطاليا على وجوب القتال عن كل شبر من الأرض .
هذا وقد تم لنا فى الستة الايام الاولى من بدء الهجوم تثبيت أقدامنا وأنزلنا (٣٢٦) الف رجل و (٥٤) الف سيارة و (١٠٤) آلاف طن من العتاد والذخائر ، كما أقمنا جهازا هائلا للتموين ، كما أعددنا ميناء «بورت آن باسان » ليكون الميناء الرئيسى للامداد بالبترول فى المنطقة كلها وفى هذه الاثناء هبت عواصف شديدة استمرت اربعة ايام فحالت دون نزول أية قوات أو معدات جديدة الى الساحل لما ألحقت أضرارا كبيرة بحواجز الماء ، وافلتت قطع عائمة كثيرة . فاصطدمت بحواجز الميـاه وبالسفن الراسيه فى مرافئها وتحطم الميناء الموجود فى المنطقة الامريكية وقد سببت فى تعطيل تقدمنا فى الميدان ، واقام البريطانيون فى الاسبوع الاخير من يونيو راس جسر لهم فى جنوب كاين ولكن المحاولات التى بذلت لتوسيعه جنوبا وشرقا منيت بالفشل .

وفى السابع عشر من شهر يوليو ، وقع حادث مهم للغـاية ، حيث أصيب رومل بجراح بالغة من جراء هجوم طائراتنا المحاربة من ارتفاع منخفض على سيارته ولكنه بعد أن شفى من جراحه لقى حتفه فيما بعد بأمر من هتلر ، كما نحى رونشتادت عن قيادة الجبهة الغربية كلها ليخلفه فيها فون كلوجه ، وهو قائد أظهر تفوقا عظيما فى الجبهه الروسـيه كما وقعت فى العشرين من يوليو محاولة أخرى فاشلة لاغتيال هتلر ، بوساطة قنبلة زمنية وضعها الكولونيل فون شتوفنبرج، وقد قتل عدد من الضباط الذين كانوا حاضرين ولكن الفوهرر برغم الصدمة الشديدة والجراح التى أصيب بها نهض هاتفا « من يقول ان الله لايرعانى بحمايته » .

وفى الثامن عشر من يوليو هجم الجيش البريطانى بثلاثة فيالق تقدمها قصف جوى هائل ، حال بين سلاح المانيا الجوى وبين التدخل فى المعركة وتقدمنا الى الشرق من كاين ، الى أن حالت الغيوم الملبدة فى السماء بين طائراتنا وبين الحركة الفعالة ، مما سبب تأخرا فى عملية الاقتحام فى القطاع الامريكى لمدة أسبوع .

وفى هذه الآونة صدرت الاوامر بالغاء الحظر الذى كانت القيادة العليا الالمانيه قد فرضته على جيشها الخامس عشر والتى كانت محتفظة به وراء نهر السين ، كما توجهت فرق جديدة لتعزيز الجيش السابع الذى لحق به الاجهاد ، وقد تمكنت طائراتنا من عرقلة نقل هذه الفرق بالسكة الحديد .

وحانت أخيرا لحظة الهجوم الأمريكى العظيم بقيادة الجنرال برادلى ففى الخامس والعشرين من يوليو ، اندفع الفيلق السابع جنوبا من سان لو وانضم اليه الفيلق الثامن المرابط الى ميمنته فى اليوم التالى ، تؤيدهما قاذفات القنابل الامريكية ، كما اندفعت القوات المدرعه تجرف فى طريقها كل شيء مستهدفة نقطة كوتانس ، ذات المركز الحساس ، فقطعت طريق النجاة بالنسبة للالمان على طول ساحل نورماندیا الغربى ، وأصبحت جميع مراكز الالمان اندفاعية الى الغرب من نهر فير فى حالة من الشلل والاضطراب ومضى الزحف مندفعا للامام ، وتم احتلال افرانسن فى الحادى والثلاثين من يوليو ، وتلتها الزاوية البحرية التى فتحت الطريق الى شبه جزيرة بريتانى وقام الكنديون فى الوقت نفسه بهجوم من كاين جنوبا فى اتجاه طريق ناليز ولكنه لقى مقاومة فعالة من أربع فرق مدرعة .

وفى هذا الوقت تم تشكيل الجيش الامريكى الثالث بقيادة الجنرال باتون وشرع يعمل فى ميدان القتال ، وقد أوفد هذا الجيش فرقتين مدرعتين وثلاث فرق من المشاة الى الجنوب والغرب ، لتطهير جزيرة بريتانى ، بمساعدة حركة المقاومة الفرنسيه التى كانت تضم ثلاثين ألف رجل ، وقد تم الاستيلاء على شبه جزيرة بريتانى .

وبعد أن تم تطهير بريتانى ، شرعت بقية جيش باتون فى الزحف شرقا فى الخطاف الطويل « الذى سيصل بها الى الثغرة الواقعة بين باريس واللوار وهبوطا مع السين فى اتجاه روان » ودخلت قواتنا بلدة لافال فى السادس من أغسطس وفى السابع منه بلدة ليمانز ، ولكن الصعوبة الكبرى كانت من تموين الامريكيين الزاحفين فى مساحات طويلة شاسعة وكان من الواجب فى هذه اللحظة نقل كل شيء الى شواطىء الانزال الاساسية ومنها الى الطرف الغربى من نورمانديا عبر افرانش حتى تصل المؤن الى الجبهة ، وهكذا أصبحت افرانش بمثابة عنق الزجاجة ، وقد كانت فرصة مغرية للألمان ليشنوا عليها هجوما مضادا واستحوذت الفكرة على خيال هتلر ، فأصدر أوامره بأن تقوم القوات بالهجوم على مورتان ، لتشق طريقها منها الى افرانشن . ولتقطع بذلك طرق مواصلات باتون ، وأجمع القادة الالمان على استنكار هذا الهجوم الجديد ، لادراكهم أن معركة نورمانديا قد انتهت بفقدها ، ولكن هتلر أصر على رأيه وفى السابع من أغسطس شنت خمس فرق مدرعة وفرقتان من المشاة هجوما عنيفا على مورتان من ناحية الشرق ، فسقطت الضربة على فرقة أمريكية واحدة ، ولكنها صمدت للهجوم حتى وصلتها ثلاث فرق أخرى لمساعدتها وصد العدو . ومضت قوات الحلفاء تندفع فى طريقها مهاجمة الالمان المكتظين فى الجيب الضيق الطويل ، وتمكنت بفعل المدافع من أن تنزل بها خسارة هائلة ، وصمد الالمان بعناد واصرار محاولين انقاذ ما يمكن انقاذه بوساطة قواتهم المدرعة ، وتحول المنظر الى

مذبحة وانطبق الفكان فى العشرين من أغسطس ، وقد تمكن شطر كبير من قوات العدو من الخلاص من الطوق والنجاة ، الا أن ما لايقل عن ثمان فرق ألمانية قد تمت ابادتها فى هذه المعركة .

كما تمكن الجيش الامريكى الثالث من تطهير بريتانى والاسهام فى نصر فاليه الرائع ، بدفعه ثلاثة فيالق فى اتجاه الشرق والشمال الشرقى من ليمانز ، وقد وصلت فى السابع عشر من أغسطس الى أورليان وشاراد ودرو . ثم اندفعت فى اتجاه شمالى غربى للقاء القوات البريطانية الزاحفة على روان .

وكان أيزنهاور الذى تولى القيادة العليا الآن عازما على تجنب خوض معركة لاحتلال باريس ، ولما كانت ستالنجراد ووارسو قد برهنتا على ما فى الهجمات الجيبية من مفازع ومخاوف ومن انتشار روح الوطنية بين المدافعين ، فقد قرر تطويق العاصمة وارغام الحامية التى بها اما على الاستسلام أو الهرب ، وحانت فى العشرين من أغسطس ساعة العمل ، وكان الجنرال باتون قد عبر نهر السين على مقربة من سانت ووصل جناحه الايمن الى فونتبنلو ، وأعلنت الحركة السرية الفرنسية الثورة وأضرب رجال الشرطة وسيطر الوطنيون الفرنسيون على مراكز قيادة الشرطة ووصل أحد ضباط المقاومة الفرنسية الى مركز قيادة باتون حاملا تقارير هامة وقد نقلت هذه التقارير الى الجنرال أيزنهاور فى ليمانز ، كما التحقت الفرقة الفرنسية المدرعة الثالثة بقيادة الجنرال ليكليرك والتى كانت قد هبطت الى البر فى نورماندیا فى أول أغسطس بجيش الجنرال باتون . وأدت دورا مهما فى التقدم ووصل ديجول فى اليوم نفسه فأكد له القائد الأعلى للحلفاء ، أنه عندما يحين الوقت وطبقا للاتفاقات السابقة ، ستكون قوات ليكليرك أول القوات التي تدخل باريس ، وما أن وصلت الى أيزنهاور أنباء عن وقوع قتال فى شوارع العاصمة حتى قرر أن يعمل فورا وأصدر أمره الى ليكليرك بالزحف على باريس

وفى الرابع والعشرين من أغسطس تحرك الاندفاع الرئيسى بقيادة العقيد بيلونى من أورليان فى اتجاه باريس ، ووصلت طليعة الدبابات فى تلك الليلة بوابة أورليان ، ودخلت الى الساحة القائمة فى مدخل دار الأمانة ، وفى صباح اليوم التالى ، كانت قوات بيلونى المدرعة تحتل ضفتى السين وعند الظهر تم تطويق مقر قيادة الجنرال الالمانى فون شوليتز فى « قصر موريس » وجىء بفون شوليتز امام ليكليرك ، وكانت هذه خاتمة المطاف من دنكرك الى بحيرة تشاد فالوطن ثانية وتم التوقيع على شروط تسليم حامية المدينة ، ودخل ديجول فى السادس والعشرين من أغسطس العاصمة سيرا على قدميه الى الشانزليزيه ومنها الى ساحة الكونكورد حيث استقل ورفاقه السيارات صاعدين الى نوتردام ، وبعد فترة قصيرة جرى الاحتفال الرسمى بتحرير باريس وفقا للخطة الموضوعة .

وفى الثلاثين من اغسطس عبرت قواتنا نهر السين من عدة جهات وكانت خسائر العدو هائلة ، فقد بلغت اربعمائة ألف رجل وأكثر من نصفهم وقعوا فى الأسر ، وألفا وثلثمائة دبابة وعشرين ألف سيارة وألفا وخمسمائة مدفع ميدان ، وقد مزق الجيش الالمانى السابع وجميع الفرق التى أرسلت لنجدته وكتب الجنرال أيزنهاور فى تقريره الرسمى يقول : « لولا التضحيات العظيمة التى قدمتها الجيوش الانجليزية والكندية فى معارك كاين وفاليه الوحشية ، لما كان فى امكاننا أن نحقق الزحف الرائع بوساطة قوات الحلفاء الأخرى فى المناطق الثانية . »

تحرير ايطاليا والنزول فى الريفييرا

لما كان تحرير نورماندیا من الاحداث العظيمة في الحملة الاوروبية لعام ١٩٤٤ ، ولكنه لم يكن الا احدى الضربات الموجهة الى المانيا النازية ، وكان الروس في الشرق يتدفقون على بولندا والبلقان ، على حين كانت جيوش اليكساندر فى الجنوب « أى فى ايطاليا » تضغط فى اتجاه نهر البو ، فقد كان من المحتم الآن اتخاذ القرارات فى صدد حركتنا المقبلة فى البحر الابيض المتوسط ، وانه لمما أسجله مع المزيد من الأسف ، ان هذه القرارات تسببت فى أول خلافات مهمة فى الخطط الاستراتيجية العليا بيننا وبين حلفائنا الامريكيين .

من ذلك اننا كنا قد وعدنا بتنفيذ عملية « السيد الاكبر » وكانت مهمتنا الأولى هى انجاح تلك العملية ، ولما كنا لا نزال نحتفظ بقوات قوية فى البحر الابيض المتوسط ، فقد صممنا على أن تحتل هذه القوات روما ، التى كنا نحتاج الى مطاراتها لقصف المانيا الجنوبية ، وأن نتقدم فى شبه الجزيرة الى خط بيزا - ريمينى ، وأن نرغم هناك أكبر عدد من قوات العدو على البقاء ، كما كنا قد اتفقنا على عملية ثالثة وهى عملية النزول فى جنوب فرنسا ، وكان الخلاف يكاد ينشب على هذه العملية بالذات ، لأن الامريكيين كانوا قد أصروا على وجوب القيام بهجوم حقيقى تشنه عشر فرق على الاقل ، وقد أيدهم ستالين فى هذا الرأى ، وقد اضطررت لقبول هذا الرأى لكى أمنع تحويل هذه القوات الى بورما .

وهكذا فقد كان سقوط روما شرطا أساسيا للقيام بعملية « السندان » وأيضا فى الوقت نفسه تبدأ عملية « السيد الاكبر » والى أن يتحقق ذلك لم يكن فى وسع اليكساندر الاستغناء عن أى جزء من قواته .

ومع هذا فقد أخذنا عددا من أحسن فرقنا فى ايطاليا للاشتراك فى عملية « السيد الاكبر » الرئيسية ، قبل انتهاء عام ١٩٤٣ ، ولهذا فقد لحق الضعف بقوة الجنرال اليكساندر ، على حين تقوى كيسلرنج ، حيث بعث الالمان بنجدات الى ايطاليا فأوقفت احتلال انزيو ، كما أخرت دخولنا روما حتى قبيل يوم الغزو فى نورمانديا ، وأدى هذا القتال غير الحاد الى اشغال عدد مهم من قوات العدو الاحتياطية كان فى الامكان نقلها الى فرنسا ، مما ساعد عملية السيد الاكبر فى مراحلها الحرجة المبكرة ، ومهما يكن ، فان تقدمنا فى البحر الابيض المتوسط قد اضطرب الى حد كبير ، ولهذا فقد بعث الجنرال ولسون فى الحادى والعشرين من مارس يقول : « ان عملية (السندان) لايمكن القيام بها قبل نهاية يوليو ، ثم عاد فأجل الموعد الى منتصف شهر

أغسطس ، وأعلن أن خير طريقة لمساعدة عملية « السيد الاكبر » تقوم على التخلى عن مهاجمة الريفييرا والتركيز على ايطاليا .

وعند ما سقطت روما فى الرابع من يونيو ، تحتم علينا اعادة النظر فى المشكلة قبل أن تبدأ عملية « السندان » .

وكان من رأى الجنرال أيزنهاور تقوية الهجوم على شمال غربى اوروبا بجميع الوسائل والامكانيات المتيسرة ،ووافق رؤساء اركان الحرب الامريكيون ايزنهاور على خطته . كما ايدهم الرئيس روزفلت وقال ان التقدم تجاه ممر بوبليانا قد يشغل عددا من الفرق الالمانية ولكنه لا يؤدى الى سحب اى منها من فرنسا وحث على ضرورة القيام بعملية السندان على حساب جيوشنا فى ايطاليا ، الا ان رؤساء الاركان البريطانيين اتخذوا موقفا مغايرا تماما ، وكانوا يفضلون ان يرسلوا قوات من ايطاليا بطريق البحر الى ايزنهاور بدلا من النزول فى الريفييرا ، كما اعلنوا ان القيام بعملية « السندان »ستؤثر على القوات الباقية لدى الجنرال اليكساندر ، بحيث لا يمكنه القيام بأى نشاط جديد .

ولما لم يكن فى الامكان التوفيق بين هذه الآراء التى يتمسك بها كل من الفريقين ، فقد ابرقت الى الرئيس فى الثامن والعشرين من يونيو أقول : « ان هذه الأزمة بين رؤساء أركان حربنا كفيلة بأن تؤدى الى أخطر النتائج ، وغايتنا الاولى هى مساعدة الجنرال أيزنهاور بأسرع ما يمكن ، ولكننا لا نعتقد ان تحقيق هذه الغاية ينطوى بحكم الضرورة على تدمير جميع الجهود العظيمة التى قمنا بها فى البحر الابيض المتوسط تدميرا كاملا ، وانى لارجو رجاء حارا ان تدرس هذه القضية بنفسك دراسة تفصيلية كما ارجو ان تتذكر حديثك معى فى طهران عن موضوع ايستريا » .

وكان رد المستر روزفلت مقتضبا وجافا ، فقد كان مصمما على استقلال عملية « السيد الاكبر » الى اقصى حدود الاستقلال ، وتحقيق تقدم فى ايطاليا مع القيام بهجوم مبكر على جنوب فرنسا ، وقد ايد ستالين نفسه عملية « السندان » وقال ان العمليات الاخرى فى البحر الابيض المتوسط ليست بذات اهمية ، ولذا فقد اعلن روزفلت انه لا يستطيع أن يتخلى عن هذه العملية ، وأضاف يقول :

« ان اهتمامى وامانى يتركزان على هزيمة الالمان امام ايزنهاور وانا واثق بأنه ستتوافر لنا فى ايطاليا حتى بعد سحب القوات اللازمة بعملية « السندان » الموارد الكافية لمطاردة كيسلرنج الى الشمال من خط بيرزا — ريمينى ، والضغط الشديد على جيشه لارغامه على الاحتفاظ بقواته الراهنة هناك ، كما أننى لا أستطيع أن أقتنع بأن الالمان سيدفعون الثمن بزج عشر فرق اضافية بقصد الاحتفاظ بشمال ايطاليا كما يقدر الجنرال ويلسون .

كما انه فى وسعنا ان نسحب فورا كما يؤكد الجنرال ويلسون خمس فرق : ثلاث منها امريكية وفرقتان فرنسيتان من القوات العاملة فى ايطاليا حاليا لتقوم بعملية « السندان » ، وستؤيد من الاحدى

والعشرين فرقة الباقية بالاضافة الى عـــدد من الالوية المتفرقة للجنرال اليكساندر تفوقه البرى .

ولكن اعتراضات المستر روزفلت على النزول فى شبه جزيرة ايستريا والاندفاع نحو فيينــا عن طريق ممر بوبليانا ، قـد اقامت الدليـل على تزمت الخطط العســكرية الامريكية وعدم مرونتها من ناحيــة وعلى شكوكه فيما سماه بحملة « فى البلقان » من ناحية اخرى ، وادعى ان اليكساندر وسمطس ، اللذان يؤيدان وجهة نظرى « لعدة أسباب طبيعية وانسانية للغاية » يميلان الى تجاهل اعتبارين حيويين للغاية اولهما ان العملية تمس « الاستراتيجية العظمى » وثانيهما ، انها قد تطـول الى حد كبير ، واننا قد لا نستطيع توزيع أكثر من ست فرق من فرقنا ، وكتب يقول : « لا أستطيع الموافقة على استخدام القوات الامريكية ضد ايستريا وفى طريق البلقان ،كما لا استطيع أن ارى الفرنسيين يوافقون على اســتخدام قواتهم فى مثل هذه الخطة ، كما لا استطيع ايضا ان أصمد لاعتبارات ســياسية لاية « صــدمة » قد تصيبنا فى عملية « الســيد الاكبر » ولا سيما اذا عرف « اننا قد حولنا قوات ضخمة الى حد ما الى البلقان .

لكننى على كل حال قررت الاذعان مؤقتا ، واصــدرت امرى فى الثانى من يوليو الى الجنرال ويلسون ، باعداد العدة لشن هجوم على جنوب فرنسا فى الخامس عشر من شهر اغسطس ، وقد بدأت الاعدادات فورا ،وهنا يجب على القارىء أن يعلم اننا بدلنا اسم عملية «السندان» « بعملية التنين » مخافة ان يكون العدو قد فهم معنى الكلمة الاولى .

وعندما وقع تبدل ملحوظ فى ميادين القتال فى نورماندیا فى اوائل شــهر اغسطس ، وكانت هناك تطورات كبيرة متوقعة ، فقد قمت فى السابع من الشهر بزيارة الجنرال ايزنهاور فى مقر قيادته على مقربة من بورتسماوث وبسطت له آخر أمل لى فى وقف الهجوم على جنوب فرنسا .

لكننى لم استطع زحزحته عن موقفه او التأثير عليه ، وقد تلقيت فى اليوم التالى برقية من الرئيس يقول فيها : « لقد تبينت بعد الدرس ان علينا ان نشن عملية « التنين » طبقا لخططنا السابق فى اسرع وقت ممكن ، ولى كل الثقة فى نجاح العملية ،لانها ستكون عونا كبيرا لايزنهاور فى طرد الالمان من فرنسا .

ولذلك قررت فى الحــال ان اذهب الى ايطــاليا « لأرى القادة والجنود ، كما كنت شديد الرغبة للقاء تيتو ، الذى كان فى امكانه أن يأتى بسهولة الى ايطاليا من جزيرة فيز ، التى كنا نتولى حمايته فيها ، كما كان فى وســع المسيو باباندريو رئيس وزراء اليونان وبعض زملائه الآخرين ان يفدوا من القاهرة ، لكى نضــع معهم الخطط لمساعدتهم فى العودة الى اثينا ، عندما يبارحها الألمان ، ولما وصلت الى نابولى بعد ظهر الحــادى عشر من اغسطس اوضح لى الجنرال ويلسون ان الترتيبات قد اتخذت لعقد مؤتمر فى الغد بين تيتو وسوباجيك رئيس وزراء حكومة

الملك بطرس الجديدة فى لندن ، وكان الرجلان قد وصلا الى نابولى فعلا .

هذا وقد اجتمعت بالماريشال تيتو فى المكان الذى انزل فيه فى غرفة كبيرة تملأ جدرانها خرائط جبهات القتال وبعد ان تحدثنا طويلا، اشرت الى شبه جزيرة ايستريا على الخريطة ،فأيد الماريشال مشروعنا بمهاجمتها ووعد بتقديم كل عون ، واتفقنا على بذل كل جهد ممكن لتقوية يوغوسلافيا حربيا ، وعلى رأب الصدع بينه وبين الملك بطرس.

وبعد ذلك طرت الى جزيرة كورسيكا فى اليوم الرابع عشر من أغسطس ، لمشاهدة عملية انزال القوات فى الريفيرا ، وأرى لزاماً على أن ادون هنا باختصار كل ما حدث :

فقد تم تأليف الجيش السابع بقيادة الجنرال باتسن للقيام بالهجوم وكان يضم سبع فرق فرنسية وثلاث فرق أمريكية مع فرقة أخرى من البريطانيين والأمريكيين الذين نقلوا بالطائرات ، تؤيدها نحو ستبوارجوواحد وعشرينطرادا ومائةمدمرة ،وكانتفوقنا الجوىكبيرا ، كما كان هناك نحو خمسة وعشرين الف فرنسى مسلح من قوات المقاومة فى جنوب فرنسا على استعداد للثورة ، وبدأ الهجوم فى صباح الخامس عشر من اغسطس بين كان وهايير ، وكانت الخسائر طفيفة نسبيا ، ولم يأت اليوم الثامن والعشرون من اغسطس حتى كان الامريكيون قد تجاوزوا فالانس وجرينوبل ، ولميبذل العدو اية مقاومة جدية لوقف الزحف ، وكانت قوة الحلفاء الجوية تنزل بالألمان أفدح الخسائر وتحطم مواصلاتهم ، على حين كانت مطاردة ايزنهاور لهم من نورماندیا مستمرة ولا سيما بعد أن وصلت قوات الحلفاء الى نهر السين عند فونتنبلو فى العشرين من اغسطس ، وبعد خمسة ايام كانت قواتنا قد تجاوزت ترويبه ، وكانت العناصر الباقية من الجيش الالمانى التاسع عشر قد اخذت تتراجع تاركة وراءها نحو خمسين الف اسير فى أيدينا ، كما تم احتلال ليون فى اليوم الثالث منسبتمبر ، وبيزانسون فى الثامن منه ، كما حررت قوات المقاومة ديجون ، وبذا قد تلاقت قوات « السيد الاكبر » و « التنين » فى اليوم الثامن من سبتمبر فى بلدة سوميرنون ، وقد تم فى المثلث الواقع فى جنوب فرنسا الغربى عزل بقايا الجيش الالمانى الأول وعددها عشرون الفجندى استسلموا بدون مقاومة ، الا اننا دفعنا فى مقابل ذلك ثمنا باهظا للغاية .

هذا وقد بعثت الى الرئيس من نابولى البرقية التالية لانبئه عن حقيقة الموقف بشكل لا لبس فيه :

« ان احاديثك الى فى طهران عن ايستريا لا تغيب عن بالى قط ، وانى لواثق من أن وصول جيش قوى الى تريستا وايستريا فى مدى اربعة اسابيع او خمسة سيكون له اثر بالغ الاهمية ، ولا ريب فى ان جماعة تيتو سيكونون فى انتظارنا فى ايستريا ، وليس فى وسعى أن اتصور ماذا سيكون عليه موقف المجر اذ ذاك . ولكننا سنكون على الأقل فى وضع يمكننا من استغلال الأوضاع العظيمة » .

وبعد عودتى للوطن تلقيت الرد التالى من الرئيس روزفلت :

« اننى أشاطرك الثقة فى أن قوات الحلفاء فى ايطاليا كافية لأداء المهمة الملقاة عليها ، وان قائد المعركة سيواصل الضغط بقوة وعزم مستهدفا تحطيم قوات العدو ، .. اما بالنسبة الى استخدام قواتنا الموجودة فى ايطاليا فى المستقبل ، فهذه مسألة يمكننا بحثها فورا ، وبالنظر الى أوضاع الفوضى التى تسود الالمان فى جنوب فرنسا ، فانى آمل ان تتصل قواتنا فى الشمال والجنوب فى وقت اسرع مما كان منتظرا فى السابق .

وسنرى ان هذين الاملين لم يتحققا لأن الجيش الذى انزلناه فى الريفيرا والذى كلفنا انزاله هذا الثمن الباهظ بالنسبة الى عملياتنا في ايطاليا ، وصل متأخرا للغاية ، وبذلك لم يستطع أن يقدم العون لصراع ايزنهاور الرئيسى فى الشمال ، وفى الوقت نفسه منى جيش اليكساندر بالفشل بعد أن كاد ينجح ، مما سبب تأخير تحرير ايطاليا ثمانية اشهر ، كما حيل بيننا وبين زحف جناحنا الايمن فى اتجاه فيينا ، وباستثناء ما حققناه فى اليونان ، فان قدرتنا العسكرية على تحرير جنوب اوروبا الشرقى قد ضاعت وتلاشت .

ولما كان كيسلرنج قدتلقى نجدات جديدة حتى اصبح عددالقوات الالمانية العاملة تحت امرته ثمانيا وعشرين فرقة كما تمكن من تجميع فرقتين جاء بهما من قطاعين هادئين وشرع فى هجمات مضادة ، اذا اضيفت الى مشكلات تموييننا فوق الممرات الجبلية ووعورة الارض ، فقد اثمرت فى وقف زحفنا ، الا انه على الرغم من الخسائر الفادحة التى منينا بها فقد تحقق لنا بعدها الظفر ،وبدأ المستقبل زاهيا مشرقا، لأن جيوش الحلفاء فىايطاليا ظلت تواصل الضغط لكى تحول بينالعدو وبين وصول المساعدات اليه ،ولكنه بعد منتصف شهر نوفمبر استحال علينا القيام بأى هجوم رئيسى ، ولم تستطع جيوشنا تحقيق النصر الذى تستحقه والذى كادت تحصل عليه فى الخريف الا عندما حل الربيع الجديد .

انتصار الروس فى بولندا واحتلالها

كان النضال الروسى يفوق فى نطاقه الى حد كبير جميع العمليات العسكرية التى سردتها فى الفصول السابقة ، ولما كان العدو قد منى بنكسات متتالية فى مطلع شتاء عام ١٩٤٣ ، فقد صمموا على الا يتيحوا له فرصة للاستراحة ، حتى أنهم فى منتصف شهر يناير سنة ١٩٤٤ شنوا عليه هجوما فى جبهة طولها مائة وعشرون ميلا تمتد من بحيرة ايلمان الى لينينجراد وتمكنوا من اختراق الخطوط الدفاعية التى أقامها العدو أمام المدينة والى الجنوب من هذه الجبهة ، كما أنهم صدوه فى نهاية شهر فبراير الى شواطىء بحيرة بيبوس ، بعد ان تحررت لينينجراد نهائيا، وقد أصبح الروس بهذا الانتصار يقفون على حدود دول البلطيق كما ارغموا الالمان أيضا على التراجع من غرب كييف الى حدود بولندا ، كما واصلوا طيلة شهر مارس ضغطهم على طول الجبهة ، حتى ارغموا العدو على التراجع من جومر الى البحر الاسود ، ولم يتوقف هجوم الروس حتى تم دحر الالمان وتحطيم الجيش السابع عشر واسترداد ساستبول .

وقد أثارت هذه الانتصارات العظيمة قضايا ذات أهمية بالغة وخصوصا بعد أن أطل الجيش الاحمر الآن على أواسط أوروبا وشرقها كما أثارت كثيرا من التساؤلات ، عن مصير بولندا والمجر ورومانيا وبلغاريا واليونان أيضا التى ضحينا من أجلها بالكثير وعملنا المستحيل لمساعدتها وهل ستدخل تركيا الحرب الى جانبنا ؟ وهل ستحاط يوغسلافيا بالفيضان الروسى ؟ ولما كانت أوروبا قد بدأت تتطور بعد الحرب ، فقد أصبح من الضرورى اعداد ترتيب سياسى سريع بالنسبة لها مع السوفيت

لذلك فقد قام السفير السوفيتى فى لندن بزيارة وزارة الخارجية فى الثامن عشر من مايو للبحث فى الاقتراح الذى كان المستر ايدن قدمه للسوفيت وذكر فيه أن فى وسع الاتحاد السوفيتى أن يعتبر المشكلات الرومانية مؤقتا من القضايا الخاصة به ، على ان يترك مشكلات اليونان لنا لنعالجها ، ولما كان الروس على استعداد لقبول هذا الاقتراح ، فقد أرادوا أن يعرفوا اذا كنا قد استشرنا الولايات المتحدة بخصوصه فاذا اتضح اننا استشرناها فليس لديهم مانع من الموافقة عليه ، ولذلك فقد بعثت فى الحادى والثلاثين من مايو ببرقية الى المستر روزفلت قلت فيها :

« آمل فى ان تتمكن من ان تمنح هذا الاقتراح بركتك ، ونحن بالطبع لا نريد تقسيم البلقان الى مناطق نفوذ ، وعند الموافقة عليه ، يجب ان توضح تماما ، انه لا ينطبق الا على أوضاع الحرب ، والا يؤثر على حقوق الدول العظمى الثلاث ومسئولياتها ، التى ستمارسها فرادى فى أية تسوية سلمية بالنسبة الى أوروبا كلها ، كما ان هذا الترتيب لا يؤثر

على كل حال ، على التعاون الراهن القـــائم بيننا وبينكم ، فى تخطيط سياسة الحلفاء تجاه هذه الدول وتنفيذها ، ونحن نشعر أن هذا الترتيب المقترح ، سيكون وسيلة نافعة فى الحيلولة دون أى خلاف فى السياسة بيننا وبينهم فى البلقان »

وقد أثار هذا الاقتراح أعصاب المستر هل وزير الخارجية الامريكية لانه كان لا يوافق على ايجاد مناطق نفوذ لاى كان ولا حتى قبول فكرتها، ولذلك فقد أبرق الرئيس الى فى الحادى عشر من يونيو يقول :

« نحن نقر باختصار ، بأن من حق الحكومة العسكرية المسئولة فى أى أرض أن تتخذ القرارات التى تتطلبها التطورات العسكرية ، ولكننا على يقين من ان مثل هذا الاتفاق المقترح ، سيقوى الميل الطبيعى لتوسيع هذه القرارات لتشمل آفاقا أخرى غير عسكرية ، كما أنه سيؤدى حتما الى أشتداد الخلاف بينكم وبين الروس، بسبب تقسيم منطقة البلقان الى مناطق نفوذ ، على الرغم من التصميم المعلن لان يكون هذا فى نطاق المسائل العسكرية فقط ، كما اننا نعتقد أن المحاولات يجب أن تبذل عوضا عن ذلك ، لاقامة جهاز استشارى يتولى ازالة سوء التفاهم ، والحد من الاتجاه الى تنمية مناطق النفوذ الخاصة »

وقد ازعجتني هذه الرسالة ، فبعثت الى الرئيس فى اليوم نفســه أقول : « ان العمل سيقف تماما اذا تحتم على كل إنســـان أن يستشير الآخر فى كل موضوع أو اجراء قبـــل اتخـــاذه ، فالاحداث فى البلقان ستسبق فى سرعتها دائما الاوضاع المتغيرة فى المنطقة ، ويجب أن يكون هناك من يملك سلطة التخطيط والعمل ، أما قيام لجنة استشـــارية فسيكون بمثابة عائق ، نتخطاه دائمـــا فى حالات الطوارىء ، عن طريق الاتصال المباشر بينى وبينك أو بين كل منا وبين ستالين ·

ولننظر الآن الى ماوقع فى عيد الفصح ، لقد تمكنا من السيطرة على الوضع بالنسبة لتمرد القوات اليونانية طبقا لآرائك الشخصية ، لاننى كنت قادرا على اصدار الاوامر الدائمة الى القواد العسكريين الذين كانوا فى البداية يؤيدون فكرة الصـــلح والتفاهم ، ويعارضـون فى استخدام القوة ، أو حتى فى مجرد التهديد باستخدامها ، وقد تحسن الوضع فى اليونان تحسنا كبيرا. ، كما ان الروس على استعداد للسماح لنـــا بتولى الشئون اليونانيـــة ، وهذا يعنى أن في امكان جيوش اليونان الوطنية نفسها أن تسيطر على جبهة التحرير الوطنيـــة وعلى كل ما تبينته من النوايا السيئة ، واذا كان من المحتم علينا فى مثل هذه المصـــاعب ان نستشير دولا أخرى ، وان يجرى تبـــادل البرقيات بشكل ثلاثى أو رباعى ، فان النتيجة الوحيدة لمثل هذه الحالة أن تســـود حالة الفوضى والعجز ·

ويبدو لى أنه بالنظر الى اعتزام الروس القيام بغزو رومانيا بقوات كبيرة والى رغبتهم فى مساعدتها على استعادة جزء من تراتسلفانيا من المجر ، على شرط أن يبدى الرومانيون اخلاصا لمجهودها ، وهو ما قد

يفعلونه ، فأن من الخير أن نحذو حذو السوفيت ، ولا سيما ، أنه لا يوجد لنا أو لكم أية قوات هناك ؛ وان فى وسعهم تحقيق ما يريدون هناك على أى حال ، ولهذا فانى اقترح بأن توافق على تجربة الترتيبات التى حددتها فى رسالتى فى الحادى والثلاثين من مايو لمدة ثلاثة أشهر ، على أن تعود الدول العظمى الثلاث الى اعادة النظر فيها بعد انتهاء هذه المدة . »

وقد وافق الرئيس على هذا الاقتراح فى الثالث عشر من يونيو ، ولكنه أضاف يقول ، انه يجب علينا ان نحرص أشـــد الحرص على ان نوضح بكل جلاء اننا لا نقيم فى عملنا هذا مناطق للنفوذ ، وقد وافقتـه على رأيه وبعثت اليه بالرد التالى :

« اننى شاكر لكم أجزل الشكر ، وقد طلبت الى وزير الخارجية ان ينقل هذه المعلومات الى مولوتوف ، وان يوضح له ان السبب الذى حملنا على تحديد فترة الاشهر الثلاثة ، هو رغبتنا فى ألا يكون هناك أى مجال للتفكير بأننا نعنى اقامة مناطق نفوذ لما بعد الحرب »

وقد أبلغت هذا لوزارة الحرب ، واتفق على أن يقوم وزير الخارجية بابلاغ الحكومة السوفيتية موافقتنا على هذا الاقتسام العام للمسئولية ، وتم تنفيذ ذلك فى التاسع عشر من يونيو ، لكن الرئيس لم يكن مرتاحا للطريقة التى عملنا بموجبها ، فقد تلقيت منه رسالة يقول فيها :

« لقد أزعجنا ، أن يقوم رجالك بالتحدث الينا فى هذا الموضوع بعد ان تم الاتفاق عليه مع الروس »

ولما كانت رسالته هذه تفيض بالالم وفيها معنى التأنيب فقـــد أرسلت اليه الرد التالى :

« ان روسيا هى الدولة الوحيدة التى تستطيع ان تفعل شـــيئا فى رومانيا كما يقع العبء اليونانى من الناحية الاخرى على كاهلنا ، وقد حملنا هذا العبء منذ ان خسرنا نحوا من أربعين الف رجل فى محـاولة غير مجدية لمساعدة اليونان فى عام ١٩٤١ ، بالاضـــافة الى انكم قد سمحتم لنا بأن نعمل ما نريد مع تركيا ، ومع ذلك فقد كنا نستشيركم دائما فى القضايا السياسية ، واعتقد اننا كنا على اتفاق بصدد الاتجاه الذى نسير فيه ، وقد يكون من السهل على ان انزلق من ناحية المبادىء العامة الى اليسار ، وهو ما غدا مألوفا الآن فى السياســة الخارجية ، وأن أسمح للامور بأن تسوء ، فيجد ملك اليونان نفسه مضطرا للنزول عن العرش وتفرض جبهة التحرير الوطنى حكما من الارهاب فى البلاد ، مرغمة القرويين وغيرهم من أبناء الطبقات الاخرى على تأليف أفواج للسلامة والامن تحت اشراف الالمان لمنع البلاد من الوقوع فى الفوضى ، والطريقة الوحيدة التى تمكننى من الحيلولة دون ذلك هى اقناع الروس بأن يوقفوا دعمهم لجبهة التحرير ودفعهم للامام بكل مالديهم من قوة ، كما قمت أيضا بالاجراءات اللازمة لأحقق وحدة يوغسلافيا ، بالجمع بين قوات تيتو وقوات الصربيين مع جميع من يؤيد الحكومة الملكية التى اعترفنا بها معا ، وكنا نطلعك فى كل مرحلة على الطريقة التى حملنا بها هذه

الاعباء الثقيلة التي نتحملها الآن وحدنا ، وليس أسهل هنا أيضا من القذف بالملك وحكومته الى الذئاب تنهشهما ، ومن السماح للحرب الاهلية بأن تندلع في البلاد ، مما يثلج صدور الالمان ، وانني أجاهد لاستخلص النظام من الفوضى في كل من البلدين ، ولاركز كل الجهود على مقارعة العدو المشترك ، كما انني أواصل اطلاعك على كل ما أعمله ، وكل أملي في ان أنال ثقتك ومساعدتك في الميادين كلها . »

وجاء هذا الرد من الرئيس روزفلت لكي يضع حدا لهذا الجدل بين الاصدقاء :

« يبدو لي ان كلا منا قام متهاونا يعمل من جانب واحد في اتجاه نتفق معا الآن على انه نافع ومفيد ، ومن المهم ان نكون متفقين دائما في جميع القضايا التي تتعلق بمجهودنا الحربي »

وقد رددت عليه أقول : « في وسعك ان تثق في انني سأتطلع دائما الى الاتفاق معك حول جميع الأمور قبل العمل وفي أثناء القيام به وبعده »

ومع ذلك فقد ظلت المتاعب تترى ، فعندما أدرك ستالين الشكوك الامريكية في الموقف ، أصر على استشارتهم مباشرة ، ولم نتمكن في النهاية من الوصول الى اتفاق أخير حول تقسيم المسئوليات في البلقان ، كما بعث الروس في أوائل شهر أغسطس بطريق التهريب بعثة من ايطاليا الى جيش التحرير اليوناني (ايلاس) المنبثق من جبهة التحرير الوطني والذي يعمل في شمالي اليونان ، وعلى ضوء تردد الحكومة الامريكية وسوء نية الروس ، تخلينا عن محاولتنا للوصول الى تفاهم كلي ، الى أن التقيت بستالين في موسكو ، بعد مضي شهرين ، وتمت في اثنائها أمور كثيرة في الجبهة الشرقية .

ففي فنلندا اقتحمت جيوش سوفيتية خط مانرهايم وأعادت فتح السكة الحديدية بين لينينجراد ومورمانسك ، واجبروا الفنلنديين قبل نهاية شهر أغسطس على طلب الهدنة ، وبدأ هجومهم الرئيسي على الجبهة الالمانية في الثالث والعشرين من يونيو ، ولم تحل نهاية يوليو حتى كانت الجيوش الروسية قد وصلت الى نهر النيمن بين جوردنو وكوفينو ، أما الخسائر الالمانية فكانت ماحقة ، اذ زال من الوجود نحو من خمس وعشرين فرقة المانية ، كما تم تطويق عدد مماثل في كورلاند ، وفي السابع عشر من يوليو ، مر في شوارع موسكو سبعة وخمسون ألف أسير الماني الى جهة لا يعلمها الا الله .

كما أنه وقع في الثالث والعشرين من أغسطس انقلاب عسكري في بوخارست أعده الملك الشاب ميخائيل وقد اخلصت الجيوش الرومانية أشد الاخلاص لملكها ، اذ لم تمض ثلاثة أيام حتى كان قد تم نزع سلاح القوات الالمانية التي لم تنسحب في اتجاه الحدود الشمالية وجلا الالمان عن بوخارست في الاول من سبتمبر ، ولما دخلت الجيوش الروسية رومانيا اكتسحت البلاد بأكملها واستسلمت الحكومة الرومانية ، وكذلك تم

اخضاع بلغاريا ، كما انتشرت الجيوش الروسـيـة غربا ، فزحفت من وادى الدانوب مخترقة ترانسلفانيا وجبال الالب فى اتجاه الحدود المجريه على حين كان جناحها الايسر قد اصطف على حدود يوغسلافيا للزحف غربا فى اتجاه فيينا .

أما فى بولندا فقد وقعت مأساة تتطلب منهـا شرحا أوفى : ففى نهاية شهر يوليو ، وقفت الجيوش الروسية أمام نهر الفستولا ، وكانت جميع الدلائل تشير الى أنه لن يمضى وقت طويل حتى تكون بولندا بأسرها فى ايدى الروس ، وتحتم على قادة جيش المقاومة السرية البولندية وهم الذين يدينون بالولاء لحكومه بولندا التى فى لندن ، ان يقرروا موعـد القيام بثورة عامة ضد الالمان للاسراع فى تحرير بلادهم ، وقد خولت حكومة لندن القائد العام الجنرال بور ـ كوموريسكى تحديد موعد الثورة واعلانها ، وبدأت الفرصة مواتية فعلا ، عندما حملت الانباء فى العشرين من يوليو قصة المؤامرة على هتلر ، وقد تبعها بسرعة اختراق الحلفاء لجبهة نورماندیا ، كما عبر الروس نهر الفستولا فى اليوم نفسـه واندفعت دورياتهم الامامية فى اتجاه وارسو ، ولم يبق أى شك فى ان الالمان باتوا على وشك الانهيار العام .

ولذلك فقد قرر الجنرال بور تبعا لذلك القيام بثورة عامة وتحرير العاصمة وكان لديه أربعون الف رجل ، وتألفت فى الوقت نفسه لجنـة شيوعية لتحرير الوطن فى شرقى بولندا ، وفى التاسع والعشرين من شهر يوليو ، وجه الحزب الشيوعى البولندى نداء من اذاعة موسـكو الى أهالى وارسو ، يطلب اليهم أن يشتبكوا مع الألمـان الآن ، وكانت الدبابات الروسـيـة قد اخترقت خطوط الالمان الدفاعية الى الشرق من العاصمة ، كما أصبحت الجيوش الروسـيـة على بعد عشرة أميال من المدينة ، فلم يمض أكثر من خمس عشرة دقيقة على نشوب الثورة حتى كانت المدينة كلها قد اشتبكت فى معركة ضارية ، وهكذا بدأت معركة المدينة .

ولما وصلت الانباء الى لندن فى اليوم التالى ، أخذنا ننتظر بلهفة وقلق المزيد منها ، وقد سكتت الاذاعة السوفيتية وتوقف النشاط الجوى الروسى عندما شرع الالمان فى الرابع من أغسطس يهجمون من المراكز المنيعة داخل العاصمة ومن ضواحيها وأصبح الثائرون يواجهـون الآن خمس فرق المانية حشدت فى المنطقة بصورة عاجلة ، كما جيء بفرقة هيرمان جورنج أيضا من ايطاليا وبفرقتين من رجال الحرس فيما بعد .

فأبرقت الى ستالين أقول :

« تلبية لنداء عاجل من الجيش السرى البولندى ، قررنا أن ننزل ـ اذا ساعدتنا الأحوال الجوية ـ نحو ستين طنا من المعدات والذخائر فى الاحياء الغربية الجنوبية من وارسو ، حيث يقال : ان الثورة البولندية تشتبك مع الالمان فى قتال عنيف ، وهم يطلبون فى الوقت نفسه المساعدة الروسية التى تبدو قريبة منهم .

وقد تلقيت من ستالين ردا جافا يقول فيه :

«تسلمت رسالتك ، واعتقد أن المعلومات التى نقلها اليك البولنديون مبالغ فيها كل المبالغة ، ولا توحى بالثقة مطلقا ، لانه ليس لديهم مدافع ولا دبابات ولا طائرات ، ولا أستطيع ان أتصور كيف يمكن هذه الفصائل أن تستولى على وارسو التى حشد الالمان للدفاع عنها أربع فرق من فرق الدبابات بينها فرقة هيرمان جورنج ؟ »

هذا وقد استدعى فيشنسكى ليلة السادس عشر من أغسطس سفير الولايات المتحدة فى موسكو لزيارته ، وأوضح له « انه رغبة منه فى تجنب أى احتمال لسوء الفهم ، يود ان يتلو على مسامعه البيان المذهل التالى :

« لا تستطيع الحكومة السوفييتية بالطبع ان تعترض على قيام الطائرات الانجليزية او الأمريكية بالقاء السلاح على مقاطعة وارسو اذ أن هذا الأمر يهم الأنجليز والأمريكيين وحدهم ، ولكن الحكومة السوفييتية تعارض مصرة فى هبوط الطائرات الأمريكية أو الانجليزية بعد القائها الاسلحة على وارسو فى الأراضى السوفييتية وذلك لأن الحكومة السوفييتية لا تريد أن ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة « بمغامرة وارسو » .

وبعد مضى أربعة أيام بعثت هذا النداء المشترك بالاتفاق مع الرئيس روزفلت الى ستالين :

« اننا نفكر فى الرأى العام العالمى ، وما سيلحق به من صدمة ، اذا تخلينا عمليا عن المكافحين ضد النازية فى وارسو ، وأعتقد أن من واجبنا نحن الثلاثة ان نبذل كل ما فى وسعنا لانقاذ أكبر عدد ممكن من أرواح الوطنيين فيها ونحن نأمل انك ستلقى المساعدات والذخائر من الجو على الوطنيين البولنديين فى وارسو أو أنك ستوافق على مساعدة طائراتنا فى اداء هذا العمل بكل الطرق الممكنة ولا ريب فى ان عامل الوقت مهم للغاية .

وكان هذا هو الرد الذى تلقيناه منه :

« تلقيت رسالتك التى اشتركت فيها مع المستر روزفلت بصدد وارسو وواجب أن أوضح آرائى تمام الايضاح :

ستعرف هذه الحقيقة ان عاجلا أو آجلا ، عن تلك المجموعة من المجرمين الذين شرعوا فى مغامرة وارسو ، رغبة منهم فى اغتصاب السلطة ، وقد استغل هؤلاء المجرمون سذاجة أهل وارسو وحسن نواياهم ، فقذفوا بالعزل من أهلها أمام دبابات الألمان ومدافعهم وطائراتهم ، وقد نشأ وضع لا يخدم البولنديين لتحرير وارسو ، بل يخدم الهتلريين الذين يقتلون أهل وارسو بصورة وحشية .

وكان هذا الوضع الناشىء ضارا بالجيش الاحمر من الناحية العسكرية بقدر ما هو ضار بالبولنديين أنفسهم ، لانه وجه اهتمام

الألمان بشكل متزايد نحو وارسو ، وقد واجهت القوات السوفييتية هجمات ألمانية مضادة وهى تقوم ببذل كل ما فى وســعها لتحطيم هذه الهجمات التى يقــوم بها الهتلريون ، وليس ثمة شــك فى أن الجيش الأحمر سيحطم الألمان ويحرر المدينة لأهلها ، وسيكون هذا العمــل خير مساعدة فعالة يمكن الجيش الاحمر أن يقدمها الى البولنديين »

وكانت معركة وارسو قد وصلت فى هذه الأثناء الى ذروتها حيث صب رجال الدبابات جام غضبهم وسخطهم ومرارة خيبتهم على الابنية المجاورة لهم ، فأشعلوا فيها النيران كما أشعلوا النار فى جثث الموتى التي تملأ الشوارع ، كما دفن بعضهم فى حــدائق البيوت الخلفيــة والساحات العــامة ، وصارت المواد الغذائية قليلة ولــكن المدينة لم تصل الى حد المجاعة ، وقد جف الماء فى الانابيب ، وضاعف اسقاط المؤن من الجو من رفع الروح المعنوية لدى الاهالى وشد من عزائمهم .

وكنت آمل أن يساعدنا الأمريكيون فى اتخاذ عمل جذرى ، ولكن المستر روزفلت عارض فى ذلك

ولما كانت قضية وارسو من الأهمية بمكان عظيم فقــد اجتمع مجلس وزرائنا ليلة الرابع من سبتمبر ، لبحثها ، وكنت أود ان أقول للروس : « اننا نعتزم أرسال طائراتنا للهبوط فى أراضيكم ، بعــد القاء حمولتها فى وارسو ، فاذا أسأتم معاملتها فســنوقف ارســال قوافلنا اليكم منذ هذه اللحظة »

ولا ريب اننا لو كنا اتخذنا هذه الخطوة لكانت مجدية ، فقد كنا نتعامل مع رجال فى الكرملين تتحكم الأرقام فى أعمالهم دون عواطفهم وكان وقف القوافل عنهم فى هـــــذه اللحظة الحرجة من زحفهم العظيم كفيلا بأن يترك فى عقولهم آثارا لا تقل عمـــا تتركه اعتبارات الشرف والانسانية والايمان الكريم فى النــاس العاديين الآخرين ، ولهذا فقد بعثت وزارة الحرب بالبرقية التالية الى ستالين ، وكانت هذه هى الخطوة المثلى التى رأينا من الحكمة القيام بها .

« تود وزارة الحرب من الحكومة السوفييتية ان تعلم أن الرأى العام فى هذه البلاد متأثر أعمق التأثر بالاحداث الجارية فى وارســو ، وبالآلام المرعبــة التى يتحملها البولنديون ، ومهما كانت الاخطاء التى ارتكبت فى بداية الثورة فى وارسو ، صحيحة او غير صحيحة ، فان شعب وارسو نفسه لا يمكن أن يعتبر مسئولا عن القرار الذى اتخذ ، ولا يستطيع شعبنا أن يفهم لماذا ضن بالمساعدة المادية من الخارج على البولنديين فى وارسو وأصبح الكل عندنا يعرفون ان مثل هذه المساعدة لا يمكن ارسالها لأن حكومتكم ترفض السماح للطائرات الامريكية بالهبوط فى المطارات التى فى أيدى الروس ، واذا قدر للبولنديين فى وارسو ان يسحقوا بعد هذا كله على ايدى الألمان ، وهو أمر بات متوقعا خلال يومين أو ثلاثة كما قيل لنا ، فان الهزة التى سيصاب بها الرأى العام عندنا ستكون أكثر مما يحتمل ويطاق .

واحتراما منا للمارشال ستالين وللشعوب السوفييتية التى نود مخلصين ان نعمل معها فى السنوات المقبلة ، تود وزارة الحرب منى

ان اوجه نداء آخر الى الحكومة السوفييتية لتقدم كل ما فى وسعها من طاقة فى هذا الصدد ، وان تؤمن هبوط الطائرات الأمريكية فى مطاراتكم تحقيقا لهذا الغرض .

ولهذا فقد شرع الكرملين فى تغيير اسلوبه فى العاشر من سبتمبر كما بدأت قذائف المدفعية السوفييتية تتساقط على الضواحى الشرقية من وارسو ، وشقت القوات البولندية الشيوعية بأمر من الروس طريقها الى حدود العاصمة ، وأخذت الطائرات السوفييتية تلقى المؤن على العاصمة ، ولكن معظم المظلات لم تتفتح فتحطمت الصناديق التى بها المؤن وأخذت المجاعة تسيطر على المدينة .

وقد أدت المحاولات التى بذلتها مع الأمريكيين للحصول على مساعدتهم دورها ، فحلقت مائة واربع قاذفات ثقيلة فى الثامن عشر من سبتمبر فوق العاصمة ، وألقت فوقها المؤن ولكن النجدة جاءت متأخرة ، وجاءنى ميكولاجيك فى الثانى من اكتوبر ليقول لى : ان القوات البولندية فى وارسو على وشك الاستسلام للألمان . والتقطنا فى لندن آخر اذاعة صدرت عن المدينة الباسلة ونصها الآتى :

« انها الحقيقة البشعة ، لقد عوملنا أسوأ مما عومل به أتباع هتلر ، عوملنا أسوأ من ايطاليا ورومانيا وفنلندا ، واننا لنبتهل الى الله العادل القدير ، أن ينزل عقابه بأولئك الذين عرضوا الشعب البولندى لظلم مروع ، وأن يقتص من جميع المسئولين عما لحق بنا من عذاب » .

« مثل هذا الشعب الذى استطاع حشد هذا القدر من البطولات انما هو من الخالدين ، ولقد انتصر الذين قضوا نحبهم ، أما الذين عاشوا فسيمضون فى القتال ، وسينتصرون ، وسيقيمون الدليل من جديد على أن بولندا ستظل حية طالما أن هناك بولنديين بين الأحياء .

ولا يمكن لانسان أن ينسى أبدا هذه الكلمات ، فلقد استمر الصراع فى وارسو أكثر من ستين يوما ، وسقط فى ميدان النضال أكثر من خمسة عشر الفا من اربعين الفا من الرجال والنساء كانوا يؤلفون جيش المقاومة السرية واصيب اكثر من مائتى الف من سكان العاصمة ، كما كلف اخماد الثورة الالمان اكثر من عشرة آلاف قتيل وسبعة آلاف مفقود وتسعة آلاف جريح .

وعندما دخل الروس المدينة بعد ثلاثة أشهر لم يجدوا شيئا غير الشوارع المحطمة والجثث التى لم تدفن ، وهكذا كان تحرير الروس لبولندا التى يحكمونها الآن ، ولكنها لن تكون نهاية القصة على كل حال .

بورما

اما الموقف فى جنوب شرقى آسيا فانه يختلف كل الاختلاف عن مثيله فى أوروبا ، حيث كان اليابانيون يحتاون منذ أكثر من ثمانية عشر شهرا ، قوسا دفاعيا يضم المناطق الجديدة التى احتلوها ، وكان هذا القوس يمتـــد من الجبال التى تغطيهـا الغابات فى شمالى بورما وغربيها ، حيث كانت قواتنا البريطانية والهندية تشتبك معها فى قتال عنيف يمتد الى جزر اندامان وجزيرتى سومطرة وجاوه . ومن هنـاك فى انعطاف نحو الشرق الى غينيا الجديدة

وقد أقام الامريكيون قواعد الطائرات البعيـدة المدى فى أرض الصين لمهاجمة اليابان نفسها ، كما كانت تقوم بتدمير مواصلات العدو البحرية بين اليابان وجزر الفيلبين ، وكذلك تقوم أيضا بنقل المعدات للقوات الصينية بطريق الجو فوق جبال هملايا وكانت هذه عمليـة شاقة ومتعبة جدا ، وقد طلب منا الامريكيون أن نعيد احتلال شمالى بورما بسرعة لتأمين الطريق الى الصين ، لأننا كنا نؤيد بقاء الصين فى الحرب واستخدام أراضيها كقواعد جوية لطائرات الحلفاء ، ولكننى لم تستهونى فكرة القيام بحملة واسعة النطاق فى شـمالى بورما لأن هذا المكان كان أسوأ ميدان لكى نقاتل فيه اليـابانيين ، كما أن شق الطريق الذى طلبه الأمريكيون ليصل ليدو بالصين كان عمـلا فى ذاته منهكا ، وكان لا يمكن اتمامه الا بعد ان تكون الحاجة اليه قد انتهت وحتى لو تم اتمامه فى الوقت المناسب لاستعماله فى تزويد القـوات الصينية بالمعدات والسلاح فان ذلك لا يغير شـيئا من طاقتها ، ولا ريب فى ان الحاجة الى تقوية القواعد الجوية الامريكية فى الصين ستخف تدريجيا كلما تقدمت قوات الحلفاء فى المحيط الهادى ومن ناحية استراليا ، واحتلت مطارات تقربها من اليابان .

وقد كنت أفضل ابقاء على اليابانيين فى مركز الدفاع فى بورما وان نخترق القوس الدفاعى العظيم من الجزر التى تؤلف الطرف الخارجى لجزر الهند الهولندية ، حيث كان فى وسـع جبهتنا الهندية فى هذه الحالة ان تتقدم الى خليج البنغال لتشتبك مع العدو عن طريق استخدام العمليات البرمائية فى كل مرحلة من هذه المراحل .

هذا وقد بدأت الحملة فى ديسمبر عام ١٩٤٣ عنـدما اجتـاز الجنرال ستلويل بفرقتين صينيتين ، الحاجز المائى من ليدو الى الادغال التى تحت سلسلة الجبال الرئيسـية ، وقد قاومته الفرقة اليـابانية الثامنة عشرة المشهورة ولكنه واصل التقدم حتى توغل مسافة اربعين ميلا ، كما قام فيلق بريطانى فى الجنوب بالزحف على طول سـاحل

أراكان على خليج البنغال ، وتمكنا فى الوقت نفسه بمساعدة الطائرات القاذفات اللهب من احراز شيء من التفوق الجوى ، ومع هذا فقد توقف زحفنا فى شهر فبراير فجأة .

أما اليابانيون فقد اخذوا يعدون خططهم منذ شهر نوفمبر ، حيث ضاعفوا قواتهم فى بورما من خمس فرق الى ثمان ، كما فكروا فى غزو شرقى الهند ، لرفع علم الثورة ضد البريطانيين ، وكانت الضربة الأولى التى فكروا فيها هى القيام بهجوم فى أراكان نحو ميناء شيتا جونج ، لكى يرغمونا على سحب قواتنا الاحتياطية كما تمكنوا من وقف زحف فرقتنا الخامسة على الساحل ، ثم تسللوا بفرقة أخرى داخل الادغال حول فرقتنا السابعة التى كانت فى الداخل ، وقد تمكنوا فى بضعة ايام من تطويق هذه الفرقة ، كما هددوا بقطع طريق الساحل وراء فرقتنا الخامسة .وظلت قواتنا تتلقى الغذاء والماء والعتاد بطريق الجو مدة أسبوعين .

ولم يكن هذا كل شيء ، فقد تلقينا اشارات واضحة تؤكد أن جبهتنا الوسطى فى أجهال ستتعرض للهجوم ، وكنا بدورنا نستعد للزحف نحو نهر شندوين . واعدت قوات الشنديت المشهورة التى يتولى قيادتها الجنرال وينجيت لتوجيه ضرباتها الى خطوط تموين العدو ومواصلاته ، كما بدأنا فى الخامس من مارس نقل لواءين آخرين من القوات البريطانية وجنود الجوركا (من الهنود) تعززها وحدة من الفدائيين الجويين الأمريكيين تحملها ٢٥٠ طائرة ، وبعد أن اجتمعت هذه القوات فى مكان واحد شرعت فى هجومها فقطعت مواصلات السكة الحديدية الى الشمال من اينداد ، ولكن ضربة العدو الرئيسية سقطت على جبهتنا كما توقعنا حيث شرعت ثلاث فرق يابانية فى الهجوم فى الثامن من شهر مارس ، كما سحب الجنرال سكونيز فيلقه الرابع المؤلف من ثلاث فرق ايضا الى هضبة امبهال ، ليخوض معركة فى ارض يختارها هو ، وكرر اليابانيون الخطة التى اتبعوها نفسها فى أراكان ، وركزوا خطتهم من أجل الاستيلاء على مستودعاتنا الضخمة فى امبهال ، كما كان هدفهم ان يقطعوا الطريق الى ديمابور والسكك الحديدية ايضا ، وذلك لقطع طريق تموين قوات الجنرال ستلويل ، والجسر الأمريكى الى الصين ، وقد اضطررنا لايقاف عملياتنا الحربية على ساحل أراكان ، كما سحبنا الفرقة الهندية لمساعدة الفرقة الخامسة فى امبهال ، ونقلنا الفرقة السابعة الى ديمابور ، بقيادة الجنرال ستوبفورد .

ولما كانت بلدة كوهيما تسيطر على مفترق الطرق وعلى المضيق المؤدى الى وادى آسام ، فقد شن اليابانيون هجوما عنيفا عليها استخدموا فيه فرقة كاملة وكانت حاميتنا تتألف من فوج من قوة كنت الملكية ولواء من قوة نيبال ولواء من قوات آسام ، وايضا كل جندى يستطيع حمل السلاح من الناقهين فى المستشفيات ، وقد اضطرت قواتنا الى التراجع الى منطقة صغيرة ثم حوصرت فى تل واحد

هذا وقد اشتد القتال حتى بلغ ذروته فى مايو سنة ١٩٤٤

وقد حوصرت قواتنا البالغ عددها ستين الف جندى بريطانى وهندى بكل معداتهم الحديثة فى دائرة فى سهل امبهال وأيقنت أن كل شيء يتوقف الآن على طائرات النقل ، فأبرقت الى مونتباتن فى الثانى والعشرين من يونيو أقول :

« اعرب رؤساء أركان الحرب عن قلقهم بصدد الوضع فى امبهال، ولا سيما بالنسبة الى احتياطى الذخائر والمؤن ، ونحن نخولك ان تطلب ما تشاء من الطائرات اللازمة للمحافظة على الوضع ، سواء أكانت من الطائرات التى تنقل المعدات الى الصين أم من أى مصدر آخر ، ومن الواجب اعتبار طائرات هاملايا (السنام) احتياطيا دائما ، تسحب منه ما تحتاج اليه فى كل وقت اذا اقتضت الضرورة ، حتى لا يبقى لك اى عذر اذا فشلت فى مسعاك ، ويجب عليك أن تحافظ على مهام منصبك خصوصا فى هذه المرحلة الحرجة الخطيرة » .

وقد جاء منه الرد التالى :

« كان الوضع فى الاسبوع الثالث من شهر يونيو حرجا جدا ، الا انه بعد وصول الفرقة البريطانية الثانية والفرقة الهندية الخامسة امكننا ان نفتح الطريق الى القوة المحاصرة فى امبهال ، وبدأت القوافل سيرها فى الحال »

وهكذا انتهت قصة غزو اليابان للهند ، بعد أن خسر اليابانيون أكثر من ثلاثة عشر ألف قتيل ، واذا ما أضفنا اليهم أولئك الذين فقدوا أرواحهم بسبب اصاباتهم بجراح قاتلة ، أو من جراء الجوع أو المرض ، أمكن القول ان خسائرهم بلغت خمسة وسبعين ألف رجل .

وعندما بلغت الرياح الموسمية ذروتها توقفت العمليات الحربية، وفى أثناء ذلك ، تم تعزيز قوات الشنديت ، وكانت أربعة من ألويتها الخمسة تشق طريقها شمالا بجوار السكة الحديدية فى انداو ، لتحول بين وصول النجدات الى العدو ، ولتدمر كل ما تلقاه فى طريقها من مستودعات الا أنه على الرغم مما أوقعته هذه القوات من اضطراب فى مؤخرة العدو ، فان القوات اليابانية لم تحاول أن تسحب جنودا من جبهة امبهال ، كما لم تسحب الا لواء واحدا من جبهة ستلويل، وكذلك جاءت الفرقة الثالثة والخمسون من جبهة سيام ، ولكن محاولتهم منيت بالفشل ، حيث واصل ستلويل تقدمه المستمر فاحتل متكينا فى الثالث من أغسطس ، كما استمر العمل فى تمهيد الطريق الطويلة الممتدة من شمالى آسام لايصالها بالطريق الأساسى الممتد من بورما الى الصين ، وبذلك تيسر انشاء خط انابيب للزيت طوله ٧٥٠ ميلا يمتد من كلكوتا .

وعلى الرغم من هذه الانتصارات ، فقد ظللت أواصل حث حلفائنا على وجوب الاستمرار فى القتال فى الاحراج الى أجل غير مسمى ، كما كنت راغبا فى توجيه ضربة برمائية من خليج البنغال الى رانجون فى قاعدة البر البورمى حتى اذا زحف الجيش الرابع عشر

آن ذاك من أواسط بورما أمكننا فتح الطريق لهجوم نشنه على سومطرة ، وهكذا مضينا ببطء نخوض أعظم معركة برية مع اليابان وقعت حتى الآن فاتصل الجيش الرابع عشر بالقوات الامريكية الصينية الزاحفة من الشمال وأمكن فى منتصف شهر ديسمبر ان نقيم رأس جسر على نهر شندوين استعدادا للزحف الرئيسي الى سهل بورما الأوسط ، الا أنه اعترضتنا مشكلات ادارية هائلة :

فهناك فى جنوب شرقى الصين ، بدأ اليابانيون الزحف على شونكينج عاصمة تشيانج كاى شيك ، وأيضا على كونمينج ، وهى النقطة التى تسلم فيها المعدات التى تنقل بالطائرات الأمريكية ، وقد اهتم الأمريكيون اهتماما بالغا بهذا التطور ، فقد اكتسح العدو مطاراتهم الأمامية فى الصين ، ولم تتمكن قوات شيانج كاى شيك من الصمود واستنجدت بفرقتين صينيتين من القوات العاملة فى شمال بورما ، كما طلبت الاستعانة بأسراب جوية امريكية جديدة خصوصا طائرات النقل .

وكانت هذه الانباء سيئة للغاية ، ولكن لم يكن لنا مناص من قبولها، ولو اننا كنا فى حاجة ماسة الى هذه الطائرات لتموين الجيش الرابع الذى كان يقوده الجنرال سليم بطريق الجو ، لعدم صلاحية الطرق البرية فى تموينه ، مما سبب تأخيرا خطيرا للحملة ، الا أنه على الرغم من كل هذه العقبات فقد تمكن الجيش الرابع من الاندفاع من الجبال للسهل الذى الى الشمال الغربى من مندلاى كما تمكن الجنرال سلطان الذى خلف ستلويل فى نهاية يناير عام ١٩٤٥ من اعادة فتح الطريق الى الصين .

وفى الشهر التالى عندما بدأت المعارك الحاسمة ، واجه الأميرال مونتباتن صعوبات استراتيجية ، حيث كانت الأوامر قد صدرت اليه بأن يحرر بورما ثم يحتل الملايو ويفتح مضايق ملقا ، مع ادراكه بأنه لن يستطيع الحصول على قوات جديدة لتحقيق جميع هذه الاهداف، وكانت مهمته الأولى أن يحتل السهل الأوسط فى بورما ومدينة رانجون قبل حلول الرياح الموسمية فى أوائل شهر مايو ، وكان فى وسعه أن يختار بين عمليتين : اما ان يركز جميع قواته فى معركة حاسمة فى سهل مندلاى ثم يتقدم بسرعة الى الجنوب او يستخدم جزءا منها فى عملية برمائية ضد رانجون ، وكان كل شيء يتوقف على التموين الجوى الذى تقوم فيه الطائرات الأمريكية بدور بارز .

ولما كانت فكرة مساعدة الصين لا تزال تحتل الجزء البارز من السياسة الأمريكية وكان من المحتمل أن تسحب طائرات أخرى من الطائرات التى تعمل معه ، مما يدمر خططه كلها ، فقد قرر القيام بعملية واحدة ضد قوات العدو الرئيسية الى الغرب من مندلاى، وان يتقدم فى الوقت نفسه فى اتجاه رانجون ، وقد تمكنت احدى فرقه من احتلال رأس جسر على الضفة المقابلة لنهر ايراوادى ، على بعد اربعين ميلا الى الشمال من مندلاى ، كما عبرت الفرقة العشرون فى الثانى عشر من فبراير النهر الى الجنوب والى الغرب من مندلاى ،

وسرعان ما انضمت اليها الفرقة البريطانية الثانية ، وعندئذ اقتنعت القيادة العليا اليابانية بأن المعركة الحاسمة أصبحت وشيكة الوقوع ، فسارعت الى ارسال النجدات الى الميدان التى اشتبكت مع قواتنا فى قتال عنيف تمكن فى أثنائه الجنرال سليم من عبور نهر ايراوادى بفرقته السابعة فى الثالث عشر من فبراير، وتمكن من اقامة رأس جسر فوق النهر ، وفى الحادى والعشرين من فبراير انطلق لواءان مدرعان من الفرقة السابعة عشرة ولواء من الدبابات من رأس الجسر فوصلت كلها الى ميكتيلا فى الثامن والعشرين منه، وكانت هذه البلدة هى المقر الادارى للجبهة اليابانية كلها ، كما كانت مركز مواصلاتهم ومطاراتهم ، وبعد قتال عنيف استغرق أسبوعا كاملا سقطت البلدة فى أيدينا .

كما كان الجنرال سلطان يتحرك فى الشمال أيضا فوصل فى منتصف شهر مارس الى منتصف الطريق الممتد من الاشيو الى مندلاى، ولكن شيانج كاى تشيك فرض التوقف على قوات الحلفاء ولم يسمح للفرق الصينية بمواصلة السير ، وأصر على سحبها ، واقترح على الجنرال سليم وقف زحفه بعد احتلال مندلاى ، وكان هذا ما خشيه مونتباتن حقا ، عندما أعد خطته قبل شهر ، وبالفعل فقد تمكن اليابانيون من نقل فرقتين من فرقهم الثلاث من هذه الجبهة ، وبعثوا بهما فورا الى جبهة الجيش الرابع عشر .

واستمرت معركتا مندلاى ومكيتيلا ناشبتين طوال شهر مارس، ودخلت قواتنا مندلاى فى التاسع من الشهر ، كما احتلت جبل مندلاى ولكن اليابانيين قاوموا بشدة ، وصمت أسوار قلعة دوفرين امام الصواريخ العادية ، وأخيرا تم اخراق هذه الأسوار بقنابل زنة الفى رطل ، وفى العشرين من مارس فر العدو من القلعة ، وواصلت بقية الفيلق الثالث والثلاثين طريقها الى ميكتيلا ، ولقيت مقاومة عنيفة ، لأن القائد اليابانى العام — على الرغم من تدخل الفرقة السابعة عشرة وراء جبهته — لم يبد أية علامة تشير الى رغبته فى الانسحاب ، الا أنه بعد أن يئس من المعركة بدأ ينسحب على الطريق الرئيسية الممتدة الى تونجو ورانجون مخترقا الجبال الى الشرق ، وكذلك توقف الجنرال سليم على طريق لاشيو ، كما أنه لم يعد هناك أى أمل فى وصول الجيش الرابع عشر الى رانجون فى أواسط ابريل

ولما كان الجنرال سليم مصمما لا على الوصول الى رانجون فحسب ، بل أيضا على القاء شبكة مزدوجة فى جنوبى بورما لاصطياد العدو فيها ، فقد اندفع الفيلق الثالث والثلاثون من ميكتيلا على طول نهر ايراوادى بسرعة فائقة فوصل الى بروم فى الثانى من شهر مايو، كما كان الفيلق الرابع يتقدم أيضا على الطريق والسكة الحديديةاللتين الى الشرق ، كما وصل رتل مدرع مع الالوية الآلية التابعة للفرقتين الخامسة والسابعة عشرة الى تونجو فى الثانى والعشرين من أبريل، على ان تكون قفزتها الثانية نحو بيجو لاحتلالها ، مما سيؤدى الى سد طريق النجاة على قوات العدو المرابطة فى الطرف الاسفل من بورما،

ولما وصلت قواتنا الأمامية اليها فى التاسع والعشرين من ابريل ، سقطت الأمطار بشدة ، فتوقفت المطارات الأمامية عن العمل ولم تستطع الدبابات والسيارات ان تتحرك على الطريق .

ولما كان اليوم الثانى من مايو هو موعد النزول البرمائى أيضا ، فقد ظلت قاذفات الحلفاء الثقيلة تقصف مدة يومين تحصينات العدو فى مدخل نهر رانجون ، كما أنزلت الطائرات فى اليوم الأول من مايو فوجا من المظليين على خطوط العدو ، ووصلت أيضا سفن الفرقة السادسة والعشرين تؤيدها وحدات المجموعة الجوية ٢٣٤ فى اليوم التالى الى مصب النهر .

ولما كان اليابانيون اعتقادا منهم باستحالة القيام بنزول برمائى فى مثل هذا الوقت ، قد أخلوا مدينة رانجون واتجهوا الى الشمال للدفاع عن بيجو ، وحلقت طائراتنا عليها ووجدتها خالية من جيوش الاعداء ، أنزلت اليها الملاحين بالطائرة فدخلوها دون مقاومة .

وفى الوقت نفسه سارعت القوات البرمائية الى الاتجاه شمالا ، نحو بيجو وبروم ، وهكذا انتهى الصراع الطويل الذى خاضه الجيش الرابع عشر ببسالة .

احتلال ليتى

أما حرب المحيطات ضد اليابان وهى التى تشتمل على سلسلة طويلة من مجموعات الجزر التى تمتد نحو ألفى ميل فقد بلغت ذروتها أيضا ، كما وصلت قوة الحلفاء البحرية فى المحيط الهادى الى مرتبة التفوق ، ولما كان العدو قد حصن عددا كبيرا من هذه الجزر وجهزها بأحدث المطارات بالاضافة الى قاعدة تروك البحرية الكبرى التى فى الطرف الجنوبى من اليابان ، كما يلى هذه الدرع الواقية فرموزا والفلبين والصين وذلك لحماية طرق تموينه الامامية فقد أصبح من المتعذر علينا أن نقوم بغزو اليابان أو قصفها من الجو ، قبل أن نحطم هذه الحلقة ، واحتلال جميع الجزر المنيعة المحصنة » ولذلك فقد اتبع الامريكيون اسلوب الضفدعة فى القفز ، حيث كانوا يحتلون الجزر الهامة منها .

ففى مستهل شهر يونيو سنة ١٩٤٤ أكمل الجنرال ماك ارثر احتلال غينيا الجديدة على حين واصل الاميرال نيميتز فى الوسط الضغط على سلسلة الجزر المحصنة ، وكانا يهدفان من وراء ذلك الى جزر الفلبين والى تدمير الاسطول اليابانى الذى كانت تأمل اليابان من ورائه احراز نصر بحرى كبير ضد الحلفاء .

ورغبة منها فى المحافظة على قوتها لهذه المغامرة الخطيرة والحيوية ، سحبت من قاعدة تروك القسم الاكبر من أسطولها ، وقسمته بين جزر الهند الشرقية وبين مياه اليابان نفسها ، الا انه فى الوقت نفسه وجه الاميرال سبروانس ضربة بحاملات طائراته الى جزر الماريان ونزل فى الخامس عشر من يونيو فى جزيرة سيبان المنيعة ، مما اضطر الاسطول اليابانى الى التدخل واتجه بسرعة نحو الشرق على مقربة من الفليبين ، كما هاجمت طائراته اسطول الحاملات الامريكية من جميع الاتجاهات حيث الحقت بالقوات الامريكية خسائر فادحة

وفى العشرين من يونيو اشتبكت القوات البحرية الامريكية مع مثيلاتها من القوات اليابانية ، فأغرقت للعدو حاملة طائرات كما أغرقت الغواصات الامريكية حاملتين كبيرتين أيضا مما اضطر الاسطول اليابانى الى الانسحاب ، وبذلك أصبحت جزيرة سيبان تحت ايدينا كما تم ايضا اجتياح جزيرتى جوام وتينيان فى اليوم التاسع من يوليو .

وفى نهاية الشهر كانت كل جزر الماريان فى قبضة الامريكيين ، وكان سقوط جزيرة سيبان ضربة صاعقة للقيادة العليا اليابانية مما أدى الى زوال حكومة توجو ، اذ كانت بها قلعة منيعة جدا وممتازة ولكنها بسقوطها فى أيدى الامريكيين تكون قد فصلت المناطق الدفاعية

الجنوبية وأصبح فى وسع القاصفات الامريكية الثقيلة أن تستخدم هذه القاعدة لمهاجمة اليابان نفسها ، كما أصبحت الطرق مفتوحة أمام البوارج الاخرى للاشتراك فى الهجوم ، ولو أن الاسطول اليابانى كان لا يزال قويا فانه أصبح عاجزا عن خوض أية معركة شديدة دون الاستعانة بطائرات ترتكز الى قواعد ثابتة .

كما كانت حالة الجيش اليابانى أفضل قليلا ، الا أنه مع كثرته العددية كان منتشرا فى الصين وفى جنوب شرقى آسيا وفى مختلف الجزر النائية ، وقد أصدرت القيادة العليا أوامرها بالقتال أمام فورموزا والفلبين حتى النهاية كما قررت أن تدفع بالاسطول كله الى ميدان المعركة فى شهر أغسطس ولتضمن عدم انقطاع الزيت الذى يصلها من الهند الشرقية ، ولما كانت خطة حلفائنا حتى الآن تستهدف غزو الجزء الجنوبى من الفلبين أى جزيرة ميندناو ، فقد بدأت طائرات هالس تهاجم المطارات اليابانية فى الجزيرة ، وفى جزيرة لوزن الشمالية الكبيرة ، فحطمت عددا كبيرا من طائرات العدو ، واكتشفت فى أثناء المعارك الجوية أن الحامية اليابانية فى لييتى ضعيفة الى حد لم تكن تتوقعه ، وكانت هذه الجزيرة بين جزيرتى ميندناو ولوزون اللتين كانتا هدف النزول الامريكى فقرر الاميرال نيمتز غزو جزيرة لييتى فورا ، وقد وافقه الجنرال ماك ارثر .

وقد بدأ الامريكيون حملتهم فى اليوم العاشر من اكتوبر بغارات على المطارات التى بين اليابان والفلبين ، فأنزلوا بالعدو خسائر فادحة جدا ، وصمد اسطول حاملات طائراتهم للهجمات اليابانية .

ولما كانت جزيرة لييتى بين جزيرتى الفلبين الكبيرتين وهما لوزون فى الشمال وميندناو فى الجنوب وتعتبر أهم هذه الجزر ، فقد استهدف الامريكيون احتلال هذه الجزيرة ، على حين صمم اليابانيون على وقفهم وتدمير الاسطول الامريكى ، ولذلك أصدر القائد اليابانى العام أوامره فى السابع عشر من أكتوبر الى أسطوله بالابحار الى مضيق سوريجار للدفاع عن هذه الجزيرة وغيرها من الجزر الاخرى .

وقد اشتبك هذا الاسطول مع الاسطول الامريكى فى موقعة ضارية تغلب فيها الاسطول الامريكى عليه واحتل جزيرة لييتى بعد أن خسر فيها ثلاث حاملات طائرات وثلاث مدمرات وغواصة ، فى حين غرقت للعدو ثلاث بوارج وأربع حاملات طائرات وعشرون سفينة حربية ، ولم يبق له من سلاح فعال الا القاذفات الانتحارية ، مما ساعد على هبوط أكثر من ربع مليون أمريكى فى جزيرة لييتى فى نهاية شهر نوفمبر .

وقد واصل الجنرال ماك ارثر زحفه الرئيسى فاحتل دون مقاومة جزيرة ميندورو التى لا تبعد أكثر من مائة ميل عن مانيلا .

وفى التاسع من يناير ١٩٤٥ أنزل أربع فرق جديدة فى خليج لينجاين الى الشمال من مانيلا مفتتحة صفحة جديدة فى معركة الفلبين ، وعندما اندفع الامريكيون نحو مانيلا أخذت المقاومة اليابانية

تشتد ولكن القوات الامريكية هبطت فى مكانين آخرين على الســاحل الغربى وأحاطت بالمدينــة بعد أن خسر العــدو من القتلى ستة عشر ألف جندى ، الا أن الطائرات الانتحارية اليابانية الحقت بنا خسائر فادحة حيث أغرقت ست عشرة باخرة أمريكية فى يوم واحد ، كما أصيب الطراد أوستراليا

هذا وقد تمكنت حاملات طــائرات الاميرال هالسى فى منتصــف ينــاير من شق طريقها الى بحر الصين الجنوبى وتمكنت طائراتنا من الحاق أكبر الاضرار بهونج كونج .

وعلى الرغم من استمرار القتال فى الجزر عدة أشهر أخرى تمكنت القوات الامريكية من السيطرة على بحار الصين الجنوبية ، وبذلك تم الاشراف على طرق تموين اليابان بالزيت والمواد الاولية الاخرى التى يعتمد عليها مجهودها الحربى .

تحرير أوروبا الغربية

فى الاول من سبتمبر ، تسلم الجنرال ايزنهاور القيادة العليا للقوات البرية فى شمالى فرنسا ، وهى مكونة من مجموعة الجيوش البريطانية الحادية والعشرين بقيادة المارشال مونتجمرى ، ومجموعة الجيوش الامريكية الثانية عشرة بقيادة الجنرال برادلى ، وبذلك كان يسيطر على أكثر من سبع وثلاثين فرقة تضم أكثر من نصف مليون رجل ، وكانت قوات العدو تبلغ سبع عشرة فرقة .

وكانت خطة الجنرال ايزنهاور تستهدف الاندفاع فى الاتجاه الشمالى الشرقى بأقصى ما لديه من قوات لاجتياح مراكز اطلاق القنابل الطائرة الالمانية واحتلال انتويرب ، لانه ما لم تحتل قوات الحلفاء هذا الميناء الضخم لم يكن فى امكانها القيام بهجوم عبر الجزء الادنى من نهر الراين والاندفاع الى سهول ألمانيا الشمالية ، ولذلك فقد اتجهت جيوش مونتجمرى الى ميناء انتويرب فاحتلت مدينة امبان وأسرت الفرقة المدرعة الحادية عشرة قائد الجيش الالمانى السابع فى أثناء تناوله الفطور فى امبان ، وواصلت اندفاعها الى مدن الحدود وهى أراس ودواى وليل ، قد أخلى الالمان بروكسل فدخلتها فرقة الحرس المدرع الثالث فى اليوم الثالث من سبتمبر ، كما اتجهت فرقة الحرب بعد ذلك شرقا الى لوفين .

وقبل التاسع من سبتمبر كانت قواتنا قد تمكنت من تطهير منطقة خليج كاليه ، بما فيها من مراكز اطلاق القنابل الطائرة ، وكذلك موانى القتال وهى دبيب وبولون ودنكرك ، الا ميناء الهافر حيث ظلت حاميته المؤلفة من أحد عشر ألف رجل تقاوم بشدة واصرار على الرغم من قصفها بمدافع بحرية من عيار خمس عشرة بوصة ومن أكثر من عشرة آلاف طن من القنابل من الجو ، حيث استسلمت فى الثانى عشر من سبتمبر ، كما احتلت الفرقة المدرعة البولندية مدينة جنت التى لا تبعد أكثر من أربعين ميلا عن انتويرب .

وبقيت أمامنا القفزة الاخيرة نحو أرنهيم ، حيث كان الطقس السيىء قد حال دون ايصال الامدادات والمؤن والذخائر بطريق الجو ، وكانت الفرقة الاولى التى نقلت بالطائرات بالجو فى وضع يائس ، فقد عجزت عن الوصول الى الجسر ، واصبحت محصورة فى قطاع ضيق على الضفة الشمالية ، متعرضة لهجمات عنيفة ، وقد بذلت كل محاولة ممكنة من الضفة الجنوبية لانقاذها ، ولكن العدو كان قويا للغاية ، وقامت بهذه المحاولات فرقة الحرب والفرقة الثالثة والاربعون ولواء المظليين البولنديين ، ولكنها جميعها منيت بالفشل ، حتى اضطر

المارشال مونتجمرى الى اصـــدار أوامره الى من تبقى من الفرقة بالعودة .

وبعد ذلك اتجهنا لتطهير مصب الشلوت وفتح ميناء انتويرب للملاحة حيث كانت فرقة مدرعة ألمانية ومدربة خير تدريب تتولى الدفاع عن جزيرة بريسكينز وقد أثبتت صلابتها ، كما دار قتال عنيف جدا لعبور قناة ليوبولد واحتلال جنوبى بيفيلاند ، وقد تمكنـــا فى نهاية الشهر وبعد جهود عظيمة هائلة من الاستيلاء على البرزخ كله وأسر نحو ١٢٥٠٠ ألمانى .

وهكذا أصبحت الطرق ممهدة للهجوم على وولشيرين ، ووجـــه الســـلاح الجوى الملكى فى أوائل اكتوبر الضربة الاولى حتى تمكنت طائراتنا من فتح ثغرة عظيمة وقد اشترك فى هذه العملية ثلاث وحدات من فدائيى البحرية . كما اشترك الاسطول البحرى أيضا فى الهجوم .

وعلى الرغم من الاصابات القاسية التى وقعت برجال الاسطول فقد تمكن من مواصلة اطلاق مدافعـــه حتى تمكنت وحدات الفدائيين من النزول الى الساحل ، كما صبت مدافع الفيلق الكـــندى الثانى نيرانها القوية عبر الماء من شاطىء بريسكنيز على مدافع العدو القوية المثبتة فى دعائم من الاسمنت المسلح ، وقد تمكنت وحدة الفـدائيين الثامنة والاربعون من قتل وأسر بقية رجال حامية الجزيرة ، ولم تمض بضعة أيام فى قتال عنيف حتى كانت الجزيرة كلها فى أيدينا .

كما واصل برادلى ، وضباطه المتحمسون ، اندفاعهم القوى على الجناح الايمن وراء باريس ، على رأس مجموعة الجيوش الامريكيـــة الثانية عشرة ، فسقطت فى أيديهم شارلروا ، ومونز ، ولييج ، وتمكنوا خلال اسبوعين من تحرير اللكسمبورج بأسرها وجنوبى بلجـــيكا ، ووصلوا فى الثانى عشر من سبتمبر الى الحدود الالمانية ، كما اخترقوا خط سيجفريد على مقربة من آخن .

هذا وقد قامت القوات الجوية الاستراتيجية بدور بارز فى زحف الحلفاء الى حدود فرنسا وبلجيكا ، ثم عادت فى الخريف الى دورها الاساسى فى قصف ألمانيا مستهدفة مســـتودعات البترول وأجهزة المواصلات كأهداف محدودة ، كما أرغمت هجماتنا المستمرة الالمان على توزيع مصانعهم فى نقاط متباعدة وقد دفعت قواتنا الثمن غاليا لتحقيق هذا الهدف .

ولما كان الالمان يعتمدون على طرق مواصلاتهم الجيدة ، وقدتعطل أكثرها بسبب الغارات فقد تسبب ذلك فى تكديس أكوام الفحم فى المحطات لعدم وجود عربات الشحن التى تنقلها كما اضطر أكثر من ألف قطار من قطارات الشحن للتوقف يوميا بسبب الافتقار الى الوقود ، وكذلك بدأت محـطات القوة الـكهربية والمصـانع ومعامل الغـاز تغلق أبوابها وهبط انتاج البترول واحتياطيه هبوطا هائلا مما اثر لا على

حركة القوات العسكرية فحسب ، بل على النشاط الجـــوى وتدريب الطيارين .

وقد حذر سيبر فى شهر أغسطس الفوهرر من شـــل الصناعة الكيماوية كلية بسبب الافتقار الى المنتجات الثانوية من مصانع الزيت الكيماوى ، واخذ الوضع يزداد سوءا يوما بعد يوم " وقال سيبر : أنه اذا استمر الوضع فى التردي والتوقف فى حركة القطارات فان النتيجة ستؤدى الى كارثة انتاجية ذات اهمية حاسمة

ولهذا السبب فقد بدا هجومنا الجوى يحقق غاياته اخيرا .

الاجتماع البريطاني السوفييتي في موسكو

لما كنت قد اتفقت مع الرئيس فى أوائل فصل الصيف على تقسيم المسئوليات بالنسبة لمختلف البلاد المتأثرة بحركات الجيوش ، وكانت الاوضاع قد تحسنت خلال الاشهر الثلاثة التى اتفقنا على أن يستغرقها الاتفاق ، فانه عندما حل فصل الخريف أخذ كل شىء فى أوروبا الشرقية يسير فى طريق الازمة والتوتر حيث كانت الجيوش السوفييتية تضغط بشدة على المسرح البلقانى ، وأصبحت رومانيا وبلغاريا فى قبضتها ، كما أصبح من المحتم أن تسقط بلغراد فى قبضتها بعد قليل ، على حين كان هتلر يقاتل بعناد واصرار للاحتفاظ بالمجر .

ولما كان انتصار الحلفاء الاعظم قد أصبح قضية وقت ليس الا ، بعد البداية الناجحة لعملية « السيد الاكبر » فقد كان من الطبيعى أن تنمو أطماع الروس ، بعد أن رفعت الشيوعية رأسها وراء الجبهات الروسية المزمجرة ، لذلك شعرت بالحاجة الى اجتماع شخصى بستالين ، وأن استغل العلاقات الطيبة التى تربطنا بالسوفييت للوصول معهم الى حلول مرضية للمشكلات الجديدة التى بدت بين الشرق والغرب ، وعلى الاخص مصير بولندا التى دخلنا الحرب بسببها وكذلك مصير اليونان الذى كان يؤثر علينا تأثيرا كبيرا ، وكانت حكومتاهما قد لجأتا الى لندن ، وكنا نشعر بمسئولياتنا فى اعادتهما الى بلديهما ، وكان هذا رغبة شعبيهما أيضا ، وكانت الولايات المتحدة تشاركنا فى هذه المخاوف الى حد كبير ، ولو أنها كانت غير مدركة لقوة النفوذ الشيوعى الذى تسرب قبل زحف الجيوش الروسية القوية ثم سار فى ركابها .

وبالاضافة الى هذه القضايا الخطيرة التى اثرت على أواسط أوروبا كلها ، فان مشكلات التنظيم العالمى ، بدأت تلقى بثقلها على تفكيرنا ، وكنا قد عقدنا من قبل مؤتمرا طويلا فى « دومبارتون أوكس » على مقربة من واشنطن ، امتد بين أغسطس واكتوبر ، حيث وضعت الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتى والصين المشروع الذى أصبح الآن معروفا لحفظ سلام العالم وأمنه .

وقد كشفت المناقشات عن خلافات عدة بين الدول الكبرى الثلاث ، لان وفد الكرملين لم يكن راغبا فى الاشتراك فى هيئة دولية تتغلب فيها أصوات مجموعة من الدول الصغرى على صوته ، وقد كنت على ثقة من اننا نستطيع الوصول الى قرارات طيبة مع روسيا طالما أننا لانزال فى حرب مع عدو مشترك .

وقد هبطنا فى مطار موسكو فى التاسع من أكتوبر ، وعقدنا أول اجتماع فى الكرملين ، شهده ستالين ومولوتوف وايدن ، وقررنا أن نوجه الدعوة الى رئيس وزراء بولندا ووزير خارجيتها المسيو رومير والى المسيو جرايسكى ، للحضور الى موسكو فورا ، كما أبرقت كذلك الى المسيو ميكولاجيك لكى يحضر للتباحث مع الحكومة السوفييتية ومعنا ومع لجنة لوبلين البولندية ، وأوضحت لهم أن رفضهم الحضور للاشتراك فى المحادثات سيعنى رفضا واضحا لنصيحتنا وسيؤدى من ثم الى تحللنا من كل مسئولية تجاه حكومة بولندا التى فى لندن .

وبينت لستالين أن الفرصة متاحة للعمل ، لكى تسوى جميع القضايا المتعلقة بالبلقان ، كما أنه يجب علينا ألا نقف متعارضين فى اهدافنا تجاه قضايا بسيطة بالنسبة الى بريطانيا وروسيا ، وقلت له : ماقولكم في أن يكون لكم التفوق بنسبة تسعين فى المائة فى رومانيا وأن تكون لنا النسبة نفسها فى اليونان وأن نكون متعادلين فى يوغسلافيا ، وبينما كان المترجم ينقل ما قلته الى الروسية كتبت علىورقة صغيرة البيان التالى :

رومانيا :

روسيا	٪٩٠
الدول الاخرى	٪١٠

اليونان :

بريطانيا بالاتفاق مع الولايات المتحدة	٪٩٠
روسيا	٪١٠

يوغسلافيا :

روسيا	٪٥٠
بريطانيا وأمريكا	٪٥٠

المجر :

روسيا	٪٥٠
بريطانيا وأمريكا	٪٥٠

بلغاريا :

روسيا	٪٧٥
الدول الاخرى	٪٢٥

ودفعت بالورقة الى ستالين ، فكتب عليها بقلمه بالموافقة ، وأعادها الى ،وهكذا تم اقرار كل شىء فى أسرع وقت ممكن ، أما القضايا

الكبرى فقد أرجأناها لمائدة الصلح ، وهذا وقد بعثت الى الرئيس كتابا خاصا قلت فيه :

أرى من الضرورة أن نحاول التفاهم بصدد البلقان ، لكى نتمكن من الحيلولة دون وقوع الحروب الاهلية فى عدد من البلاد عندما أكون أنا وانت الى جانب فريق من الناس ويكون ستالين الى الجانب الآخر ، وسأواصل اطلاعك على ما يجد فى هذا الموضوع ، ولن يتقرر أى شىء باستثناء اتفاقات أولية تمهيدية بين بريطانيا وروسيا ، وأنا واثق أنك على هذا الأساس لن تعارض فى أن نحاول الالتقاء فكريا مع الروس .

وبعد هذا الاجتماع استعرضت فى مخيلتى علاقاتنا بروسيا بالنسبة لمناطق أوروبا الشرقية ، ورغبة منى فى ايضاح أفكارى ، أعددت كتابا الى ستالين فى الموضوع مرفقة به مذكرة توضح تفسيراتنا للنسب المئوية التى اتفقنا عليها ولكننى لم أبعث بهذه الرسالة فى النهاية ورأيت من الحكمة أن أترك الامور تسير وحدها .

غير أننى قد بعثت الى اخوانى فى الوطن برسالة مؤرخة ١٢ من اكتوبر عام ١٩٤٤ بينت فيها النسب المئوية التى اتفقنا عليها وتفصيل الاسباب التى دعت الى ذلك ، كما بينت أنه سيعاد النظر فيها عندما تجتمع الدول العظمى بعد انتهاء الحرب على مائدة الهدنة أو الصلح لاعداد تسوية أوروبية عامة .

ولما وصل البولنديون من لندن ، اجتمعنا فى الثالث عشر من اكتوبر فى دار ضيافة الحكومة السوفييتية المعروفة باسم « سبيريدونوفكا » لنستمع الى ميكولاجيك وزملائه وهم يعرضون قضيتهم ، وكانت هذه المباحثات بمثابة تمهيد لاجتماع آخر يعقده الوفدان البريطانى والامريكى مع ممثلى لجنة لوبلين البولندية الشيوعية ، وقد ألححت على ميكولاجيك ليدرس قضيتين :

الاولى ـ الاعتراف واقعيا بخط كرزون ، مع اجراء تبادل فى السكان واجراء محادثات ودية مع لجنة لوبلين لتأمين السبل لقيام بولندا متحدة ، وقلت : أن الخير كل الخير فى تحقيق الوحدة الآن فى هذه المرحلة الختامية من الحرب ، وطلبت اليهم أن يدرسوا هذا الموضوع بعناية فى هذه الليلة ، وأكدت لهم أننى والمستر ايدن سنكون تحت تصرفهم ، ولكنه من الضرورى أن يتصلوا بلجنة لوبلين وأن يقبلوا بخط كرزون كترتيب عملى على أن يعاد النظر فى الموضوع كله فى مؤتمر الصلح .

وعندما اجتمعنا فى الساعة العاشرة مساء من تلك الليلة الى ما يسمى باللجنة البولندية ، اتضح لنا فورا ، أن البولنديين أعضاء لجنة لوبلين ليسوا سوى مخالب فى أيدى روسيا ، وقد حفظوا الدور الذى يجب عليهم أن يمثلوه ، فمثلا قد تحدث الينا المستر بيرون زعيم اللجنة بقوله : « اننا نطالب هنا باسم بولندا بأن نكون جزءا من روسيا ، وهذه هى ارادة الشعب البولندى » كما تحدث زعيم آخر من زعماء لجنة لوبلين هو المسيو أوسوبكا موروفسكى باستفاضة واسهاب وكان

حديثه باعثا على الالم وقد كون المستر ايدن أسوأ فكرة عن الزعماء البولنديين الثلاثة ، ودام المؤتمر أكثر من ست ساعات ولكن النتائج كانت مخيبة للامل ، ومع مضى الايام لم يتحقق الا القليل فى طريق تحسين العلاقات البولنديه الروسية ، وكان بولنديو لندن على استعداد لقبول خط كرزون ، كخط للحدود بين روسيا وبولندا » ولكن الروس أصروا على استعمال العبارة التالية « كأساس للحدود بين روسيا وبولندا » واصر كل من الفريقين على رأيه .

وقد كان ستالين معارضا فى محاولة تأليف حكومة بولندية موحدة قبل تسوية مشكلة الحدود أولا ، وقال : انه اذا سويت مسألة الحدود فانه سيكون على استعداد لقبول تولى جيكولاجيك رياسة الحكومة الجديدة . وقد خيل الى أن صعوبات ليست بأقل حدة وعنادا ستنشب عند البحث فى ادماج الحكومة البولندية فى لجنة لوبلين ، لانهم كانوا يطمعون فى تولى حكم بولندا ، ولذا فقد رأيت من الافضل طبقا للظروف الراهنة ، أن يعود كل من الوفدين البولنديين الى المكان الذى جاء منه ، وأحسست احساسا عميقا بالمسئولية الملقاة على عاتقى وعاتق وزير الخارجية فى محاولة وضع الاقتراحات لايجاد تسوية روسية ـ بولندية ، وأنه مما لاريب فيه ، أن فرضنا خط كرزون على بولندا سيثير علينا عاصفة من النقد .

ولما كان من الواضح أن الحكومة السوفييتية تعتزم مهاجمة اليابان فور سقوط هتلر ، وان هذا الهجوم سيؤدى الى تقصير أمد الكفاح كله ، فانه مما لا ريب فيه أن الترتيبات التى اتخذناها بصدد البلقان ، كانت خير ما يمكن الوصول اليه ، واذا ما سارت هذه الاجراءات جنبا الى جنب مع عمليات عسكرية ناجحة فستؤدى حتما الى انقاذ اليونان ، ولم يكن لدى شك أيضا فى أن اتفاقنا على اتباع سياسة مشتركة بنسبة الخمسين فى المائة فى يوغسلافيا كان أحسن حل لمتاعبنا بالنسبة الى سلوك تيتو ، الذى جاء بعد أن عاش ثلاثة أشهر أو أربعة فى حمايتنا الى موسكو بصفة سرية ليشاورها دون اطلاعنا على المكان الذى سافر اليه ، ولاسيما بعد أن وصلت قوات روسية وبلغارية تحت القيادة الروسية الى بلاده لمساعدة جناحه الشرقى

ولم يكن ثمة شك فى أننا ضمن دائرتنا الضيقة ، كنا نتحدث أنا وستالين بمنتهى الحرية والود ، وبشكل لم يسبق له ان ساد العلاقات بين بلدينا ، الا أننى ازددت اقتناعا الآن بأنه ليس على كل حال الحاكم المطلق فى بلاده ، وقد قلت لزملائى فى الوطن : « ان هناك يدا خفية تلعب وراء ظهر الفارس » .

باريس وجبهة الاردن

عندما تم الاتفاق على أن خير موعد أقوم فيه بزيارة باريس هو يوم الهدنة فى الحادى عشر من نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وأعلن رسميا اننى سأقوم بهذه الزيارة فى ذلك التاريخ ، فقد وصلتنا تقارير عدة تقول أن المتعاونين مع الالمان سيحاولون الاعتداء على حياتى ، وبناء على ذلك فقد اتخذت الاحتياطات الوقائية اللازمة ، وهبطت فى العاشر من نوفمبر فى مطار أورلى ، حيث كان ديجول فى استقبالى على رأس ثلة من حرس الشرف ، ثم ركبت معه عربة مكشوفة ، فاجتزنا ضـــواحى باريس الى أن وصلنا الى « الكى دورسيه » حيث حللت مع زوجتى وابنتى مارى ، ضيوفا رسميين على الدولة ، وكان كل شيء على أحسن ما يرام .

وفى اليوم التالى غادرنا باريس الى بيزانســــون ، لكى يطلعنى الجنرال ديجول على الهجوم الواسع النطاق الذى تقرر أن يقوم به الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال دى لاتردى تاسينى ، وقد وصلته قبل بدء المعركة بوقت طويل ، وكان من المقرر أن نزور مركز مراقبة على الجبال ، ولكن بالنظر الى الثلوج الغزيرة حيث كانت الطرق غير صالحة للسير تقرر تأجيل العملية كلها .

وفى المساء توجهت بالقطار الى ريمز فوصلتها فى الصباح حيث قمت بزيارة للجنرال ايزنهاور وعدت فى المساء طائرا الى نورفهولت .

ولم يكن الوضع فى الجبهة الغربية فى هذه الآونة مناسبا تماما ، فلقد كان هناك الكثير من الاعداد للزحف نحو نهر الراين ، الا أن جيش ديسمبسى الثانى فى القطاع البريطانى تمكن من طرد العدو الى ما وراء نهر الموز ، أما فى الجنوب فقد تلاقت قواتنا مع الجيش الامريكى التاسع وأخذت تناضل زاحفة فوق أرض مشبعة بالمياه للوصول الى نهر الروهر ، وكان من المجازفة حتى الآن محاولة عبور هذا النهر ، لانه كان تحت سيطرة سدود ضخمة كانت لا تزال فى قبضة العدو ، وكان فى وسعه عن طريق فتح هذه السدود أن يعزل قواتنا التى على الضفة الاخرى ، وقد حاولت قاذفاتنا التى على الضفة الاخرى ، تحطيم هذه السدود ، واطلاق هذه المياه ولكن على الرغم من اصابتها اصابات مباشرة لم تفتح فيها أية فجوات مما اضطر الجيش الامريكى الاول فى الثالث عشر من ديسمبر الى تجديد زحفه للاستيلاء عليها .

وفى هذا الوقت كان الجــــنرال باتون قد عبر نهر الموزيل فى الجنوب من الاردين وزحف شرقا متجها الى الحدود الالمانية ، واضطر جيشه الى التوقف أمام حصون منيعة من خط سيجفريد ، كان يدافع

عنها العضو بعناد واصرار ، والى يمين هذا الخط ، تمكن جيش الجنرال وبغير السادس من شق طريقه نحو الفوج وثغرة بيلفورت . كما تمكن الفرنسيون بعد معركة دامت أسبوعا ، من الاستيلاء على بيلفورت فى الثاني والعشرين من نوفمبر ، ووصلوا الى نهر الراين الى الشمال من بال ، وهنا التف الفرنسيون جنوبا حول الجناح الألمانى فى الفوج ، مما أرغم العدو على الانسحاب بسرعة ، ويسر دخول الحلفاء ستراسبورج ، فى الثالث والعشرين من نوفمبر ، كما طهر الجيش الامريكى السابع فى الاسابيع التالية جميع المناطق الشمالية من الالزاس ، واستدار حول ميمنة الجيش الثالث ، ثم عبر الحدود الالمانية واخترق خط سيجفريد على مقربة من ويسمبورج .

ولكن هذه الانتصارات المهمة ، لم تكن لتخفى الحقيقة الواقعة وهى أن الحلفاء الغربيين منوا بانتكاسة استراتيجية حيث كنا قد سجلنا قبل البدء بهذه الحركة الواسعة وجهة نظرنا فى أن من الخطأ الهجوم فى الجبهة كلها ، وعلى الرغم من خيبة الامل التى منينا بها .

هذا وقد بعثت برسالة الى الرئيس فى السادس من ديسمبر أعربت فيها عن مخاوفى وقلت فيها : « لقد حان الوقت لاعرض عليك الوضع الحربى الحرج والمخيب للآمال الذى يواجهنا فى نهاية هذا العام ، فعلى الرغم من احرازنا بعض الانتصارات فقد ظلت هناك الحقيقة الماثلة ، وهى اننا فشلنا حتما فى الوصول الى الاهداف الاستراتيجية التى حددناها لجيوشنا قبل أسابيع ، فلم نصل بعد الى الراين فى طرفه الشمالى ، وهو أهم قطاع فى الجبهة ، وسنقضى عدة أسابيع أخرى فى معارك ضارية ، قبل أن نأمل الوصول الى الراين ، واقامة رءوس جسورنا عليه وبعد ذلك علينا من جديد أن نستأنف الزحف داخل المانيا ، وما زال الالمان يحتفظون فى ايطاليا بست وعشرين فرقة وهو مايعادل ست عشرة فرقة كاملة التجهيز أو نحوها على جبهتنا

ولا ريب أن السبب الذى حال بين مجموعة الجيوش الخامسة عشرة وبين تسجيل نصر حاسم على قوات كيسلرنج ، هو التأخر الذى نجم عن اضعاف قواتنا لتأمين عملية « التنين » والنزول فى جنوبى فرنسا ، ولهذا لم نستطع عبور جبال الابنين ، قبل أن تغمر المياه حوض نهر البو ، هكذا لم نستطع لا فى الجبال ولا فى السهول استخدام مالدينا من تفوق فى سلاح المدرعات .

وبالنظر الى عناد المقاومة الالمانية فى جميع الجبهات ، لم نقم بسحب الفرق البريطانية الهندية الخمس من أوروبا لنمكن مونتباتن من الهجوم على رانجون فى شهر مارس ، ولهذا فقد بدأ مونتباتن ـ وفقا لما اتفقنا عليه فى كوبيك ـ زحفا عاما فى تجاه بورما من الشمال والغرب واحرز تقدما مرضيا ، أما الآن وبالنسبة الى الزحف اليابانى فى الصين ، بما سينطوى عليه من تهديد بالقتال لكومينج ،وربما لشنوتكنج ، وللجنرال لسمو شيانج كاى شيك ، فقد تقرر سحب فرقتين صينيتين أو أكثر للدفاع عن الصين ، ولو أن هذه الخطوة كانت ضبابية فقد

كانت نتائجها مع ذلك بالغة الخطورة ، وهكذا انتكست جميع آرائى فى توجيه ضربة ثقيلة عبر الادرياتيك أو عبر خليج البنغال .

وعلى الرغم من جهودنا المشتركة يقوم هنا سؤال محدود تماما : « ترى ماذا فى وسعنا أن نفعل ؟ » ويزداد قلقى من انهيار جميع الآمال فى قيام اجتماع مبكر بين ثلاثتنا ، ومن التأجيل الذى لا نهاية له فى عقد اجتماع بينى وبينك ، يحضره أركان حربنا ، لنبحث فى مشكلاتنا الانجليزية الامريكية ككل ، ولهذا أرى لزاما على أن أقول : انه اذا لم يتيسر لك الحضور بنفسك قبل شهر فبراير ، فلتبعث برؤساء أركان حربك الى هنا فى أسرع وقت ممكن ليكونوا على اتصال وثيق بجيوشنا الرئيسية وبالجنرال ايزنهاور ، لكى يكون عملنا المشترك مركزا تمام التركيز بصورة مماثلة لما وقع فى حملاتنا عام ١٩٤٤ »

وقد بدا لى أن الرئيس روزفلت ، على الرغم من شعوره الودى لم يكن يشاطرنى مخاوفى ، فقد بعث الى يقول : « لقد كنت أشعر دائما بأن احتلال ألمانيا حتى الضفة اليسرى من الراين سيكون دائما عملية شاقة كما اننى لم أشعر بالتفاؤل من سهولة اجتياز نهر الراين بجيوشنا المشتركة ، ومع ذلك فانى اعتقد أن خططنا الاستراتيجية الواسعة والمتفق عليها ، تسير وفقا للخطة المرسومة ، واذا كان قد طرأ بعض التأخير فى الوقت الحاضر ، فاننى أرى أن الاستمرار فى المعارك ونتائجها موكولان الى قادتنا فى الميدان الذين يتمتعون بكامل ثقتى » .

وكان من المقدر أن نتحمل الآن ضربة ثقيلة ، فبعد ستة أيام من ارسال هذه البرقية تعرضنا لازمة خطيرة ، فقد كان القرار الذى اتخذناه بتوجيه ضربتنا من آخن الى الشمال وعبر الالزاس فى الجنوب ، قد جعل جبهتنا الوسطى ضعيفة كل الضعف ، اذ كان الفيلق الامريكى الثامن الذى يضم أربع فرق يتولى حراسة جبهة طولها خمسة وسبعون ميلا فى الاردين ، وقد توقعنا الخطر ، وكانت النتائج خطيرة ، وكان من المحتمل أن تزداد فى الخطورة ، فقد تمكن العدو بعد جهد دائب من حشد نحو سبعين فرقة فى الجبهة الغربية بينها خمس عشرة فرقة مدرعة تشتمل على الجيش المدرع السادس الذى هو فى منتهى القوة والاعداد .

كما أن الالمان ، كانوا قد أعدوا بالفعل خطة رئيسية ، فقد حشد رونشتادت جيشين مدرعين هما الجيش الخامس والسادس ومعهما الجيش السابع أى مايقرب من عشر فرق مدرعة وأربع عشرة فرقة مشاة .

وكان من المقرر أن تخترق هذه القوة الضخمة يقودها سلاحها المدرع جبهة الاردين الى نهر الموز ، وأن تندفع شمالا وشمالا بغرب ، فتشطر خط الحلفاء شطرين وتحتل ميناء انتويرب وتقطع شريان الحياة على جيوشنا الشمالية ، وكان هتلر قد وضع هذه الخطة ولم

يكن ليقبل أى تبديل فيها ، ممـــا قد يقترحه قادته الذين يشكون فى سلامتها ، وحشدت بقايا القوة الجوية الالمانية للقيام بمجهود نهـائى على حين عهد الى رجال المظلات والمخربين والوكلاء الذين يرتدون ملابس الحلفاء العسكرية بأداء دورهم فى المعركة المنتظرة .

وقد بدأ الهجوم فى السادس عشر من ديسمبر ، بعد قصف مدفعى شديد ، وهاجم الجيش الالمانى المدرع السادس من ناحية جناحه الشمالى ميمنة الجيش الامريكى الاول الذى كان يتقدم فى اتجاه سدود نهـــر الروهر ، وبعد معركة ظلت متأرجحة فترة من الزمن تمكنت قوات الحلفاء من وقف العدو ، كمـا تمكن الالمان فى الجنـوب من اختراق جبهتنا فى قطاع ضيق ، وشن الجيش المدرع الالمانى السادس هجوما اختراقيا جديدا فى اتجاه الغرب والشمال الغربى على نهر الموز قبل مدينة ليبج ، وتمكن الجيش المدرع الخـــامس من اختراق جبهة الفيلق الامريكى وتوغل مسافة كبيرة فى اتجاه نهر الموز

وعلى الرغم من أن اتجاه العدو جاء مفاجئا لقيادة الحلفاء العليا من ناحية توقيته وثقله ــ قـــررت أن نعزز فورا « كتفى » منطقـــة الاختراق ، وأن نحافظ على معابر الموز ، الى الشرق والجنوب من نامور وسارع أيزنهاور بوقف جميع هجمات الحلفاء ، واستقدم أربع فرق من القوات الامريكية الاحتياطية وست فرق أخرى من الجنوب ، وفرقتين محمولتين من الجو من انجلترا ، كما قذف الجيشـــان الامريكيان الاول والتاسع بكل مالديهما من قوات احتياطية لتوســيع جناحيهما الدفاعى الى الغرب من ماليدى .

ولما كان الالمان قد شطروا جبهة مجموعة الجيوش الثانية عشرة التى يقودها الجنرال برادلى ، وحالوا بينه وبين ممارسة القيـادة الفعلية من مقر قيادته فى لكسمبورج ، فقد عهد الجنرال ايزنهـاور الى مونتجمرى بالقيادة المؤقتة لجميع قوات الحلفاء فى الشمال على حين عهد الى الجنرال برادلى بالاحتفاظ بمواقعه وشن هجمات مضادة على العدو من الجنوب ، كما قام أيضا باجراء تبديلات مماثلة فى قيادة سلاح الجو التكتيكى .

ولما كانت القوات المدرعة الالمانية قد حرمت هدفها الرئيسى وهو نهر الموز ، فقد استدارت الآن بوحشية على باستون ، وتفوق العدو تفوقا هائلا فى العـــدد على الفرقة الواحدة بعد المـــائة على الرغم من تعزيزها الا أنها قد تمكنت من الصمود فى البلدة أسبوعا آخر ، وعندما حلت نهاية شهر ديسمبر أدركت القيادة العليـــا الالمانية أنها قد خسرت المعركة الا أنها بذلت مجهودا آخر بطريق الجو حيث قامت فى اليوم الاول من يناير عام ١٩٤٥ بهجوم مباغت عنيف وعلى ارتفاع منخفض على جميع مطاراتنا الامامية .

وعلى الرغم من أن خسائرنا كانت جسيمة فاننا عوضناها بطائرات جديدة فورا ، ولكن السلاح الجوى الالمانى خسر أكثر مما يستطيع احتماله من خسارة فى آخر هجوم قامت به ألمانيا فى الحرب الثانية ـ

وكان هـذا هو آخـر هجوم شـنه الالمان فى الحرب ، ولو أن هـذا الهجوم قد أقلقنا آشد القلق واخر زحفنا ، فاننا استفدنا منه فى النهاية ، فلم يكن فى وسع الالمان أن يجدوا بديلا عن الخسـائر التى خسروها .

وعلى الرغم من أن معاركنا المقبلة على نهر الراين كانت عنيفـة وقاسـية ، فان هجوم الاردين الفـاشل قد سـهل مهمتها . ولا ريب فى أن القيادة العليا الالمانية وهتلر نفسه قد خدعا عندما باغتهما ايزنهـاور وقادتهم بهجومهم ، أما الفضل كل الفضل لنجاحنا فيعود الى ماذكره مونتجمرى فى تقريره وهو « لقد كسبنا معركة الاردين بفضل مايتمتع به الجندى الامريكى من روح حربية عالية » وفعلا قد قامت القـوات الامريكية بأكبر قسط فى المعركة وتحملت أكبر قسط فى الخسائر .

عيد الميلاد فى اثينا

لقد اشتهر اليونانيون بأنهم من أكثر شعوب العالم اهتماما بالسياسة ، وانه مهما كانت اوضاعهم قاسية أو كانت الاخطار التى تتعرض لها بلادهم خطيرة ، فانهم لا ينفكون عن الانقسام الى شيع واحزاب عدة ، يتولى قيادتها عدد من الزعماء يتخاصمون ويتشاحنون بحيوية وحماس .

ولما كنت قد طلبت الى رئيس أركان حرب القوات البريطانية ، اعداد التفاصيل المتعلقة ، بايفاد حملة بريطانية الى اليونان فى حالة انهيار الالمان وذلك قبل ان اغادر ايطاليا فى نهاية شهر اغسطس ، فقد تم اعدادها فى أوائل سبتمبر ، واطلقنا على هذه العملية اسم « المن » وفى الوقت نفسه كنا قد اتينا بالمسيو باباندريو رئيس الوزراء وزملائه الى ايطاليا واخذ يعمل مع ممثلى جبهة التحرير الوطنى « ايام » ومع منافسيهم القوميين من جماعة الجيش الوطنى الديموقراطى « ايديس» يساعده فى ذلك المستر ماكميلان وزيرنا المقيم فى البحر الابيض المتوسط، والمستر ليبر سفيرنا لدى الحكومة اليونانية وتمكنوا جميعا من الوصول الى اتفاق شامل تم التوقيع عليه فى السادس والعشرين من سبتمبر ، وقد نص الاتفاق على أن تضع جميع قوات العصابات فى البلاد نفسها تحت أوامر الحكومة اليونانية التى وضعت نفسها بدورها تحت تصرف القائد البريطانى الجنرال سكوبى ، وقد قدر لهذه الوثيقة التى سميت باتفاق « سايسترا » ان تسيطر على جميع اعمالنا فى المستقبل .

وقد بدأ تحرير اليونان فى شهر اكتوبر ، وبعثنا بوحدات من الفدائيين الى جنوبى اليونان ، وتمكنت قواتنا فى الساعات الاولى من صباح الرابع والعشرين من شهر أكتوبر من احتلال باتراس ، وكانت هذه اول موطىء قدم لنا منذ أن خرجنا ذلك الخروج المؤلم فى عام ١٩٤١ .

ولما شرع الالمان فى الجلاء عن اثينا ، فى الثانى عشر من اكتوبر ، هبط المظليون البريطانيون فى اليوم التالى فى مطار ميجارا ، القريب من العاصمة ، واحتلوا المدينة فى اعقاب الانسحاب الالمانى كما دخلت قواتنا البحرية ميناء بيريه يصحبها الجنرال سكوبى مع أكثر جنوده ، وكما وصلت ايضا الحكومة اليونانية بعد يومين يرافقها سفيرنا .

ولما كانت المؤن قد نفدت ، وكان المستر ايدن وهو فى طريق عودته من موسكو ، عرج على اليونان لزيارة اثينا ، وكان يرافقه فى هذه الزيارة اللورد موين الوزير المقيم فى القاهرة والمستر ماكميلان ، فقد بحث كل ما يمت الى موضوع الاغاثة واتخذت كل التدابير الممكنة

لتأمينها ، كما بدأ رجال فرقة المهندسين البريطانيين فى اصلاح طرق المواصلات التى لا غنى عنها ، وعندما حـل اليوم الاول من نوفمبر كان الالمان قد انسحبوا من سـلانيك وفلورينا ، وبعد عشرة ايام اجتازت آخر قواتهم الحدود الشـمالية ، وبذلك تحررت اليونان بأسرها ، باستثناء بعض الجزر الصغيرة النائية والمعزولة والتى كانت الحاميات الالمانية لا تزال فيها .

ولما كانت الحكومة اليونانية لم تكن تملك القوات الكافية للسيطرة على البلاد وارغام «ايلاس» على احترام اتفاقية سابيسترا ، وانتشرت الفوضى وعمت البلاد ، وكان من المتوقع ان تقوم جبهة التحرير الوطنى بثورة فى كل لحظة ، فقد اصـدرنا الاوامر الى الجنرال سـكوبى فى الخامس عشر من نوفمبر باتخاذ اسـتعدادات مضادة كما تقرر اعلان مدينة اثينا منطقة عسكرية وكذلك صدرت الاوامر الى جيش التحرير « ايلاس » بمغادرتها ، وفى هذا الوقت كانت الفرقة الهندية الأولى قد وصلت الى اليونان ، وكان من الواضح ان الطريقة الوحيدة لتجنب الحرب الاهلية انما هى فى نزع سلاح افرادالعصابات والقوات الاخرى، واقامة جيش وطنى جديد وقـوة من الشرطة تعمـل تحت الاشراف المباشر لحكومة اثينا .

وفى اليوم الأول من شـهر ديسمبر استقال وزراء جبهة التحرير الستة واعلن الاضراب العام فى اثينا فى اليوم التالى ، واصدرت البقية الباقية من مجلس الوزراء مرسـوما بحل العصابات ، كما نقل الحزب الشيوعى مقر رياستة من العاصـمة ، ووجه الجنرال سكوبى رسالة الى الشعب اليونانى أكد فيها وقوفه الى جانب الحكومة الدستورية القائمة ، الى أن تتم اقامة الدولة اليونانيـة عن طريق انتخابات حرة ، كما وجهت رسالة مماثلة من لندن .

وفى اليوم الثالث من يناير اصطدم انصار الشيوعيين الذين كانوا يسيرون فى مظاهرة ممنوعة مع رجال البوليس وبدأت الحرب الاهلية ، ولذلك أصـدر الجنرال سـكوبى أوامره الى قوات جيش التحرير « ايلاس » بالجلاء عن اثينا وبيريه ، ولكن هذهالقوات يؤيدها المدنيون المسلحون حاولت الاسـتيلاء على العاصمة بالقوة ، وعندما علمت أن الشيوعيين قد استولوا على معظم مراكز الشرطة وذبحوا كل الرجال الذين كانوا فيها ، ولم ينضموا اليهم ، وانهم أصبحوا على بعد ربع ميل من مقر الحكومة ، اصدرت اوامرى الى الجنرال سكوبى والى خمسة آلاف جندى من البريطانيين الذين يعملون تحت امرته بالتدخل وأطلاق النار على المعتدين الآثمين ، ولا ريب فى ان وجود مثل هذه الاوامر فى حيازته ، لا تقتصر على تشجيعه على القيام بعمل حاسم ، بل تمنحه التأكيد اللازم بأنى سأكون الى جانبه فى أى اجراء حازم قد يتخذه مهمـا تكن النتائج .

أما وقد عرف العالم الحر الآن الكثير عن الحركة الشيوعية فى اليونان وغيرها ، فان الكثير من القراء سيدهشون حتما من الحملات العنيفة التى تعرضـت لها الحـكومة البريطانية ، وتعرضت لها أنا شخصيا بصفتى رئيسها ، كما اسـتنكرت معظم الصحف الامريكية ،

اجراءنا ، أشد الاستنكار . وأصدرت وزارة الخارجية الامريكية التى كان يرأسهاالمستر سبيتيتينوس ، بيانا انتقاديا واضحا ، وشهدت انجلترا نفسها غليانا وهيجانا شديدين ، ووجهت صحيفتا « التيمس» و « المانشستر جارديان » اللوم العنيف لما أسمتاه بسياستنا الرجعية أما ستالين فقد حافظ من جانبه بأمانة على اتفاقنا الذى عقدناه فى شهر اكتوبر .

كما شهد مجلس العموم اضطرابا شديدا ، وكانت هناك تيارات قوية من الآراء الغامضة ومن العطف والتأثر ، ولو كانت هناك حكومة اخرى لا تتمتع بما تتمتع به حكومتنا القوية من أسس ثابتة قوية لتهاوت محطمة منهارة ، ولم يقترع ضدنا الا ثلاثون فقط واقترع معنا نحو من ثلثمائة ، وكانت مناسبة جديدة أظهر فيها مجلس العموم قوته المستمرة وسلطته .

وفى ذلك الوقت كانت القوات البريطانية تقاتل بشدة فى قلب اثينا وقد حوصرت وتفوق عليها العدو عددا ، وكانت تشتبك فى قتال من بيت الى بيت مع عدو يرتدى أربعة أخماس أفراده الملابس المدنية ، وكان باباندريو ومن تبقى من وزرائه قد فقدوا كل سلطة ، كما رفض الملك اقتراحا باقامة مجلس وصاية يرأسه رئيس الاساقفة داما سكينوس الا انسفيرنا المستر ليبر عاد فعرض الفكرة ثانية على الملك فى العاشر من شهر ديسمبر ، ولكنه ظل معارضا لها ولم تكن فى ذلك الحين ترغب فى الضغط عليه لقبولها .

وكان قد وصل الى أثينا فى هذا الوقت كل من الماريشال اليكساندر والمستر هارولد ماكميلان ، وصدر الامر بتحول الفرقة البريطانية الرابعة – التى كانت تنتقل من ايطاليا الى مصر – الى اليونان ، وادى وصولها فى النصف الأخير من الشهر وفى الوقت المناسب الى قلب الاوضاع ، وان كان قتال الشوارع فى أثناء ذلك ظل متأرجحا على نطاق واسع ، ولذلك فقد حذرنى اليكساندر بضرورة الوصول الى تسوية فى أسرع وقت ممكن ، وأكد أن خير سبيل لذلك يكون بتدخل رئيس الاساقفة ، وابرق الى يقول : « مالم تقم بذلك فانني اخشى اذا استمرت مقاومة الثائرين على ما هى عليه الآن من شدة وعنف أن أضطر الى ارسال نجدات كبيرة اخرى من الجبهة الايطالية ولأضمن تطهير مقاطعة أثينا – بيريه ، وهى منطقة تضم خمسين ميلا مربعا من المنازل »

فقررت ان اذهب الى اثينا لارى الامور بنفسى على مسرحهاوكان ذلك فى اليوم الرابع والعشرين من ديسمبر ، وكنا قد أعددنا حفلة عائلية تضم عددا من الاطفال بمناسبة ليلة عيد الميلاد ، لكنى شعرت بالحاجة الماسة الى أن أطير الى أثينا ، وأن اتعرف على رئيس الاساقفة الذى يتوقف عليه وعلى شخصه الكثير ،واسرعت باعطاء الاوامر لاعداد طائرة لى فى تلك الليلة فى نور شهولت حيث كان ينتظرنى المستر ايدن لكى نستقلها معا الى اثينا ، فهبطنا عند الظهر فى مطار كالماكى ،وكان فى فى انتظارنا الماريشال اليكساندر والمستر ليبر والمستر ماكميلان ،

فصعدوا الى الطائرة حيث قضينا ثلاث ساعات فى مناقشات حادة استعرضنا فيها الموقف بكامله من نواحيه السياسية والعسكرية واتفقنا على الخطوات التى يجب ان نتخذها فورا .

وتقرر ان نمضى الليلة على ظهر الطراد اجاكس ، ولكى نستقبل فيه رئيس الاساقفة وبطانته ، فذهبنا الى حيث الطراد وعند وصول رئيس الاساقفة اجتمعنا به ، فتحدث بمرارة بالغة عن فظائع جيش التحرير « ايلاس » وعن اليد الأثيمة البشعة التى تقوم وراء جبهة التحرير « ايام » ، وعندما اصغيت اليه تبين لى دون شك أن الرجل يخشى الشيوعيين خشية كبيرة ، كما يخشى تدخلهم فى الشئون اليونانية وقال : انه قد أصدر منشورا بطريركيا أعلن فيه حرمان جيش التحرير « ايلاس » لاخذه ثمانية آلاف من الرهائن معظمهم من الطبقة الوسطى وبينهم عدد من الصربيين ، ولقتله عددا منهم كل يوم ، واضاف انه سينقل هذه الانباء الى الصحافة العالمية ، اذا لم يقم جيش التحرير باطلاق سراح النساء فورا ، وقد أثر على تأثيرا طيبا بصورة عامة ، لما يتميز به من ثقة فى نفسه ، وفى النهاية قبل اقتراحنا بأن يتولى رياسة المؤتمر الذى سيعقد فى اليوم التالى والذى دعى جيش التحرير « ايلاس » لارسال ممثليه اليه .

وفى صباح اليوم التالى توجهنا الى السفارة ، حيث قابلت رئيس الاساقفة وقد وافق على كل ما اقترحناه ووضعنا مخططا للمؤتمر الذى تقرر عقده بعد ظهر ذلك اليوم .

وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم انعقد المؤتمر برياسة رئيس الاساقفة وقد جلست عن يمينه ، وجلس المستر ايدن والماريشال اليكساندر عن يساره ، كما حضر المؤتمر المستر ماكفى السفير الأمريكى والمسيو بيليه وزير فرنسا المفوض والممثل العسكرى السوفيتى ، وكذلك حضر الزعماء الشيوعيون الثلاثة الذين يمثلون جيش التحرير وكانوا يرتدون زى الميدان البريطانى ، وقد بدأت الحديث بقولى :

« من الخير ان نبذل كل مجهود لجعل اليونان عاملا من عوامل النصر وأن نبدأ جهودنا الآن ، وليس من قصدنا أن نقف حائلا دون تفاهمكم وتشاوركم وسنترككم نحن البريطانيين ومن معنا من ممثلى الدول الحليفة لتتشاوروا وحدكم برياسة هذا المواطن البارز جدا ، ولن نزعجكم الا اذا استدعيتمونا وكلى أمل على كل حال ، فى أن هذا المؤتمر الذى يبدأ هنا فى اثينا سيعيد اليونان مرة أخرى الى شهرتها وقوتها بين الحلفاء وبين الشعوب المحبة للسلام فى العالم ، وسيضمن سلامة الحدود اليونانية من اى خطر من الشمال وسيمكن كل يونانى من أن يظهر نفسه وبلاده بأحسن مظهر امام العالم بأسره .

وبعد ان انتهينا من القاء الخطب الرسمية انسحبنا من المؤتمر وقد استغرقت المحادثات العنيفة بين الأحزاب اليونانية معظم ساعات النهار وبعد ذلك اجتمعت فى الخامسة والنصف مساء اجتماعا أخيرا من رئيس الأساقفة وعلى ضوء المحادثات التى أجراها مع ممثلى جيش التحرير « أيلاس » تقرر أن أطلب الى ملك اليونان تعيينه وصيا لكى

يشرع فورا فى تأليف حكومة جديدة لا تضم الشيوعيين ، وتعهدنا له بأن تظل القــوات البريطانية على استعداد ، الى ان يتم احد امرين ، اما أن يقبل جيش التحرير الهدنة أو تطهر منطقة آثينا من قواته ، وقلت له : اننا سنحاول الاحتفاظ بالقوات البريطانية فى اليونان الى ان يتم تأليف الجيش اليونانى الوطنى .

هذا وقد غادرت اثينا ومعى المستر ايدن الى لندن فى التاسع والعشرين من ديسمبر وفى الحال عقدنا اجتمــاعا مع الملك وقد وافق جلالته فى نهايته على ألا يعود الى اليونان الا اذا دعى للعودة بارادة حرة ونزيهة ، كما وافق على تعيين رئيس الاســاقفة وصــيا على العرش ، وبذلك أصبح الجنرال بلاستيرس رئيسا للوزارة .

وبذلك انتهى القتــال المستمر فى اثينا بطرد الثائرين اخيرا من العاصمة كما اصبحت القوات البريطانية مسيطرة على جميع مقاطعة اثينا ووقعت الهدنة فى الحادى عشر من يناير ، وفى الوقت نفســـه تحررت اليونان من العبودية الشيوعية .

واذا ماقورنت احداث اليونان بما كان يدور حين ذاك فى أنحــاء العــالم حيث يقف نحو من ثلاثة ملايين رجل يتصـــارعون فى الجبهة الغربية ، وحيث تنتشر قوات امريكية كبيرة فى انحــاء المحيط الهادى ضد اليابان ، بدت صغيرة تافهة ، ولكنها على كل حال ، كانت تقع فى العصب الحساس لحرية العالم الغربى وسلطته وقانونه .

ومن الغريب انه عندما ينظر الانســان الى هذه الاحداث ، فانه لا شــك يقر السياسة التى تبنيتها انا وزملائى ، والتى قاتلنا باصرار من أجلها فقد رأيت بوضوح أن الشيوعية ستكون الخطر الذى يهدد الحضارة ، والتى يجب أن نواجهها بعد هزيمة النازية والفاشية .

واذا كانت اليونان قد نجت من مصــير تشيكوســلوفاكيا ، واذا قدر لها أن تعيش الآن كدولة من الدول الحرة ، فالفضل فى ذلك لايعود الى الاجراء الذى اتخذته بريطانيــا فى عام ١٩٤٤ وحــده ، بل الى المجهودات الصــامدة التى أصبحت بعد مدة بسيطة تعبيرا عن القوة المتحدة للعالم الناطق بالانجليزية .

مالطة ويالتا مشروعات للسلام العالمى

لما كانت جيوش هتلر قد سحبت داخل حدودها فى نهاية شهر يناير عام ١٩٤٥ باستثناء بعض فلول منها واهية كانت لا تزال قابضة على المجر وعلى شمالى ايطاليا . فان الوضع السياسى مع ذلك على أية حال فى شرقى اوروبا لم يكن مرضيا ، ولو أن الهدوء ساد اليونان ، وبدا ان حكومة ديموقراطية حرة ستقوم على اساس الانتخاب المباشر العام والاقتراع السرى فان رومانيا وبلغاريا قد أصبحتا فى قبضة الاحتلال العسكرى السوفيتى كما كانت المجر ويوغوسلافيا تحتدم فيهما المعارك ، أما بولندا فعلى الرغم من تحررها من الالمان ، قد احتلتها روسيا ، مع أن الاتفاق غير الرسمى والمؤقت الذى عقدته مع ستالين فى أثناء زيارتى فى شهر اكتوبر لموسكو ، لم يكن المقصود منه ، من ناحيتى على الاقل ، أن يتحكم أو يؤثر فى مستقبل هذه المناطق الواسعة بعد هزيمة المانيا .

وكان وضع أوربا بعد الحرب وكيانها كله يتطلبان ضرورة اعادة النظر فيهما حتما ، وكذلك فى الطريقة التى ستتبع فى معاملة الالمان بعد هزيمتهم والمساعدة التى يمكننا أن نرجوها من الاتحاد السوفييتى فى المرحلة الاخيرة لكى نهزم اليابان ، وبعد أن تتحقق لنا أهدافنا العسكرية ، ما الترتيبات والتنظيمات التى تستطيع دول الحلفاء الكبرى أن تقدمها لسلام العالم ولحسن تنظيمه ؟ هذا هو السؤال الذى كنت أردده فى ذهنى دائما .

ولما كانت المحادثات التى جرت فى دومبارتون أوكس قد اسفرت عن خلافات جزئية ، كما انتهت ايضا المحادثات التى هى أضيق نطاقا والتى دارت بين لجنة لوبلين البولندية التى يرعاها السوفييت وبين مواطنيها القادمين من لندن الى نتيجة مماثلة ، مع اننى عملت انا والمستر ايدن كل مافى وسعنا لانجاحها فى أثناء زيارتنا للكرملين فى نوفمبر عام ١٩٤٤ ، وعلى الرغم من الاتصالات غير المجدية التى دارت بين الرئيس روزفلت وستالين اعترف السوفييت فى الخامس من يناير بلجنة لوبلين على اعتبار انها حكومة بولندا المؤقتة .

ولما كان الرئيس مقتنعا كل الاقتناع بضرورة عقد اجتماع آخر بالثلاثة الكبار ، وبعد الحاح شديد من جانبى ، وافق الرئيس ايضا على ان نعقد انا وهو مؤتمرا تمهيديا فى مالطة ، ولعل القراء يذكرون المخاوف التى عبرت عنها للرئيس فى برقيتى التى بعثت بها اليه فى السادس من ديسمبر ، وكانت هذه المخاوف لا تزال تلازمنى ، كما كان رؤساء اركان الحرب البريطانيون والامريكيون فى حاجة الى التشاور قبل الاجتماع ، فغادرت نورثهلت فى التاسع والعشرين من شهر يناير

عام ١٩٤٥ على طائرة ومعى ابنتى سـارة وعدد من الموظفين الرسميين ، ووصلنا الى مالطة فى الثلاثين من يناير .

كما وصلت السفينة الحربية الامريكية « كونيس » صباح اليوم الثانى من فبراير عام ١٩٤٥ الى خليج فالينا ، وعلى ظهرها الرئيس روزفلت وصحبه ، وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، عقدنا انا والرئيس اول اجتماع فى قمرته الخاصة ، واستعرضنا تقرير هيئة اركان الحرب المشتركة والمباحثات العسكرية التى كانت دائرة فى مالطة منذ ثلاثة ايام ، وانتهزنا الفرصة بالطبع لاستعراض الوضع العسكرى كله ، وفى ذلك الحرب ضد الغواصات ، والحملات المقبلة فى جنوب شرقى آسيا والمحيط الهادى ، والوضع فى البحر المتوسط .

وقد وافق برمين على سـحب فرقتين من اليونان عندما يمكن سحبهما ، ولكننى أوضحت أننا لن نجد أنفسنا مضطرين للقيام بذلك ، الا أن يصبح للحـكومة اليونانية جيشها كما تقرر سحب ثلاث فرق اخرى من ايطاليا لتعزيز قواتنا فى شمالى اوروبا الغربى ، ولكننى اكدت انه ليس من الحكمة القيام بسحب عام للقـوات البرمائية وقـد كان من المهم أن نتتبع أى انسحاب لالمانيا من ايطاليـا ، كما أبلغت الرئيس أن الواجب يحتم علينا احتلال اكثر ما يمكننا من النمسا ، اذ ليس من المرغوب فيه ان يحتل الـروس مسـافات اكثر من اللازم فى اوروبا الغربية .

وقد اسـفرت المباحثات عن نتائج مهمة واتفاقات حول مختلف القضايا العسكرية ، كما أن هيئة اركان الحرب المشتركة اصبحت على علم بجميع نقاط الاتفاق ، وعلى جميع وجهات نظرنا ، قبل الشروع فى المحادثات مع اركان الحرب السوفييت ، والتى ستبدأ بعد ذهابنا الى هناك للاجتماع بهم .

هذا وقد اعدت الطائرات لنقلنا ولنقل رجال الوفدين الرسميين البريطانيين والامريكيين البالغ عددهم نحو سبعمائة رجل ، الى مطار ساكى فى جزيرة القرم ، ولما وصلنا الى هناك انتقلنا بالسيارات الى يالتا .

وكان المقر السـوفيتى فى يالتا هو قصر يوسويوف ، حيث كان ستالين ومولوتوف وجنرالاتهما يتولون ادارة دفة الحكم فى روسـيا والسيطرة على جبهتهم الهـائلة التى يحتدم القتال فيها الآن من هذا المركز ، هذا وقد نزلنا فى قصـور فسيحة اعدت لكل منا ، وقد بذل مضيفونا كل جهد لضمان راحتنا ، وكانوا يهتمون بكل ملاحظة عارضة تصدر منا .

وقد بدأت الجلسة الأولى للمؤتمر بعد ظهر الخامس من فبراير ، وتناول الحديث مستقبل المانيا ، وكنت بالطبع قد فـكرت فى هذه المسألة ، ووجهت الى المستر ايدن من حوالى شهر تقريبا الرسـالة التالية .

« بالنسبة لمعاملة ألمانيا بعد الحـرب ، اعتقد أن من السـابق لأوانه تقرير مثل هذه الموضـوعات الكبيرة ، اذ من الواضح أنه عندما

تتوقف المقاومة الالمانية المنتظمة فان المرحلة الاولى ستكون ممثلة فى اشراف عسكرى قاس ، وقد يستغرق هذا الاشراف عدة اشهر او سنة او سنتين ، اذا ظلت المقاومة السرية الالمانية نشيطة ، ولهذا فانى اقترح مع كل المشاغل التى ننوء تحت أعبائها فى الوقت الحاضر الا نسارع الى بحث هذه المشكلات المؤلمة التى قد تؤدى الى تصدع كبير .

وانى لأوثر التركيز على القضايا العلمية التى ستحتل الصدارة فى السنتين أو السنوات الثلاث القادمة ، بدلا من أن نضيع وقتنا فى مناقشات عن علاقات المانيا الطويلة الاجل بأوروبا ، ولهذا فهناك الكثير من الحكمة فى أن يحتفظ الانسان بقراراته أطول مدة ممكنة ، حتى تتكشف جميع الحقائق والوقائع التى قد تصبح قائمة وعملية » .

ولهذا فقد قلت لستالين ، عندما تساءل عن الطريقة التى ستجزأ بها المانيا : ان هذه القضية من التعقيد بحيث يتعذر حلها فى خمسة أيام أو ستة ، فمثل هذا الموضوع يتطلب دراسات عميقة فى التاريخ وعلم الاجناس البشرية ، والحقائق الاقتصادية ، واستعراضا طويلا تقوم به لجنة خاصة تتولى دراسة مختلف الاقتراحات وتقدم رأيها فيها ، فهناك الكثير من المسائل التى يجب أن تدرس ، اذ ماذا سنعمل فى بروسيا ؟ وأى مناطق يجب أن تكون لبولندا والاتحاد السوفيتى ؟ ومن يتولى الاشراف على وادى الراين والمناطق الصناعية المهمة فى الروهر والسار ؟ وأرى أن تؤلف هيئة خاصة لدراسة هذه القضايا ويعرض تقريرها علينا قبل الوصول الى اية قرارات نهائية ، واقترح المستر روزفلت أن يعهد الى وزراء خارجيتنا باعداد خطة لدراسة هذه القضية على أن يتم اعدادها فى أربع وعشرين ساعة وأن يوضع المشروع «النهائى لتجزئة المانيا خلال شهر وتركنا الموضوع عند هذا الحد .

واتفقنا على أن نجتمع فى اليوم التالى لدراسة موضوعين مهمين جدا ، وهما مشروع دوميرتون اوكس لضمان الامن العالمى وموضوع بولندا ،

هذا وقد انتهى مؤتمر دوميرتون اوكس كما سبق لى ان ذكرت دون الوصول الى اتفاق كامل بشأنه

وقد قال ستالين : أنه يخشى - على الرغم من أن الدول العظمى الثلاث متحالفة الآن ، وانه لن تقوم اية منها بأى عمل من أعمال العدوان يخشى أن الزعماء الثلاثة قد يختفون من المسرح فى غضون عشر سنوات أو نحوها وقد يتولى السلطة جيل جديد لم يمر بتجربة الحرب وقد ينسى كل ما مررنا به من محن ، ثم قال « اننا جميعا متفقون على الرغبة فى احلال السلام لمدة خمسين عاما على الاقل ، ويقوم الخطر الاكبر فى أن نتصارع بعضنا مع بعض ، فلو ظللنا على اتحادنا ، فلن يكون للخطر الألمانى أية أهمية ،

ولهذا يجب علينا ان نفكر فى ضمان وحدتنا فى المستقبل وان نؤمن بقاء الدول العظمى الثلاث ومعها الصين وفرنسا أن أمكن فى جبهة متحدة ،

ومضى ستالين يقول : ولا يستطيع زملائى فى موسكو أن ينسوا ماحدث فى أكتوبر عام ١٩٣٩ فى اثناء الحرب الروسية الفنلندية ، عندما استخدمت الحكومتان البريطانية والفرنسية عصبة الامم ضدنا ، ونجحتا فى عزلنا ، وفى طرد الاتحاد السوفييتى من العصبة ، ولذلك فانه يجب الحصول على ضمان بأن أمورا كهذه لن تتكرر فى المستقبل .

وقد تمكنا بعد الكثير من الجهد والايضاح من اقناعه بقبول مشروع أمريكى يصبح فيه مجلس الامن عاجزا عن اصدار أى قرار الا اذا أجمع عليه « الاربعة الكبار » واذا رفضت أية دولة منها أى مشروع فلا يجوز لمجلس الامن اقراره ، وهذا هو « الفيتو »

وكنت من ناحيتى أرى أن اقامة أى جهاز عالمى يجب ان تكون على أساس اقليمى ، فهناك مناطق اقامية رئيسية موجودة وتفرض هذا الوجود ، كالولايات المتحدة واوروبا المتحدة وجامعة الشعوب البريطانية والاتحاد السوفيتى وامريكا الجنوبية ، وهناك مجموعات أخرى ، كالمجموعات الاسيوية والمجموعة الافريقية ، وفى الامكان تنمية هذه الفكرة عن طريق الدرس . وكان الهدف من فكرتى هو حل القضايا التى تدور حولها الخلافات المحلية الحادة فى المجالس الاقليمية التى تبعث بعد ذلك بثلاثة أو أربعة من ممثليها الى المجلس الاعلى ، الذى سيتألف من ثلاثين أو أربعين شخصا من أبرز الساسة العالميين يكون كل واحد منهم مسئولا عن منطقة ومعالجة القضايا العالمية أيضا ، ولاسيما قضية حرب ، اما دعوة جميع الدول صغيرها وكبيرها قويها وضعيفها الى الاشتراك على قدم المساواة فى الهيئة المركزية « الجمعية العمومية » فهى اشبه مايكون بتنظيم جيش لاتفريق فيه بين قيادته العليا وقادة فرقه وألويته ، ويكون كل ماحصلنا عليه من هذا الاجراء ، انما هو برج بابل جديد ، يتميز بشىء من المهارة فى مناورات ماوراء الكواليس ، ولكن علينا أن نتحمل ، وأن نصبر على أية حال .

تم الكتاب

مجموعة

اخترنا لك

تصدر

أسبوعية باللغات العالمية

يشترك فى تحريرها وإعدادها

لجنة "اخترنا لك"

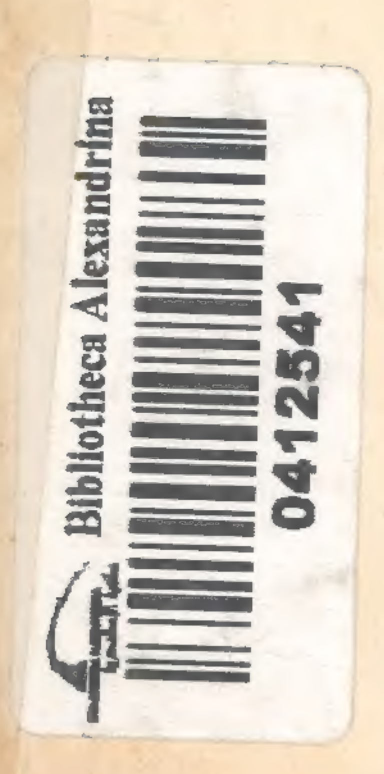


المراسلات

الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢



العدد ١٤٠ الثمن ١٠ قروش